

مكتبة

نشأة الدولة الإسلامية

BOBST LIBRARY



3 1142 02824 4591



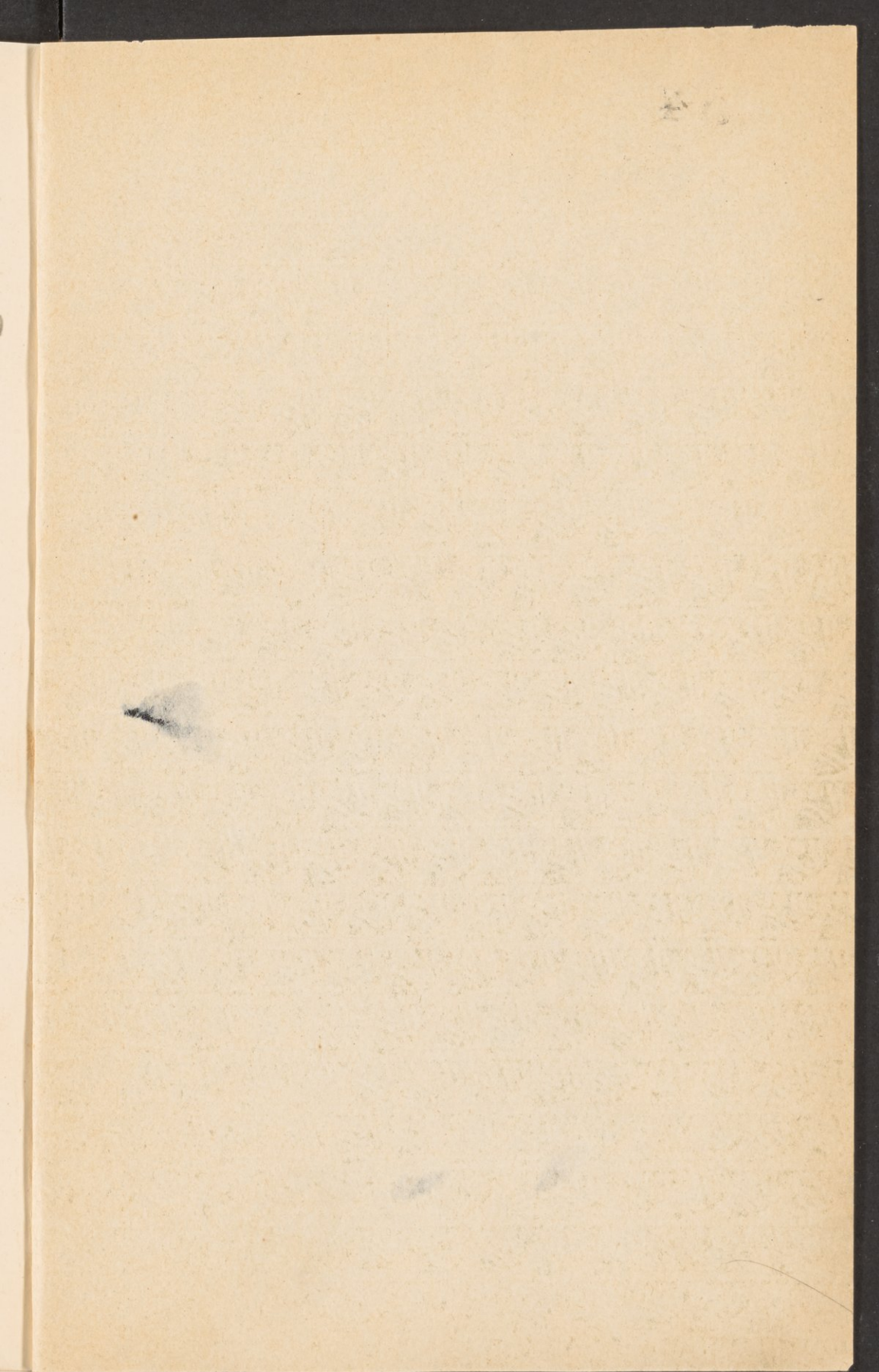
NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

56

56 F





٥٧

54

56 F

تاريخ الإسلام السياسي

Nash'at al-dawlah al-Islamiyah

نشأة الدولة الإسلامية

فتح جزيرة العرب

عروب الإسلام والامبراطورية الفارسية

Sa'īd Amīn

تأليف

أمين سعيد

حقوق الطبع محفوظة

n. d.

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

للمؤلف

(١) الثورة العربية الكبرى ٣ مجلدات

(٢) ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم

(٣) أيام بغداد

Near East

DS

232

.S3

c.1

هَذَا الْكِتَابُ

~~٥٢~~
٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلاما على سيدنا
محمد النبي العربي ، وعلى آله وأصحابه والتابعين وأهوائهم
الانبياء والمرسلين ، ولا حول الا بالله منه نستمد العون ،
وبه نستعين

لما صدر كتاب الثورة العربية الكبرى في شهر رجب سنة ١٣٥٣ ، وقد لقي
ولله الحمد اقبالا زائدا ، اقترح على بعض اهل الفضل ان اضع تاريخ الاسلام السياسي ،
وقالوا مادمت قد وفقت في تأريخ هذا العهد الصغير من عهود العرب ، فيجب ان تعنى
بتدوين تاريخهم الاكبر ، فتتصل حلقاته ، ويرتبط ماضيه بحاضره ، فقد انقضت
السنون على اشراق فجر النهضة العلمية الجديدة ولم يشمر عربي مسلم لتدوين اخبار
ثورة امته على الروم والفرس ، وتسجيل اخبار نهضتها - وقد ادهشت العقول
وحيرت الافهام - على منوال يتفق مع ذوق العصر الحاضر ومع ما بلغه فن التاريخ
من تقدم وارتقاء

وكاتبت اخواني الادباء في الشام والعراق والحجاز واليمن - وقد عودوني
المساعدة والتأييد - اسألهم رأيهم فكتبوا مشجعين ومنشطين وقالوا امض في سبيلك
فنشد ازرك ، وتأخذ بضبعك ، واستعن بالله وتوكل عليه ، فحسن النية والرغبة الصادقة
في الخدمة العامة هما لك خير شفيح وكفيل

والواقع ان وضع كتاب يتناول الناحية السياسية وحدها من تاريخ الاسلام
ويعنى بسرد اخبارها ، ويجمع مستنداتها ووقائعها ، ويرافق الاسلام في تحوله وتطوره
من ابتداء ظهور دولته حتى يوم الناس هذا ، ويبحث العوامل والاعتبارات
الاجتماعية والعنصرية والسياسية التي ساعدت على نموه وانتشاره ، ويعملها تعليلا مقبولا
معقولا ، مما لم يسبق اليه حتى الآن ؛ ويشعر جمهور المتأدبين والناشئين بشدة الحاجة
اليه فهناك حلقات مفقودة من هذا التاريخ ، وهناك حوادث يكتنفها الغموض
والابهام ، ولم يصب تاريخ امته من الامم الحية في هذا الوجود بما اصيب به تاريخنا ،
ولولا ما كتبه الاسلاف رحمهم الله في القرون الاولى لضاع بعض معالمه ، ولغم علينا
معرفة غير قليل من حوادثه

ولقد نهجت في وضع هذا الكتاب منهجا لم يألفه المسلمون في كتابة تاريخهم

فسردت حوادثه على المنوال الذي يسير عليه المؤرخون المعاصرون في سرد الحوادث ،
واجتنبت المبالغات فلدينا والله الحمد تاريخ مملوء بالماثر ، مزدان بالمحامد ، لا تنفد
كنوزه ، ولا تبلى جده مفاخره

ومما شجعني على الاضطلاع بهذه المهمة الخطيرة انى طفت معظم الاقطار التي
كانت محلي للحوادث الخطيرة في تاريخنا العربي العظيم فقد مشيت الشام من جنوبيه
الى شماليه ومن غربيه الى شرقيه ووردت دجلة والفرات والنيل وزمزم واليرموك ،
واجترت جبال طوروس والثغور والدروب ووطأت جبال حمرين (الحدود الفاصلة
بين العراق وفارس) وجبت صحارى الشام وسيناء والحجاز ووعيت جغرافية هذه
الاقطار ووقفت فى الجابية كما وقفت على اطلال القادسية وفحل وبصرى
وقيسارية وبيت المقدس وحمص وحلب وانطاكية وطرسوس واطنة وقونية
والقسطنطينية وقد سرت اليها برا من دمشق ومشيت اليها على الطريق التي مشى عليها
جيش الامويين كما مشيت على الطريق التي مشى عليها عمر وبن العاص من قيسارية
الى وادى النيل وطففت فى انحاء هذا الوادى المبارك ، ولا ريب ان التجوال فى هذه
الاقطار ، وبين هذه الامصار يساعد على فهم كثير من حوادث التاريخ الاسلامى ،
فيسغها القارىء ويتذوقها حينما يصف معالمها وصف خبير وما راء كمن سمعا

واعتمدت على الخريطة فى وصف الحوادث العسكرية لتقريبها من الافهام
فوضعت لكل حادثة من الحوادث الكبرى خريطة خاصة وفى هذا الجزء تسع خرائط
هذا بيان عنها :

- ١ - خريطة للحجاز حين ظهور الاسلام ، وتساعد على تكوين فكرة عن
حالة هذا القطر فى ذلك العهد
- ٢ - خريطة تحدد اماكن اليهود فى شمالي الحجاز ويستعان بها على معرفة
الجهات التي كانوا ينزلونها
- ٣ - خريطة معركة بدر الكبرى وقد مكنت للاسلام فى الحجاز وساعدت على
انتشاره
- ٤ - خريطة معركة احد

٥ - خريطة معركة الخندق

٦ - خريطة معركة خيبر

٧ - خريطة تبين حدود الدولة الاسلامية حين وفاة مؤسسها الاعظم

٨ - خريطة معركة القادسية

٩ - خريطة الفتح العربي في العراق وايران ويستعان بها على متابعة حركات

الجيش العربي في زحفه على العراق وايران

تلك هي الخرائط التي يضمها هذا الكتاب بين دفتيه وسنوالى وضعها في كل

كتاب يصدر ان شاء الله طبقا للحاجة

واتبعنا هذه الخرائط برسوم شمسية لبعض الاماكن التاريخية فاثبتنا رسما لمدينة مكة المكرمة ، مهد الاسلام ، ومطلع شمسه ، وفي وسطها الكعبة المشرفة كما اثبتنا رسما لمدينة المنورة اول عاصمة للاسلام ، وفي وسطها الروضة النبوية المطهرة . مع رسم مسجد قبا وهو اول مسجد اسس في الاسلام ، ورسم لجبل احد وفيه مسجده وقد انشئ لتخليد ذكرى شهداء تلك المعركة الكبرى ، مع مسجد الحديدية وقد اقيم في المكان الذي جرت فيه بيعة الرضوان تخليدا لذكرى تلك الحادثة الخطيرة ، ونشرنا ايضا رسم جامع صنعاء الكبير مع رسم البقية الباقية من طاق كسرى (ايوانه) في المداين شمالي بغداد

ووصفنا الاماكن والديار التي مر بها الغزاة في حروبهم والمنازل التي نزلوها وحققنا كثيرا من اسماء المدن والاماكن القديمة ، ووضعنا الى جانب اسم كل مدينة او اقليم ابدل اسمه القديم ، الاسم الجديد ، وحددنا المسافات بقدر الامكان بين المدن والاقاليم واعتمدنا في سرد الحوادث واثباتها على اقوال ثقات المؤرخين الاقدمين وعلى روايات بعض افاضل المستشرقين وعلى مباحث الاساتذة المجددين ، والجهابذة العسكريين وغيرهم من الذين عكفوا على نشر دراسات خاصة عن حوادث معينة في التاريخ الاسلامي ، آخذين بالوثوق والاقرب الى العقل والمنطق ، ومبتعدين عن المبالغات والروايات الضعيفة فتاريخ العرب السياسي والعسكري من اجمع التواريخ

للحوادث الجسام ، وقد فعل العرب في الميدانين العسكري والسياسي في خلال نهضتهم
الاولى من الافعال ما لم تسبقهم اليه الامم التي تقدمتهم ، ولم تلحقهم فيه الامم التي جاءت
بعدهم . ولما انصرفوا بعد ذلك الى الميدان العالمي فاقوا الأقران ويزوا الأنداد وانشأوا
حضارة كانت خير حضارة عرفها التاريخ حتى عهدهم

وقبل القاء القلم نعود فنكرر اننا راعينا ذوق العصر الحاضر ، ومصطلحاته
الكتابية في وصف الحوادث واثباتها ، وان كتابنا هو خاص بالناحية السياسية
دون سواها من تاريخ الاسلام . اما الناحية الدينية فقد وفاها اعلام الاسلام
حقها فالفوا المطولات في فضائله ومزاياه وأنوا بما ليس وراءه زيادة لمستزيد فجزاهم
الله عن العلم والدين خيرا ورضى الله عنهم وارضاهم ، ووفقنا للاهتداء بهديهم وهو
حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ، عليه توكلت واليه ائيب

اصبح سعيد

مَصَادِرُ الْكُتُبِ

الكتب التاريخية الحديثة

تاريخ الأمم الإسلامية للخضري
أشهر مشاهير الإسلام لرفيق العظم
خالد بن الوليد لعمر رضا كحاله
حروب الردة لطفه الهاشمي
مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت
الرحلة الحجازية للييب البتانوني
قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة
تاريخ ملوك الحيرة لظريف الاعظمي
محمد صلى الله عليه وسلم لمحمد رضا
موجز تاريخ المدن العراقية
لعبد الرزاق الحسيني

الكتب التاريخية القديمة

البخاري
سيرة ابن هشام
السيرة الحلبية
تاريخ ابن جرير الطبري
» ابن كثير
» الواقدي
» ابن خلدون

الكتب الأوروبية

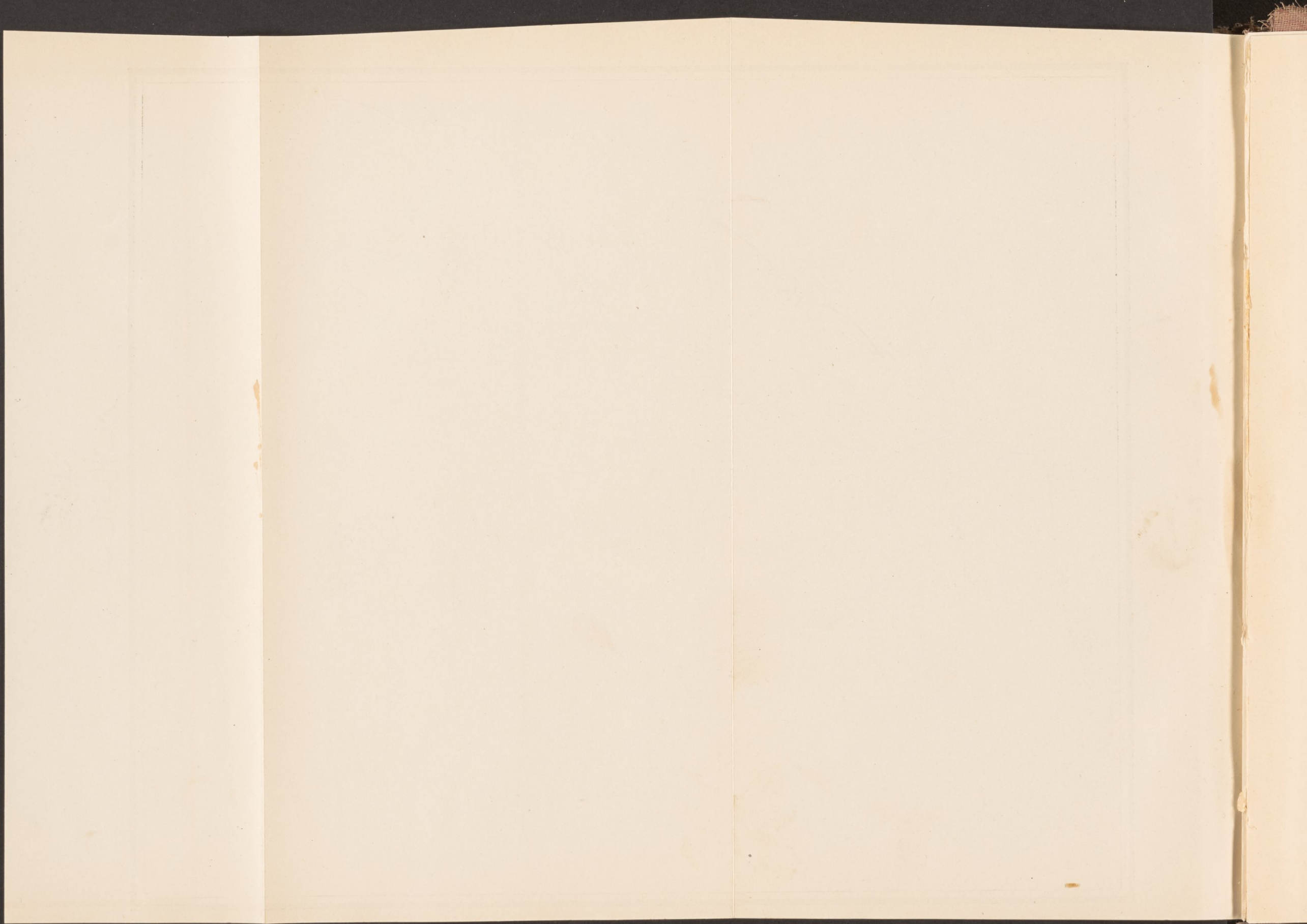
دائرة المعارف البريطانية
Encyclopidia Britanica
تاريخ التواريخ
Historian's History
Of
the World
حياة محمد لدرمنجم
La vie de Mahamet
Par Dermenghem
الشاهنامة الفارسية
للقردوسي - نشرها عبد الوهاب عزام

نشأة الدولة الإسلامية

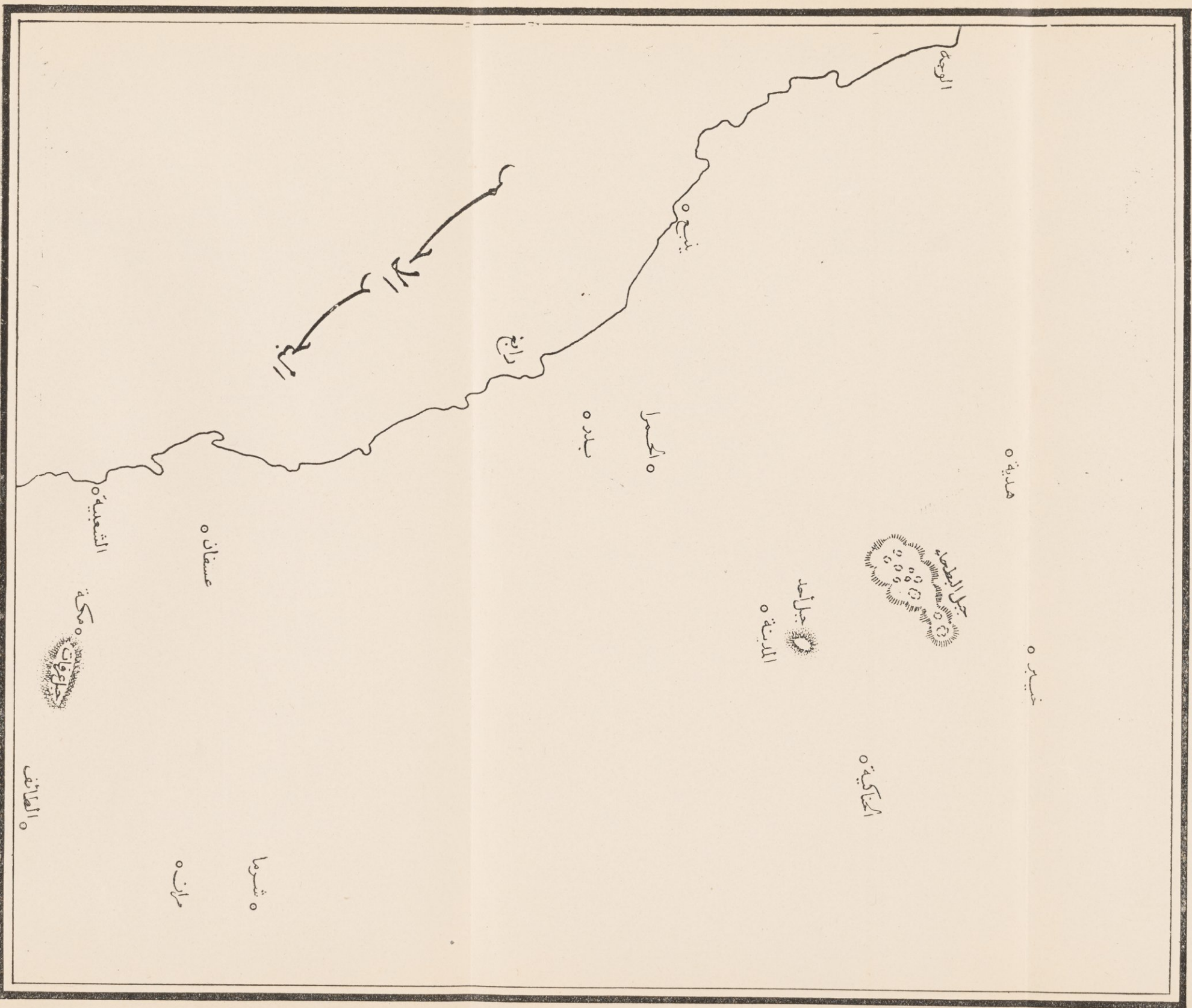
Faint, illegible text, possibly bleed-through from the reverse side of the page.

مجلد الامانة اول

British Library
Oriental Manuscripts
Department
96, Gordon Square
London, W.C.2



خريطة
الحج قبل الاسلام



هذه
عليه
الشر
الجنو
مسج
ومدا

سكان
وزرا
عن
تكاد
العراق
على الش
ولا بالثر
العدي
الاسلام

١ نظام الحكم في الحجاز قبل الاسلام

لم يكن للعرب في الحجاز ، قبل الاسلام « دولة » لا بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة في اصطلاح المتأخرين من علماء العصر الحاضر ، ولا بالمعنى الذى اصطلح عليه الروم والفرس والاحباش في القرن السابع للميلاد وكانوا جيران الحجاز من الشرق (العراق) ومن الغرب (مصر والبحر الأحمر) ومن الشمال (سورية) ومن الجنوب (اليمن) فقد كانت في القسطنطينية والمدائن (طيسفون) واكسوم دول عليها مسحة من النظام ، لها مال الدول عصرنا من شارات ، ونظم ، وقوانين ، وقادة ، وجيوش ومدارس ، وحضارات ، وهيئات نيابية ، وشورية ، الخ

وكانت الحالة الاجتماعية لشعوب هذه الدول ، تفضل الحالة التى كان عليها سكان الحجاز يومئذ ، ومثل ذلك الحالتان الاقتصادية والعلمية ، فهناك تجارة رائجة وزراعة نامية ، وصناعات راقية ، وثروات ضخمة ، وحضارات وفنون لا تقل كثيرا عن حضارات هذا العصر وعلومه وفنونه ، ولسنا بحاجة الى الافاضة في المقابلة ، فالنسبة تكاد تكون مفقودة بين حالة سكان الحجاز ، وبين حالة الاقطار المجاورة لهم وهى العراق والشام ومصر واليمن ، وكانت خاضعة لحكم اجنبي عنها فكان الروم يسيطرون على الشام ومصر سيطرة الفرس على العراق واليمن ، فلا تناسب لبالعدد ولا بالعدد ولا بالثروة ولا بالعلم ، ولا في أى ناحية من النواحي الاجتماعية ، أو الاقتصادية أو العديدة وقد اعتاد الباحثون أن يتخذوها قاعدة لدراساتهم وابعادهم

ونظام القبيلة أو « العصبية » هو الذى كان سائدا في الحجاز ، ابان ظهور الاسلام ، فلكل قبيلة منازل ، وتقاليد ، بل ولهجة ، تختلف عن تقاليد ولهجة وديار

القبيلة الأخرى ؛ وما كانت حالة سكان المدن تفضل ، من هذه الناحية ، حالة البداية فقد انقسموا الى اخاذ وقبائل ، تدير كل منها ناحية خاصة من مدينته ، وتحصن فيها وضم اليها أنصاره وحلفاءه

وحالة مكة حين ظهور الاسلام تؤيد ما نقوله فقد كان الأمويون من أبناء عبد شمس ، ينزلون البطحاء ، وهي الجزء المنبسط حول الكعبة ، وبقربهم الأغنياء من بني مخزوم . أما الهاشميون فكانوا ينزلون شعب بنى هاشم (شعب على بعد ذلك) وكان فيه قبة أقيمت حول المكان الذي ولد فيه النبي محمد وقدهمها الوهابيون حين دخولهم مكة فاتحين سنة ١٩٢٥ وينزل بنو نوفل وبنو أسد وبنو عبد الدار وبنو عدى وبنو تيم في الأحياء الأخرى ، ولكل قبيل حيي يحتضن أبناءه وحلفاءه اما الأخطا (١) فكانوا ينزلون الأحياء البعيدة المنتشرة في سفح الجبل ، ومثلهم « الأخطاف » أيضا فكانوا يقيمون بقربهم

ولم تك هنالك صلات اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية بين مكة والمدينة ، بل بين مكة والطائف ، فكل منها مستقل الاستقلال التام الناجز في ادارة شؤونه الداخلية ، والخارجية ، والحربية ، يعتمد أبنائه على سواعدهم في الدفاع عنها اذا هاجمهم مهاجم أو أغار عليهم مغير .

ويمتاز المكيون عن جيرانهم من سكان المدينة والطائف بميزتين :

الاولى انهم انشأوا جيشا أهليا خاصا سموه « الأخطاف » كان رجاله مزيجا من عناصر ضاقت بها سبل العيش في بلادها فلجأت الى مكة لجندتها قريش في جيشها ، وقادة هذا الجيش من العرب (٢) ويشبه نظامه كثيرا نظام الفرق الأجنبية (Légions Etrangères) في الجيش الفرنسي فجندها خليط من أمشاج شتى وضباطها

(١) يطلقون كلمة « الأخطاف » على اللاجئين الى مكة من غير العرب

أما الأخطاف فهم من ابناء القبائل الذين طردتهم قبائلهم أو فروا الجرائم اقترفوها واستجاروا بقريش فأجارتهم

(٢) كان قائد الأخطاف يوم « أحد » الحليس بن زيادة أحد بني الحرث بن

عبد مناة

من الفرنسيين ، و يوزعها الفرنسيون في الممالك والأقطار ويعتمدون عليها في حروبهم الاستعمارية

وبديهى أن المكين ما كانوا يجعلون كل اعتمادهم على « الأحايش » بل كانوا يتنادون الى الحرب والكفاح عند الحاجة معتمدين على أنفسهم في الدفاع عن مدينتهم ، يؤيد ذلك موقفهم يوم بدر ويوم أحد ويوم الخندق ، فقد اصطلواها بأنفسهم ولم يعولوا على الأحايش ، وما كانت مهمتهم في الغالب تزيد عن مهمة الشرط (البوليس) في هذه الايام ، أى حفظ الأمن الداخلى وتوطيد النظام فلا يبعث به عابث وغنى عن البيان أنه لولا اشتغال المكين بالتجارة ، وكانت لمكة تجارة نامية في ذلك العهد ، وكان فيها تجار أذكىاء نشيطون ، يحملون اليها المتاجر والسلع من الشام والعراق واليمن ويبيعونها في المواسم ، مما أدى الى اثرء بعض بيوتاتها لما استطاعت أن تقوم بنفقات « الأحايش » وما كانوا في الغالب يقولون عن مئات ؛ ولا تجبى الضرائب عادة الا من الشعوب القادرة على دفعها ، ولولا التجارة وما كانت تدره على المكين من أرباح لما استطاعوا دفع شئء ولكنها حالتهم لا تختلف عن حالة اهل المدينة والطائف

والميزة الثانية لمكة على بلاد الحجاز الأخرى هي أنه كان لها شبه « جمهورية » يسودها الأشراف وكبار ابناء الأسر العريقة في المجد ، ومع ما يشوب نظام هذه « الجمهورية » من شوائب فقد كانت الدولة الوحيدة للعرب في الحجاز ، قبل الاسلام

وكان مبدأ توزيع السلطات (القوى) محترما فيها ، فقد اقتسمت عائلات مكة المناصب الكبرى بالتساوى ، فاختص الهاشميون بالسقاية وبنو عبد الدار بالسدانة والحجابة واللواء والندوة ولبنى سهم جباية الاموال ولبنى عدى السفارة ولبنى مخزوم القبة ولبنى امية العقاب ولبنى تيم الديات ولبنى نوفل الرفادة

وكان « النظام الداخلى » لدار الندوة يقضى بعدم قبول من لم يبلغ الأربعين في عضويتها من غير قریش ، ويسمح لمن لم يبلغ هذا السن من القرشيين بدخولها

بشرط أن يكون امتياز بميزة ، وكانت تتألف عادة من الشيوخ الطاعنين في السن
ومن كبار التجار ، والشعراء

وكان ممثلوا الأئخاذ من رؤساء الأسر يجلسون على التوالى طبقا لمقام انخادهم ،
وكانوا لا يرمون أمرا الا بعد بحثه وتمحيصه في برلمانهم الأهلى (دار الندوة) وكانت
قراراتهم محترمة عند الجميع ونافذة على الجميع

وكان لدار الندوة - وهى فى الأصل دار قصى ، جـد الهاشميين والأمويين ،
ويقال انها أول دار بنتها قريش فى مكة - باب يتصل بالكعبة ، أى انها كانت بمثابة
جزء متمم لها ، وقد عفت آثارها الآن ، وبحث كاتب هذه السطور خلال زيارته لمكة
فى سنتى ١٩٢٨ و ١٩٣٠ عن مكانها فلم يوفق الى معرفة شىء عنها

وشهد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم بعض اجتماعات دار الندوة وهو صغير ، وكان
يجلس فى حجر جده عبد المطلب ، وكانت اليه رئاستها . وتوفى هذا وهو صغير فكفله
عمه ابو طالب . فلما بشر بالنبوّة وقام يدعو بدعوته ، وينشر رسالته ، ويعمل لاجراج
قومه من الظلمات الى النور ، وهدايتهم الى السبيل الاقوم ، تألبت عليه قريش فمنعه
منها ، وحماه من كيدها ، وكان له رداء وعونا

معنى الدعوة الإسلامية

الدعوة الإسلامية ، في أصلها دعوة دينية خالصة ، غايتها ارشاد البشر الى الله ، واخراجهم من الظلمات الى النور ، ورسالة علوية سماوية اختص الله بها نبيه ورسوله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المكي القرشي ، ارسله الى الناس كافة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ لانقاذهم من الهمجية والجهالة ، لا لتأسيس الدول وانشاء الممالك ، وللافتح والاستعمار والباحث في سيرة المبعوث الأعظم من بدء بعثته حتى يوم هجرته ، وبينهما ١٣ سنة - فقد بعث وسنه ٤ سنة وهاجر وسنه ٥٣ سنة - يتبين انها مرت في أدوار شتى واجتازت مراحل متعددة ، فقد كانت في ابتداء أمرها قاصرة على الوعظ والارشاد واكتساب الأنصار عن طريق الاقتناع والموعظة الحسنة، وقد آمن به في الدور الاول ويصح أن يسمى «الدور البيتي أو المنزلي» زوجته السيدة خديجة ، وهي أول من آمن به من البشر واهتدى بهديه ، ثم تلاها علي بن ابي طالب ريبه وهو أول فتى دخل في الاسلام ثم زيد بن حارثة عتيقه وهو أول رجل دخل في الاسلام ثم أبو بكر الصديق وأسلم بدعوته عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطاحه بن عبيد الله . وانتقلت الدعوة من هذا الدور وكانت فيه ضيقة الدائرة محدودة النطاق ، وقد استمر ثلاث سنوات الى دور أعم وأوسع ونعني به « دور الأهل والعشيرة » فقد أمره الوحي بأن يدعو عشيرته الاقربين فأرسل فدعا آل عبد المطلب الى مأدبة أدهبها لهم فحضرها ٤٠ منهم خطبهم في ختامها خطبة

مؤثرة استمالة لهم ، فهزأ به بعضهم وسكت آخرون (١) وانتهت المأدبة من دون نجاح يذكر ، فلم يضعف ذلك من همته ولم يحمله على التراجع والتباطؤ

وتلا هذا الدور دور ثالث هو «دور الجهر بالدعوة» فقد سعد ذات صباح ، وذلك في السنة السادسة من سنى الدعوة على الصفا (بجوار الكعبة) وقال بصوت جهورى : « أصبح الصباح فهبوا يا بنى فهر ، يا بنى عدى ، يا بنى مخزوم ، يا بطون قريش فأقبلوا عليه ، فقال لهم أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى يكمنون لكم اكنتم مصدقئ؟ قالوا نعم ، ماجر بنا عليك كذبا . قال فانى نذير لكم بين يدي عذاب شديد » يا بنى عبد المطلب ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى زهرة حتى عدد الانخاذ من قريش : ان الله أمرنى أن أندر عشيرتى الاقربين وانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لا إله الا الله »

فقال له عمه أبو لهب « تبالك سائر اليوم لهذا جمعتنا » وقاومت قريش الدعوة الاسلامية وكافحتها ، فلم يعبأ بها ، ولم يحفل بمقاومتها ، وكان ينشر دعوته ، فى كل ناد ، ويخرج للناس فى المواسم والأعياد ، يدعوهم «لدين التوحيد والايان بالله » ففشا أمره وذاع ذكره ، وكثر اتباعه كثرة أخافت قريشا فأذته واضطهدت أصحابه فلم يزددهم ذلك الا ايمانا وتمسكا بدينهم وعقيدتهم فهاجر بعضهم الى الحبشة فارين بدينهم وایمانهم وأقام ذوو العصبية منهم فى مكة لهم من عصبيتهم درع متين وحصن حصين

ويبتدىء الدور الرابع باسلام حمزة وعمر بن الخطاب فى السنة الثامنة للبعثة وهما من أبطال قريش وصناديدها فقد عز الاسلام بدخولهما فيه

(١) هذا نص الخطبة « يا بنى عبد المطلب : ان الرائد لا يكتب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم . والله الذى لا اله الا هو ، انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة ، والله لتمون كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالاحسان احسانا ، وبالسوء سوءا انها لجنة أبدا ولنار أبدا

وفي هذه السنة صلى المسلمون للمرة الأولى في الكعبة جهرة وكانوا يقيمون صلاتهم من قبل في الخفاء فأقلق ذلك قريشا وأزعجها ، وأخافها وأرهبها ، فضربت أخماسا في أسداس ودرست الوسائل والسبل التي تتوصل بها الى اضعاف شأن الاسلام والقضاء عليه بعد ما عجزت عن استمالة صاحب الدعوة وقد بذلت له أنواع المغريات لصرفه عن الأمر الذي جاء به ، فلم يعن ذلك عنها شيئا .

المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية

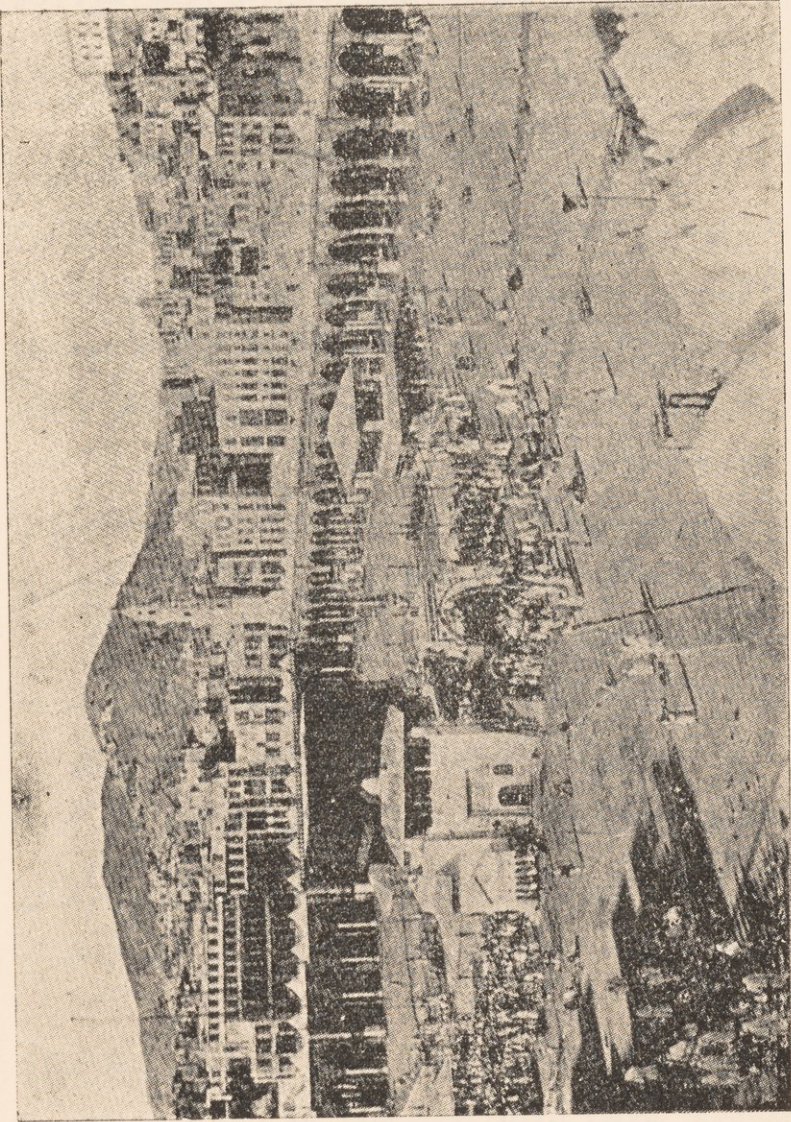
والمقاطعتان الاجتماعية والاقتصادية هما آخر سلاح تسلحت به قريش في نضالها وكانت تظن انها تبلغ به مناهها وتتخلص من صاحبها ، وبيان ذلك ان صناديدها وكبارها اجتمعوا في دار الندوة وتعاهدوا على مقاطعة بني هاشم وعدم معاملتهم والاتجار معهم ومصاهرتهم ما لم يساموهم محمدا ويكفوهم أمره ، وراى بنو هاشم أن تخليهم عن رجلهم يلحق بهم سبة وعارا ، وكان معظمهم لا يزال على دين الجاهلية فأحاطوا به وتحصنوا في شعب بني هاشم واعتزلوا قريشا واعتزلتهم لا يعاملونها ولا تعاملهم ولا يتصلون بها ولا تتصل بهم الا في الأشهر الحرم فقد كانوا يخرجون في خلالها الى مكة ويشتركون في المواسم التي تقام ، ثم يعودون بعدها الى معتصمهم في الشعب وظلوا على ذلك سنتين وقيل ثلاثا فحير قريشا ثباتهم وصبرهم وقوة عزيمتهم ، فأعدت النظر في أمرهم وقررت بعد طول المناقشة والبحث - وقد اشترك في الاجتماعات التي عقدت لدرس هذه القضية معظم صناديدها وأقطابها - الغاء « المقاطعة » ورفع « الحرمان » فرجعوا الى منازلهم في مكة وعادوا الى ما كانوا عليه من التعامل ، بيد أن هذا لم يحل دون اضطهاد المسلمين ، والتشديد عليهم افرادا وجماعات ، والتذرع بجميع الوسائل لهم على الردة ، ومنع انتشار الاسلام ونموه

التجاء النبي الى الطائف

وتوفي أبو طالب في السنة العاشرة للهجرة وكان حامى الرسول وكافئه، وناصره ومعينه ، فازدادت قريش له جفاء فأخذ يبحث عن ذى عصبية يحميه ويكف عنه أذى السفهاء فقصده لذلك الطائف يوم ٢٧ شوال من السنة العاشرة للبعثة للهجرة ومعهم مولاة زيد بن حارثة ، لاجئا الى ثقيف وقابل جماعة من أشرفهم فدعاهم الى الله فردوه وأغروا سفاهم وعبيدهم به ، يسبونهم ويصيحون عليه حتى اجتمع عليه الناس والجاؤه الى حائط فلما اطمأن ورجع عنه السفهاء دعا بالدعاء الآتي :

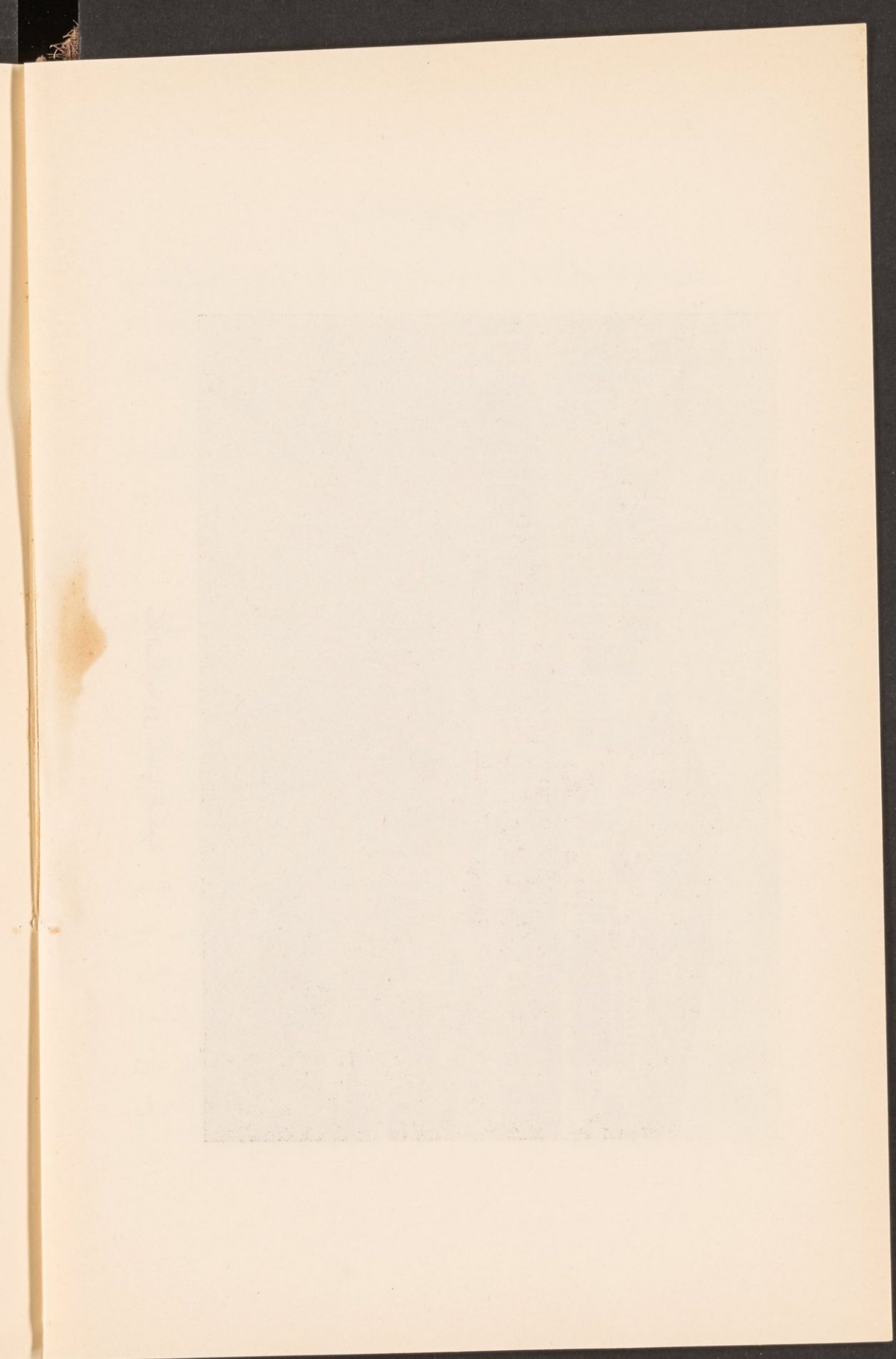
« اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهوانى على الناس
 « اللهم يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلمنى ؟
 الى بعيد يتجهمنى أو الى عدو ملكته أمرى؟ ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ،
 ولكن عافيتك هى أوسع
 « أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة
 من أن تنزل بى غضبك ، أو تحل بى سخطك، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا
 قوة الا بك »

وقضى فى رحلته الى الطائف عشرة أيام ، ثم عاد ولم تقض حاجته ، ولم يجد الذى يأوى الى كنفه ، ولما بلغ نخلة (مكان بين مكة والطائف ويبعد عن الاولى نحو ٣٥ كيلو مترا وهو الى شرقها ولا يزال قائما) أقام فيها وأرسل الى المطعم بن عدى يسأله ان يجيره حتى يبلغ رسالات ربه ، فأجاره ، فدخل مكة فى حماه آمننا مطمئنا ؛ وفى بحثه عن حام له بعد وفاة عمه وزعيم أسرته فيه ما فيه من الدلالة على عظم شأن العصبية عندهم ، وتأثيرها فى مجتمعهم الجاهلى . وقد كان لعصبية القوية دخل كبير فى نجاح دعوته ، وبلوغ مابلغه



بغداد
 دارالعلم
 ووقفه
 في بغداد

في
 ن
 ؛
 نو
 د
 لا
 ؟



مضموره في المواسم

واستمر بعد رجوعه من الطائف في نشر دعوته ، وكان يحضر المواسم ويجتمع بالقبائل ويعرض عليها نفسه ، ويدعوها الى الدخول في دين الله ، فكان خبره يزداد شيوعا ، واسمه يزداد ذيوعا

اتصال بالاوس والخزرج

واتصل في موسم السنة العاشرة بنفر من الاوس والخزرج اليربيين جاءوا من طيبة لزيارة الكعبة ، وكان عرب الحجاز يحجون اليها ، فدعاهم الى الاسلام فأسلموا (١) وانقلبوا الى قومهم فأخبروهم خبره ، ففشوا الاسلام في المدينة ، وجاء في العام التالي اثنا عشر يثريا : ١٠ من الاوس واثنان من الخزرج فاجتمعوا به عند العقبة وبايعوه بيعة العقبة الاولى (٢)

وأرسل معهم حين منصرفهم الى المدينة مصعب بن عمير من أصحابه يقرؤهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ، ويفقههم في الدين ، فانتشر الاسلام في المدينة ، وراج سوقه ، وكثر أتباعه ومعتنقوه

وأقبل في السنة الثالثة وفد كبير من اليربيين بلغت عدته ٧٢ شخصا منهم ٧٠ رجلا وامرأتان هما نسيبة بنت كعب أم عمارة وأسما بنت عمرو بن عدى من بنى سامة فواعدوا النبي سرا واجتمعوا به بعد منتصف الليل عند العقبة وهي على يسار القاصد

(١) هذه اسماء النفر وهم ستة : أبو امامة أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وعامر بن عبد حارثة ، وقطبة بن عامر ، وجابر عبد الله بن رباب

(٢) هذا نص صيغة البيعة : « نبأبعك يا رسول الله على ان لا تشرك بالله شيئا ، ولا تسرق ، ولا تزنى ، ولا تقتل أولادنا ، ولا تأتى يرهان نفتره من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف »

من منى الى مكة ، فجاءهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، وبدأ العباس الكلام فقال لهم :

« يامعشر الخزرج ان محمدا منا حيث قد علمتم في عز ومنعة ، وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم ، فان كنتم ترون أنكم تفون له بما دعوتموه اليه ومانعوه فأتتم وذلك وان كنتم ترون أنكم مساموه فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة »

ثم تلا النبي بعض آي القرآن ورغب في الاسلام وقال لهم اني أطلب منكم أن تمنعوني مما تمنعون عنه نساءكم وأبناءكم. وتكلم البراء بن معرور فأخذ بيده وقال : والذي بعثك بالحق لمنعك عما تمنع منه ذرارينا فبايعنا يارسول الله فنحن والله أهل الحرب وتكلم أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الاشهل فقال يارسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا وانا قاطعوها ، فهل عسيت ان أظهرك الله عز وجل أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم الرسول ﷺ وقال بل الدم الدم ، الهدم ، الهدم ، أتم منى وأنا منكم أسلم من سالمتم ، وأحارب من حاربتهم

ثم اختار منهم ١٢ نقيبا يكونون على قومهم ٩ من الخزرج و ٣ من الاوس وهذه أسماؤهم :

سعد بن عباد ، واسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، وسعد بن خيثمة. والمنذر ابن عمرو ، وعبد الله بن رواحة ، والبراء بن معرور ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وأسيد ابن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام ، وعباد بن الصامت ورافع بن مالك

وهذا نص صيغة بيعة العقبة الثانية

« أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون عنه نساءكم وأولادكم »

الأوس والخزرج

في دخول الأوس والخزرج في الاسلام ، وبيعة العقبة الثانية ، فاتحة تحول خطير الشأن في سير الاسلام ولاغرو فقد لقي النبي بعد طول جهاده ونضاله ، مدة ثلاث عشرة سنة ، قبيلة عربية قوية متحضرة ، قبلت أن تنزله في أرضها وتحميه وتدافع عنه كما تدافع عن نساءها وأبنائها ، وهما آمن ما عند العرب ، وتبذل كل شيء في سبيل تأييده ونصرته .

ولقد تبين مما قدمناه أن العلاقات بين النبي واليثر بين سارت في مجراها الطبيعي العادي ، فكان في المرحلة الأولى (السنة العاشرة) لقاء في الموسم ، فتعارف بينه وبين ستة منهم انتهى بدخولهم في الاسلام وعودتهم الى مدينتهم ونشرهم الدين في ربوعها ، ثم قدوم ١٢ منهم في العام التالي واجتماعهم اليه ، وارساله معهم مصعب بن عمير ، يعلمهم القرآن ، ويفقههم في دينهم ، وقد أنتج ارساله أفضل النتائج فقد كان لاختلاصه في دينه ، وحبه لبيته ، وتفانيه في نصرته ، تأثير كبير في نفوس زعماء الأوس والخزرج فأسلموا على يده فارتفع شأن الاسلام بهم وفضا في ديارهم ، وبدلا من الاثني عشر الذين جاءوا في السنة الثانية ، جاء منهم ٧٢ في السنة الثالثة فاجتمعوا اليه سرا كما قدمنا وشهد اجتماعهم عمه العباس ، وبايعوه على غير ما بايعه اخوانهم في السنة الماضية ، وما ذلك الا لأن الموقف في مكة كان قد تبدل تبدا أدرك النبي معه صعوبة الإقامة فيها فحول على الهجرة الى المدينة ، وكانت أخبار فشو الدين فيها تصله من مندوبه ، فيقيم بين أنصاره وأتباعه حيث يكون في مأمن ومنعة

فكرة الهجرة الى المدينة ، لم ترتجل ارتجالا ، وإنما بعثت عليها الحوادث وفي

مقدمتها شدة ضغط المكيين عليه وعلى أتباعه من الوجهة السلبية، ودخول الأوس والخزرج في الاسلام وهم سادة المدينة وأصحاب الرأى فيها من الوجهة الايجابية ، ومعنى ذلك انه أصبح في مقدور المسلمين أن يلجأوا اليها فينزلوا عند اخوانهم و يقيموا معززين مكرمين ، يعبدون ربهم ، ويجاهرون بعقيدتهم ، من دون أن يخشوا اضطهادا وتعديبا ولا يخفي أن بعضهم كان مهاجرا في الحبشة عند النجاشي

ولما اختمرت هذه الفكرة في رأسه ﷺ فاتح اليربيين بها حينما جاءوه في السنة الثالثة ، فقبلوها بدون تردد بعدما اشترطوا عليه أن لا يدعهم وشأنهم ، ويرحل عنهم اذا فتح الله له ، فقبل شرطهم ، وهكذا تمت البيعة وعين عليهم النقباء وبعد ما نظمهم ورتب أمورهم عادوا الى مدينتهم وأخذوا يتأهبون للعمل العظيم ، الذى اعدوه لأنفسهم ، أو أعدته الأقدار لهم ، وعاد هو الى مكة آمنا مطمئنا لانه لقي بين قبائل العرب من ترضى بأن تبذل دمها فى سبيله وتحميه وتدافع عنه ، وقد كان ذلك فوزا عظيما له لا يستهان به وخصوصا متى ذكرنا ما لقيه من اعراض قومه وجفائهم . وما لقيه فى رحلته الى الطائف من مقاومة شديدة واعراض جميع القبائل عنه خلال دعوته فى ثلاث عشرة سنة

أصل الأوسن والخزرج

والأوس والخزرج قبيلتان مشهورتان فى شمالى الحجاز وأصلهما من قبائل قحطان التى هاجرت على أثر حادث سيل العرم المشهور وينزلون يثرب وهى على ٤٥٠ كيلو مترا من مكة الى الشمال ، و١٣٠٣ كيلو مترات من دمشق الى الجنوب ونحو ألف كيلو متر من بغداد شرقا وتعد عاصمة شمالى الحجاز

وأوس وخزرج اخوان والدهما حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزريقاء ابن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ووالدهما قبيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد من قضاة

و بطون الأوس تنسب لمالك بن الأوس وولده :

خطة بن جشم بن مالك و ثعلبة ولوذان وعوف وهم بنو عمرو بن عوف بن مالك
ومن بني عوف حنش ومالك وكلفة . ومن مالك معاوية وزيد ، ومن زيد عبيد
وضبيعة وأمّية ، ومن كلفة حججبا . ومن مالك بن الأوس الحارث وكعب ابنا الخزرج
ابن عمرو بن مالك

ومن كعب بنوظفر ، ومن الحارث بن الخزرج حارثة وجشم . ومن جشم
بنو عبد الأشهل

ومن مالك بن الأوس بنو سعد و بنو عامر ابنا مرة بن مالك و بنو سعد الجعادرة
ومن بني عامر عطية وأمّية و وائل بنو زيد بن قيس بن عامر . ومنه أيضا اسلم و واقف
ابنا امرئ القيس بن مالك

و بطون الخزرج خمسة : كعب وعمرو وعوف وجشم والحارث

فمن الأول : بنو ساعدة بن كعب

ومن الثاني : بنو النجار وهم تيم الله بن ثعلبة بن عمرو وهم شعوب كثيرة : بنو
مالك ، و بنو عدى ، و بنو مازن ، و بنو دينار . ومن مالك مبدول واسمه عامر وغاتم
وعمرو ، ومن هذا عدى ومعاوية

ومن الثالث : بنو سالم والقواقل وهما عوف بن عمرو بن عوف . والقواقل ثعلبة
وصرخمة بنو قوقل بن عوف . ومن سالم بن عوف بنو العجلان بن زيد بن عصم بن
سالم و بنو سالم بن عوف

ومن الرابع : بنو غضب بن جشم ويزيد بن جشم . ومن الأول بنو بياضة ،
و بنو زريق و بنو عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ، ومن يزيد بن
جشم بنو سامة بن سعد

ومن الخامس : بنو خدرية و بنو حرام بن عوف بن الحارث بن الخزرج

عدد نفوس الاوس والخزرج

تلك هي بطون الاوس والخزرج ، وكانت تنزل في نفس المدينة وفي ضاحيتها
وتعمل في الزراعة ولها نخيل وكروم وبيوت ومساكن أى انها مستقرة متحضرة ،
بعكس بعض قبائل الحجاز الاخرى . اما عددها فالمرجح انه كان يتفاوت بين الفين
وخمسةائة وثلاثة آلاف ، يخرجون نحو ألف مقاتل وقد ابلاوا أحسن بلاء في نصره الاسلام
ونشره وتأيدته

قريش تأتمر بالنبي وتقرر اغتياله

لم يخف على قريش ، وما كانت تجهل ما بين النبي ﷺ والاوز والحزرج من صلات ، أمر العقبة الثانية والاتفاق الذي عقد فيها ، ولم يبق خبر انتشار الاسلام في المدينة وفشوه بين طبقاتها سرا من الاسرار ، فصعب بن عمير مندوب النبي ﷺ ينزلها ويعلم أبناءها الدين والقرآن ويصلي بهم ، ويعمل على ازالة ما بينهم من ضغائن واحقاد وأدركت قريش ان صبرها على النبي كاد يوصلها الى النتيجة التي طالما تخوف منها بعض غلاتها ، وهي فشو أمره بين القبائل وانتشار صيته ، ونجاح قضيته ، فعزمت على القيام بأمر حاسم ، يحل مشكلته ، وينجز أمره ، وذلك باغتياله والتخلص منه ، فتدفن دعوته في قبره ، وتلحد في كفنه ، فيتناساها الناس وتدخل في خبر كان

ولكن كيف السبيل الى اغتياله ؟ وما هي طرقه واساليبه ؟ وما يكون موقف بنى هاشم ، وهم ذوو عصبية ونجدة واولو بأس وقوة ازاء هذا الحادث ؟ وهلا يؤدي الاقدام عليه الى اضرار نار حرب اهلية في بطن مكة لاتبقى ولا تذر فتصطدم القبائل بالقبائل وتقع الواقعة بين بنى الاعمام وهو ما يحذره العقلاء ويعملون على اجتنابه واتقائه ! ودار بحث طويل بين دعاة هذه الفكرة وأنصارها حول تنفيذها ، ويقال انهم عقدوا اجتماعا سريا خاصا في دار الندوة ، لم يدع اليه أحد من بنى هاشم ، وكانوا رغم بقاء أكثرهم على دين الجاهلية ، يؤيدون صاحبهم وينصرونه ، عملا بمبدأ العصبية ، واعتقادا منهم أن في فوزه اعلاء لشأنهم ، وتعزيزا لمكاثرتهم ، وقد لانبالغ اذا قلنا ان النضال بين الهاشميين والامويين في زمن البعثة كان محليا

أكثر منه دينيا ، فقد أدرك الامويون من الساعة الاولى ان فوز محمد ﷺ يؤدي الى انتزاع السيطرة منهم على الوادى ، ويرفع شأن الهاشميين ويرجح كفتهم ، وكانوا دون الأمويين وجاهة وغنى وان كانوا أكثر منهم عددا

وقد جاء سير الحوادث فى النهاية مؤيدا لهذا الرأى فقضى فتح مكة بعد ذلك على كل ما كان للأمويين وحلفائهم من بنى مخزوم من نفوذ ومقام وصاروا تبعاء لبنى هاشم ، ولم يرتفع رأسهم الا بعد خلافة عثمان الأموى ، أى بعد انقضاء نحو ربع قرن على فتح مكة

واستقر قرار المؤتمرين على انتداب اثنى عشر شابا يمثلون بطون مكة وانفاذها يجتمعون فى ليلة معينة على باب داره ويرابطون حتى الصباح فيأخذونه بسيوفهم المسلحة حين خروجه فيضيق دمه بين القبائل فلا يعرف الهاشميون من يطالبونه به فيرضون بالدية لانه لا قبل لهم بمحاربة مكة طلبا بثأره

نعم : هذا ما أجمع المؤرخون على أن رجال قريش اتفقوا عليه حينما عجزوا عن إخماد الحركة الاسلامية ، وعن اطفاء نورها ، وعن استمالة صاحبها ، وصرف الناس عنه ، وهى تدل على منتهى العجز والجن ، ولم يخف عليه ما يدبرونه له فى الخفاء وما يكيدونه له من مكائد ، ولعله عرف أيضا تاريخ الليلة التى استعدادا لتنفيذ خطتهم فى صباحها ، فغادر منزله متنكرا ، الى منزل أبى بكر ، ولكى يرجح الوقت الكافى للتغيب أو عزالى ابن عمه وربيه على بن ابى طالب بأن ينام فى فراشه ، ويتسدر بدثاره الأخضر ، تضليلا للمؤتمرين وصرفا لهم عن مطاردته واللاحق به ، فلا يأخذون عليه الطرق والمسارب قبل أن يبلغ مأمنا يأمن به

وجاز عليهم الأمر حينما بصروا بعلى وهو نائم فى مكانه ، فقضوا الليل فى انتظاره ، ولما طلع النهار وخرج عليهم أسقط فى أيديهم ، وعرفوا أنهم خسروا الصفقة وأضاعوا الوقت ، فلم يثبط ذلك من عزائمهم فأرسلوا من يطلبه ويبحث عنه وأذاعوا فى القبائل أنهم يدفعون جعلا كبيرا لمن يأتيهم به ، وكان قد احتاط لمثل هذا

الأمر فاجأ الى غار ثور فأقام ثلاثة أيام بلياليها . ولما هدأت الضجة وعرف أنهم كفوا
 عن مطاردته غادر الغار الى يثرب ومعه صاحبه أبو بكر الصديق وقد لجأ الى بيته في الليلة
 التي اتتمر به المشركون فيها ، ثم لجأ معه الى الغار ، وقصدا المدينة يوم الخميس أول شهر
 ربيع الاول من السنة الثالثة عشرة للبعثة (٢٨ يونيو سنة ٦٢٢ م) فدخلها بين
 مظاهر الحفاوة والتكريم

[Faint, illegible handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.]

[Faint, illegible handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.]

[Faint, illegible handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.]

الهجرة

عكف النبي ﷺ بعد بيعة العقبة الثانية على تنظيم الحركة تنظيمًا جديدًا ، فأصدر أوامر سرية إلى أصحابه بأن يلحقوا بالمدينة وبأن يتكتموا في خروجهم فقصدها تحت إشرافه وملاحظته جماعات ووجداناً ، وكان أول من بلغها في هذا الدور أبو سلمة بن عبد الأسد وعامر بن ربيعة وعبدالله بن جحش ، ثم تتابع وصول المهاجرين من بعدهم حتى لم يبق بمكة حينما غادرها في شهر ربيع الأول - أي بعد العقبة بشهرين و بضعة عشر يوماً - سوى أبي بكر وقد جاء معه ، وعلى بن أبي طالب وقد لحق به ومعه الفواطم وأم أيمن وولدها وبعض ضعفاء المؤمنين . ومعنى ذلك أن عملية الهجرة استغرقت شهرين و بضعة أيام ، لم يتخلف عنها أحد من اصحاء الايمان

ولم تقف في كتب السير المختلفة على احصاء دقيق لعدد المهاجرين الذين غادروا مكة إلى المدينة في تلك الفترة ، ويلوح لنا أن عددهم ما كان يزيد على المئة يؤيد ذلك ما روى في الأسانيد الصحيحة وهو أن الجمعة ادركته في بني سالم بن عوف ، في طريقه من قبا إلى المدينة فصلاها في المسجد الذي ببطن الوادي بمن معه من المسلمين وهي أول جمعة صلاها بالمدينة وكان معه مئة من أصحابه ، ولا بد أن يكون بينهم عدد غير قليل من الأنصار الذين جاءوا لاستقباله وصحبوه في سيره إلى المدينة

وفضلاً عن ذلك فإن ابن هشام لم يورد أسماء أكثر من ٦٠ صحابياً قال انهم هاجروا إلى المدينة حينما صدر اليهم الأمر بالهجرة ، وكذلك فإن عدد الذين آخى النبي ﷺ بينهم وبين الأنصار من المهاجرين لم يزد على خمسة وعشرين صحابياً

وإذا أضفنا الى هذا العدد ، عدد المهاجرين المكيين الذين كانوا في الحبشة -
 وكان عددهم يوم هجرتهم ١٠١ مهاجرا منهم ٨٣ رجلا و ١١ امرأة قريشية و ٧
 غير قريشيات ، وقد مات بعضهم في الحبشة وتخلف آخرون في مكة ، ولم يصل منهم
 الى المدينة بعد استقرار المساميين فيها سوى ٤١ منهم ٣٣ رجلا و ٨ من النساء -
 عرفنا أن مجموع عدد المهاجرين الاول ما كان يزيد عن مئة وخمسين بين نساء
 ورجال وأطفال وشيوخ ويقال في رواية أخرى انهم كانوا أكثر من ذلك وقد انضم
 هؤلاء الى الاوس والخزرج « الأنصار » ومن هؤلاء وهؤلاء تألفت نواة الأمة
 الاسلامية ، وبفضل اخلاصهم وتضحياتهم فاز الاسلام وانتشر الدين وعلت كلمة الله

في طريق المدينة

يلوح لنا أن مؤامرة قريش ، لم تزد على أن عجلت في سفر النبي ﷺ من مكة الى المدينة ، وقدمت مواعده ، فجميع الدلائل تدل على انه كان معتما مهاجرة الى يثرب مقرها

ولا ريب ان في هجرة جميع من كان في مكة من المسلمين الى المدينة، في خلال الفترة الممتدة بين النصف الثاني من شهر ذي الحجة وبين النصف الثاني من شهر صفر ، على أثر العقبة الثانية - وقد قصدوا المدينة بأمره وسافروا تحت اشرافه - ما ثبت اعتزامه اللحاق بهم ليكون على رأسهم . هذا فضلا عن انه لم يكن في مكة يوم خروجه منهم سوى ابي بكر الصديق وكان قد أعد معدات الرحلة ، وأقام ينتظر الرسول ليكون في صحبته . وقد سافرا فعلا بعد ذلك ، وعلى بن أبي طالب وقد لحق به على الأثر ، يضاف الى هذا أنه عاهد اليربيين في منى على ان يلحق بهم وينزل بينهم ، وأن يحموه ويدافعوا عنه

وعجل في الرحيل حينما عرف أن القوم يأترون به ، وينوون اغتياله ، فقصده منزل أبي بكر متخفيا وفي غير الميعاد الذي اعتاد أن يزوره فيه ، فأيقظه من نومه ، وأبلغه أنه أذن له بالهجرة ، فقصدا غار ثور فلجأ اليه ، وكان ذلك مساء يوم الخميس أول ربيع الأول كما رواه المحققون وهو اليوم الذي اعتزمت فيه قريش تنفيذ مؤامرتها . ولولا ذلك لما اضطر الى التخفي وزيارة ابي بكر في غير موعد الزيارة وطلبه اليه أن يخلى منزله ثم التجأهما الى الغار ، وتكليفه على بن ابي طالب أن يرد الامانات الى أهلها

رواية البخاري لحديث الهجرة

ونحن نثبت هنا رواية صحيح البخاري منقولة عن السيدة عائشة بنت ابى بكر الصديق وهي تؤيد ما قلناه واستنتجناه قالت :

« فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبى بكر في نحر الظهيرة^(١) قال قائل لأبى بكر هذا رسول الله جاء متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها . فقال أبو بكر فداء له أبى وأمى والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر . قالت عائشة : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال لأبى بكر أخرج من عندك (مما يدل على شدة الخذر) فقال أبو بكر انما هم أهلك

« قال فقد أذن لى في الخروج (الهجرة) قال أبو بكر الصعبة بأبى أنت يارسول الله . قال نعم . قال فخذ احدى راحلتى هاتين . قال بالثمن

« قالت عائشة وجهنناهما أحث جهاز (أى أسرعه) وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فسميت ذات النطاقين . ثم لحق رسول الله وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال

الطريق الذى سلطاه

وغادر الرسول ﷺ وصديقه الغار حينما شعرا أن الضجة التى قامت حول تغييها سكنت وانه لا خوف عليهما ولا خطر ، وصحبهما دليل ماهر هو عبد الله بن اريقط من بنى الديل ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر (أى خادمه أو تابعه)

(١) أى ابان اشتدادها وكان ذلك في أواخر شهر يونيو . ومكة تكون شديدة الحرارة في مثل هذا الشهر وخصوصا عند الظهيرة ولا تقل درجة الحرارة فيها عن الأربعين في ميزان سنتغراد

وسلك الدليل بالركب طريق الساحل (ساحل البحر الأحمر) وبين مكة
والمدينة أربع طرق يسلكها المسافرون وهي :

١ - الطريق السلطاني

٢ - الطريق الفرعي

٣ - الغاير

٤ - الشرق

والمسافة بين المدينتين نحو ٤٥٠ كيلومترا في الطريق السلطاني على انها في
طريق الغاير أقصر ، ويسمونه الطريق المدني لان أهل المدينة يستسهلونه في حجهم
لقربه فيركبون هجرتهم أو حميرهم أو خيلهم ويسرون فيه قوافل قوافل ، ولهم منازل
يتزلون فيها

ويلاحظ لنا أن الدليل اتجه بهم الى عسفان وهي على مرحلتين من مكة ثم قصد
القضيمة فراغ ومنها اتجه الى المدينة رأسا فوصل يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول الى قبا
(وهي قرية خصبة بها حدائق على خمسة كيلومترات من جنوبي المدينة الغربي)
فنزله ضيفا على كاثوم بن الهرم شيخ بنى عمرو بن عوف (الاوس) وكان قد أسلم
قبل وصوله وأقام عنده أيام الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس

أول مسجد في الاسلام

وفي قبا أسس مسجدها المعروف وقد جدد بناءه السلطان عبد الحميد الاول في
القرن الثاني عشر للهجرة ، وفي وسط سحنه قبة أقيمت على مبارك نافته ﷺ ولا يزال
قائما تؤدي فيه الصلاة وهو الذي أسس على التقوى من أول يوم

اول جمعة في الاسلام

وغادر النبي ﷺ قبا ضحى يوم الجمعة ١٦ ربيع الاول الى المدينة فأدركته
صلاتها في بني سالم بن عوف (آبار على في الوقت الحاضر) فصلى بالذين كانوا معه

وهي أول جمعة صلاها في المدينة وخطب الخطبة الآتية فسن بذلك خطبة الجمعة قال :
 « الحمد لله أحمده واستعينه ، واستغفره واستهديه ، وأومن به ولا أكفره ،
 وأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده
 ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة
 من الناس ، وانقطاع من الزمن ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل
 » ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى ، وفرط وضل
 ضللا بعيدا

« أوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم ، ثم أن يحضه على الآخرة
 وأن يأمره بتقوى الله . فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك
 نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرا ، وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من
 ربه عون صدق على ماتبعون من أمر الآخرة

« ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوى بذلك
 الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره ، وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى
 ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ، ويحذركم الله
 نفسه والله رؤوف بالعباد

« ولقد صدق قوله ، وأنجز وعده ، لاخلف لذلك فانه يقول عز وجل ﴿ مَا يَمْدُلُ
 الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله ، في السر
 والعلانية فان من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ، ومن يتق الله فقد فاز فوزا
 عظيما وان تقوى الله يوقى مقتته ويوقى سخطه . وان تقوى الله يبيض الوجه ويرضى
 الرب ويرفع الدرجة

« خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم
 سبيله ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين
 » فاحسنوا كما أحسن الله اليكم ، واعدوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده

هو اجتباكم وسماكم المسامين ؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة ولا
قوة الا بالله

« فأكثر واذكر الله ، واعملوا لما بعد اليوم ، فانه من يصلح بينه وبين الله
يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ،
ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة الا بالله العظيم »

وهول المدينة

واستأنف السير الى المدينة فدخلها بعد الظهر دخول الفاتح الظافر واستقبله
أهلها استقبالا لاعهد له بمثله فمشى رجالها بين يديه وقد تقلدوا السيوف وهزوا الرماح
وأشدت فتياتها نشيد الاستقبال المشهور :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وواصل الموكب سيره في داخل المدينة ، وكان لا يمر بدار من دور الأتصار الا
قالوا له هلم يارسول الله الى العدد والعدة والمنعة ويعترضون ناقته ، فيقول خلوا سبيلها
فانها مأمورة ، حتى بلغت موضع مسجده الحالى ، فبركت فنزل عنها واشترى المكان
وبنى مسجده واستقر فيه

بيان الدولة الجديدة

تبدل موقف النبي ﷺ بعد وصوله الى المدينة تبديلا ظاهرا وتغيرت حالته تغيرا مشهودا ، فبعد أن كان في مكة خائفا مضطهدا لا يجسر على الظهور في المجتمعات العامة ولا يستطيع التجول في الأسواق ، بله الصلاة في الكعبة من دون أن يستهدف لاعتداء ، أصبح هنا مطاع الكلمة ، مهاب الجانب ، كما أصبح الرئيس والزعيم الطبيعي لاصحابه وأنصاره سواء منهم الذين جاءوه من مكة وقد ضحوا كل شيء في سبيله ، وسواء منهم أبناء المدينة وقد اعترضوا بنزوله بينهم ، وبايعوه على السمع والطاعة واسلسوا له القياد والعنان

وعكف في خلال الأسابيع الاولى على درس الحالة العامة وعلى التعرف الى الأشخاص والجماعات توطئة للعمل الذي لابد من عمله في المرحلة الجديدة ، فجال المسلمين هنا غير حالمهم هناك ، وموقفهم في المدينة غير موقفهم في مكة وأول ماشرع فيه بعد نزوله المدينة انشاؤه مسجده ، فقد ابتاع أرضا سهلا وسهيل وهما غلامان من بني النجار ثم باشر البناء

وكان ينقل الطوب (اللبن) على عاتقه . وكان طول المسجد مئة ذراع وجعل قبلته الى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب : باب في مؤخرته وهو في جهة القبلة الى اليوم ، وباب عاتكة ويسمى اليوم باب الرحمة ، والباب الذي كان يدخل منه وهو باب آل عثمان اليوم

وكان سقف المسجد جريدا وعمده من خشب النخل ، وكانوا يوقدون القش عند صلاة الصبح والعشاء والمغرب في أول الأمر ثم أسرجوا المصابيح وأنشأ الى جانب المسجد غرضا خاصة لسكناه وسكنى أهل بيته ، وجعل بينه

وبين المسجد بابا (باب آل عثمان اليوم) وكان يدخل ويخرج منه
واتخذ المسجد مقراله ، ومركز الأعمال فكان يصلى فيه ويستقبل الزوار ،
ويفصل في الشؤون ، كما كان المسجد ناديا عاما للمسلمين يجتمعون فيه ، ويقضون فيه
معظم أوقاتهم ، ويؤدون صلواتهم ، ولا يفارقونه إلا لضرورة ، وبالاجمال فقد كان
موثلا لهم ومثابة

وبعد ماتم ببناء المسجد واستقر فيه ، وارتاح باله من جهة السكن ومن جهة
قريش ، بدأ عمله السياسي في المدينة بكتابة الصحيفة الآتية فكانت في نظرنا أول
عمل سياسي للدولة الجديدة ، وقد انشئت يوم نزوله المدينة ، وتوليه قيادة أصحابه
وزعامتهم من الوجهة العملية ، وان لم تنشأ من الوجهة النظرية
وهذا نص الصحيفة او البيان :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن
تبعهم فليحق بهم وجاهد معهم ، انهم أمة واحدة من دون الناس
المهاجرون من قريش على ربعتهم^(١) يتعاقلون بينهم وهم يفسدون عانيهم
بالمعروف والقسط بين المؤمنين

وبنوعوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها
بالمعروف والقسط بين المؤمنين

وبنوساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى
عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين

وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها
بالمعروف والقسط بين المؤمنين

وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها
بالمعروف والقسط بين المؤمنين

(١) الربعة والرابعة الحالة التي جاء الاسلام وهم عليها

و بنو النجار على ر بعثهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها
بالمعروف والقسط بين المؤمنين

و بنو عمرو بن عوف على ر بعثهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها
بالمعروف والقسط بين المؤمنين

و بنو النبيت على ر بعثهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها
بالمعروف والقسط بين المؤمنين

و بنو الاوس على ر بعثهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها
بالمعروف والقسط بين المؤمنين

وان المؤمنين لا يتركون مفرجا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ولا
يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة
ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وان أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد
أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وان ذمة الله
واحدة يحير عليهم أذنانهم ، وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وانه من
تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وان سلم
المؤمنين واحدة ، لا يسلم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل
بينهم ، وان كل غازية غزت معنا تعقب بعضها بعضا وان المؤمنين يبيء (يمنع و يكف)
بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله ، وان المؤمنين المتقين على أحسن
هدى وأقومه وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على
مؤمن وانه من اعتبط مؤمنا (١) قتلا عن بينة فانه قود به الى أن يرضى ولى المقتول
وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه . وانه لا يحل لمؤمن اقر بما في هذه
الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه وانه من نصره أو آواه
فان عليه لعنة الله و غضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل وانكم مهما اختلفتم
فيه من شيء فان مرده الى الله عز وجل والى محمد

(١) قتله من غير شيء يوجب قتله

وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ (١) الا نفسه وأهل بيته، وان ليهود بني النجار مثل ماليهود بني عوف ، وان ليهود بني الحرث مثل ماليهود بني عوف ، وان ليهود بني ساعدة ، مثل ليهود بني عوف ، وان ليهود بني جشم مثل ماليهود بني عوف ، وان ليهود بني الاوس مثل ماليهود بني عوف ، وان ليهود بني ثعلبة مثل ماليهود بني عوف الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته

وان جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وان لبني الشظنة مثل ماليهود بني عوف وان البردون الاثم ، وان موالي ثعلبة كأنفسهم وان بطانة يهود كأنفسهم وانه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد وانه لا ينحجز على ثار جرح وانه من قتك فبنفسه فتك وأهل بيته الا من ظلم وان الله على أبر هذا

وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم وانه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وان النصر للظالم ، وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة

وان الجار كالنفس غير مضر ولا آثم وانه لا تجار حرمة الا باذن أهلها وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله

وان الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره وانه لا تجار قريش ولا من تضرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب واذا دعوا الى صلح يصلحونه ويلبسونه ، فانهم يصلحونه ويلبسونه ، وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم

وان ليهود الاوس ومواليهم وانفسهم مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن
من اهل هذه الصحيفة وان البر دون الاثم لا يكسب كاسب الا على نفسه وان الله على
أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظلم وآثم وان من
خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم وآثم وان الله جار لمن بر واتقى ومحمد
رسول الله »

هذا هو نص الصحيفة كما نقلها الينا المؤرخون وهي تنطوي على كثير من
المبادئ والقواعد الجديدة والتعابير والاصطلاحات التي لم تكن معروفة بين المسلمين
من قبل فقد وصفت المسلمين بأنهم :

١ - أمة واحدة من دون الناس

٢ - اقرت المهاجرين على حلهم كما اقرت الأنصار على حلهم وأراضيهم فلا

تبديل ولا تغيير

٣ - نظمت العلاقات بين المسلمين أنفسهم وحدتها وقالت انهم متضامنون
متكافلون « لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله »

٤ - قررت أن يكون مرد كل أمر يختلف فيه الى الرسول ليفصل فيه باعتباره

صاحب السلطة العليا

٥ - حددت العلاقات بين البطون اليهودية و بطون العرب النازلة بينهم

وقالت ان اليهود ينفقون مع المؤمنين واعترفت بأنهم أمة لهم دينهم وللمسلمين دينهم ،
كما أنشأت بينهم مودة وتحالفا

٦ - نصت على اشتراك المسلمين واليهود في الدفاع عن يثرب اذا هاجمها مهاجم

وعلى أن لا ينفرد فريق من الفريقين بعقد صلح اذا دعى اليه

٧ - جعلت المدينة دار أمان للفريقين فمن خرج منها فهو آمن ومن قعد فيها

فهو آمن الا من ظلم وآثم

تلك هي بعض المبادئ التي انطوت عليها « الصحيفة » وهي تشبه من وجوه

كثيرة البيانات Proclamations التي يصدرها القواد العسكريون بعد الفتح ، أو

برامج الحكومات Déclaration حين تأليفها فهو يحتفظ بـ «الستاتوكو» أى الحالة التى كانت قائمة فى المدينة من دون أن يدخل عليها أى تغيير أو تبديل وينظم العلاقات بين المسلمين أنفسهم فينشئ بينهم تعاوناً وثيقاً واطناً وطيداً كما ينظم العلاقات بينهم وبين جيرانهم اليهود وينشئ بينهم حلفاً ويقضى باشتراكهم فى الدفاع عن المدينة اذا هاجمها مهاجم وبأن تكون دار أمن لهما ويضع أحكاماً تشريعية أخرى تتعلق بالنظام الاجتماعى الجديد وهو من مميزات الاسلام

اتحاد الاوس والخزرج

وقد كان من النتائج العاجلة لنزوله المدينة تأخى الاوس والخزرج من أبنائها وتناسيهم ما كان بينهم من عداوة وأحقاد فأصبحوا اخواناً على سرر متقابلين ، يتنافسون فى اكتساب مرضاة سيد المرسلين ، ويعملون باخلاص مع اخوانهم المهاجرين من قريش على رفعة شأن الدين . ولا يخفى أن العداوة اشتدت قبل الهجرة بين هاتين القبيلتين حتى كادا يفنيان فأزال الاسلام ذلك كله وقضى عليه

الرفاء بين المهاجرين والأنصار

وكذلك آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار ، وكان ذلك بعد وصوله الى المدينة بخمسة أشهر لتذهب عنهم وحشة الغربة ، وليؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم أزر بعض ، وكانوا يتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام (وقد بطل ذلك بعد معركة بدر) ، وكانت المؤاخاة على الحق والمؤاساة فزادت علاقتهما قوة واحكاماً من جهة كما وطدت صلات الاخوة والمودة بين الاوس والخزرج من جهة أخرى ، وهكذا توحدت القوى الثلاث وأندمج بعضها فى بعض وانصهرت فى بوتقة الاسلام فصارت كتلة قوية متماسكة تشعر بشعور واحد ، وتعمل لغاية واحدة ، وترمى الى مقصد واحد وهو نشر كلمة التوحيد واعلاء شأن الدين

اليهود في شمالي الحجاز

ما كاد النبي ﷺ يستقر في المدينة ، ويدرس حالتها عن كسب حتى أدرك أنه أمام قوة يهودية كبيرة ، لاتقل عن قوة قريش عدوته في مكة ولا يخفى ان اليهود كانوا إبان البعثة النبوية قوة كبيرة في شمالي الحجاز تعادل قوة قريش في جنوبيه ومعنى ذلك أن الحجاز كان مقسوما بينهما قسمة طبيعية ، فنفوذ قريش يشمل جنوبي الحجاز من المدينة حتى الطائف ، ونفوذ اليهود يشمل شماليه ، وكان يمتد من المدينة حتى تيماء وهي واقعة في أقصى حدود الحجاز الشمالية أى حتى حدود سورية في مسافة لاتقل عن ٤٥٠ كيلو مترا تقريبا ، ولولا الزعامة الدينية التي كانت تتمتع قريش بها بين العرب وما كان لها من مقام أدبي وديني في نظرهم لحراستها البيت الذي يقدسونه ويحجون اليه ، وقيامها على خدمته وسداته لقلنا ان نفوذ اليهود كان أكبر لانهم أكثر ثروة وغنى وأوفر سلاحا ولان بلدانهم كانت حصينة ، وكانوا يسيطرون سيطرة فعلية على اقتصاديات شمالي الحجاز ، وكانت زراعته أيضا في أيديهم ، وما كان الاوس والخزرج في المدينة سوى أجراء لهم ، يعملون على تنمية زراعتهم ويخدمونهم بالاجرة وكان اليهود في شمالي الحجاز ينزلون المناطق الآتية :

١ - منطقة المدينة

وقد كان يهود بني قينقاع يقيمون في داخلها ، وكانت قبائل بني عوف وبني النجار وبقية البطون التي وردت اسمها في الصحيفة ، تقيم حولها بين قبائل الاوس

والخزرج وتنزل في نفس المناطق الزراعية التي كانت تعنى بها ، ولولا ذلك لما خصهم
بالذكر

بنو قريظة وكانوا ينزلون في ضاحيتها من جهة الجنوب الشرقي في مهزورا
بنو النضير « « « « « الغرب في بطحان

٢ - منطقة خيبر

وكانت خيبر أعظم مراكز اليهودية في الشمال بعد المدينة وهي في مركز
متوسط تقريبا بين المدينة وتيما وكان يهودها أشدهم قوة وأكثرهم ثراء ، وهي في
شمالى المدينة أيضا وتبعد عنها نحو ١٥٠ كيلو مترا وفي هذه المنطقة أيضا وادى القرى ،
وكان واحة كبيرة لليهود في الشمال أيضا
وفيهما أيضا فدك وهي منتصف الطريق بين خيبر وتيما

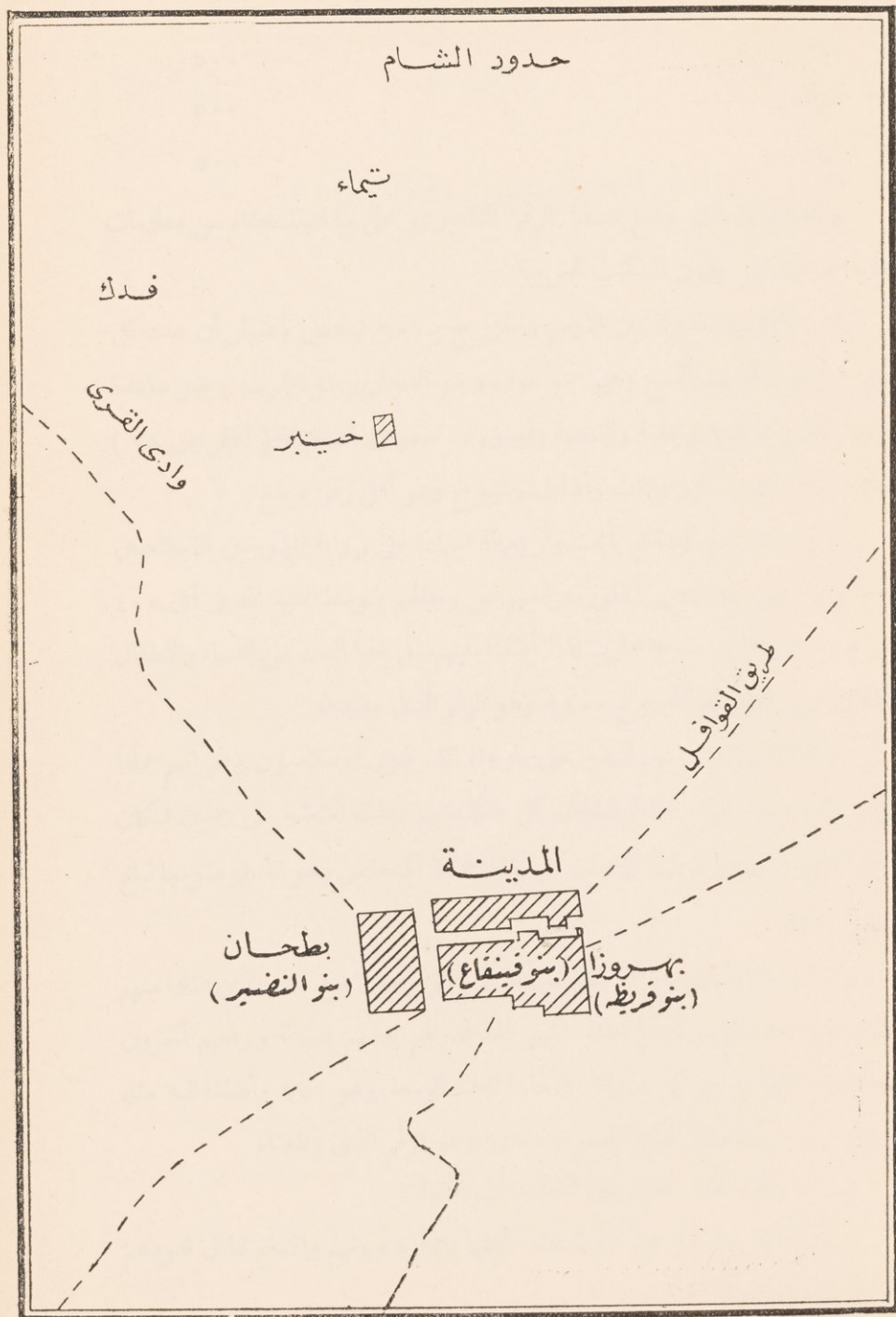
٣ - منطقة تيماء

وهي كما قلنا في أقصى حدود الحجاز الشمالية وعلى الحدود السورية وهي
أقلها شأنا

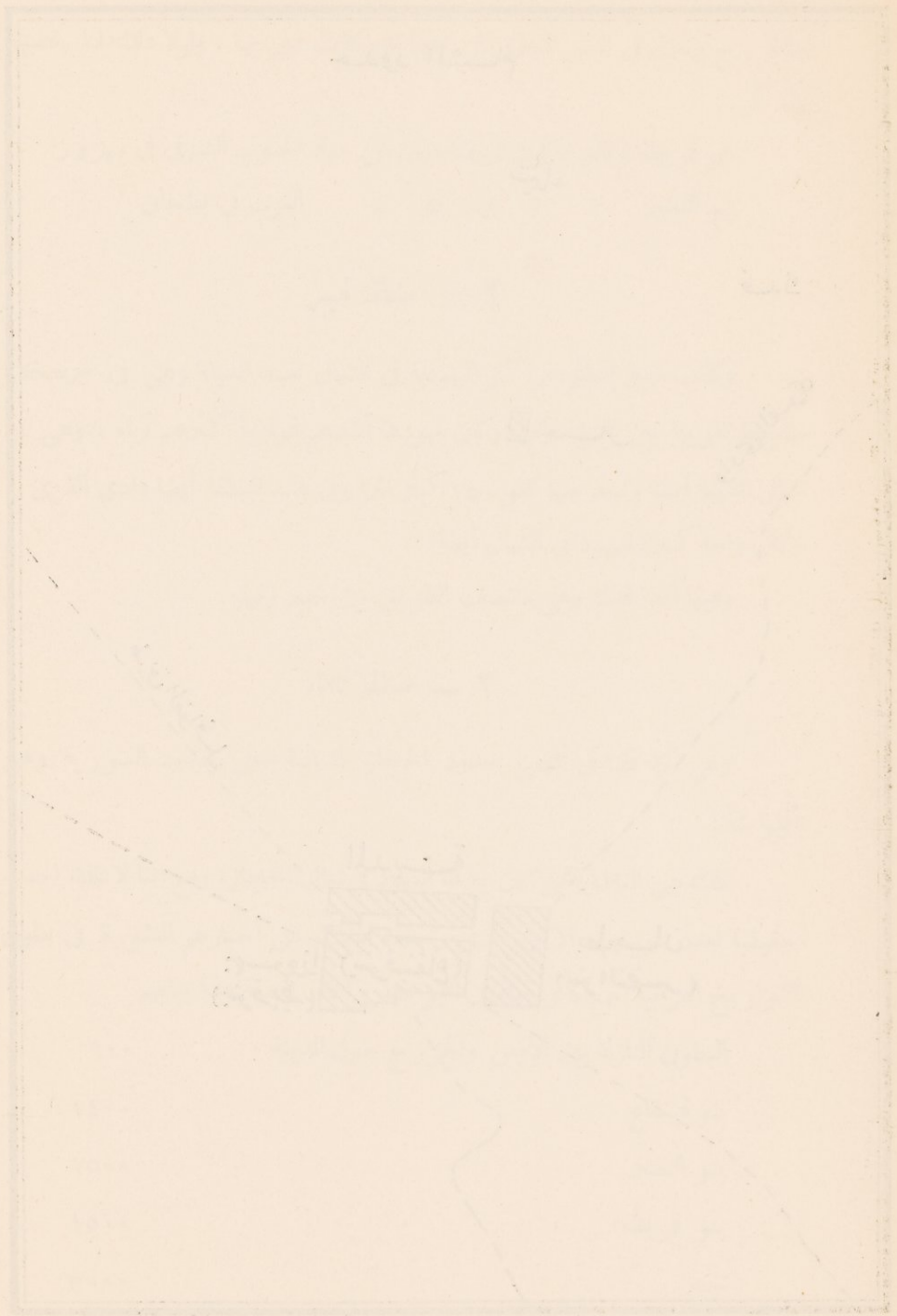
تلك هي المناطق التي كان ينزلها اليهود في شمالى الحجاز، ومع اننا لانملك احصاء
حقيقيا لعدد نفوسهم ، الا ان الذى نرجحه اعتمادا على أخبارهم المنشورة في بطون
التواريخ العربية انهم كانوا يبلغون نحو عشرة آلاف نسمة هذا بيانهم

٦٠٠	البطون النازلة بين الأوس والخزرج حول المدينة
١٤٠٠	بنو قينقاع
١٥٠٠	بنو النضير
١٥٠٠	بنو قريظة
٣٠٠٠	خيبر

مراكز اليهود في بلاد الحجاز



Phillips Island



٥٠٠

وادي القرى

٥٠٠

فدك

٥٠٠

تياء

ولقد اعتمدنا في وضع هذا الرقم التقديرى على ما استنتجناه من معلومات
مبشرة جمعناها من بطون الكتب العربية

قدرنا البطون النازلة بين الاوس والخزرج بـ ٦٠٠ شخص باعتبار أن عدد كل
بطن من بطون اليهود التسع وهى بنو عوف وبنو النجار وبنو الحرث وبنو ساعدة
وجشم والأوس وثلعة وجفنة والشطننة وقد ورد اسمها في الصحيفة (انظر ص ٢٨)
سبعين شخصا بين ذكور واناث وأطفال وشيوخ وهو أقل رقم يوضع

وقدرنا عدد بنى قينقاع بألف وأربعمائة اعتمادا على رواية المؤرخين الاسلاميين
فقد ذكروا أن عدد الذين أطلق سراحيهم من رجالهم بتوسط عبد الله بن أبى ٤٠٠
حاسر و ٣٠٠ دراع أى ٧٠٠ محارب فاذا أضفنا اليهم مثل هذا العدد من النساء والاطفال
ولا يتجاوز عن ٧٠٠ بلغ المجموع ١٤٠٠ وهو الرقم الذى وضعناه

واستندنا في تقدير بنى النضير على مارواه المؤرخون الاسلاميون وهو انهم حملوا
أمتعتهم على ٦٠٠ جمل . فلو فرضنا أن كل عائلة منهم حملت أمتعتها على جملين لكان
عدد عائلاتهم ٣٠٠ ولو فرضنا أن عدد كل عائلة خمسة أشخاص وهو تقدير متوسط لبلغ
المجموع ١٥٠٠

واستندنا في تقدير بنى قريظة على ما ذكره المؤرخون من عدد الذين قتلوا منهم
في المدينة بعد استسلامهم وحكم سعد عليهم فقد قدرهم بعضهم بستائة ورفعهم آخرون
الى ٧٠٠ وزادهم غيرهم الى تسعمائة فأخذنا العدد الوسط وهو ٧٥٠ وأضفنا اليه مثله
وهو عدد النساء والأطفال فبلغ المجموع ١٥٠٠ وهو الرقم الذى وضعناه
واستندنا في تقدير خيبر على الاعتبارات الآتية :

١ - ما كان معروفا عن كثرة عدد أهلها ووفرة ثروتهم واتساع نطاق نفوذهم

ولا يتسع لضعيف نفوذ

٢ - تعدد حصونهم وكثرتها فقد كان لهم سبعة حصون هي : ناعم والقموص والشق والنظاة والسلام والوطيح والكتيبة . ولم يكن لبنى قينقاع سوى حصن واحد ومثلهم قريظة والنضير

٣ - كثرة عدد الجيش الاسلامي الذي زحف لقتالهم فقد أجمع الرواة على أنه بلغ ١٨٠٠ مقاتل مع أن القوى التي زحفت على حصون اليهود الأخرى ما كانت تبلغ ربع هذا العدد

٤ - تجمع ٥٠٠ مقاتل منهم في حصن واحد هو حصن القموص دع القوى التي كانت في الحصون الأخرى

٥ - ثباتهم في قتال المساميين الذين امتازوا بالشجاعة والبطولة وامتداد القتال مدة ٢٠ يوما

ويلاحظ لنا أن تقدير سكان خيبر بثلاثة آلاف هو أقل مما يمكن بعد البيانات التي أوردناها باعتبار أن عدد رجالهم الذين نازلوا المسلمين ١٥٠٠ وهو أقل ما يخطر بالبال ولا يدخل في ذلك النساء والذراري

وقدرنا عدد سكان وادي القرى بخمسمائة وهو في نظرنا أقل من الواقع لأنه كان يتألف من قرى عامرة . ولا نظن أن عدد سكان القرية الواحدة يقل عن المائة . وتقيدينا يمثل هذا الاعتبار في وضع رقم سكان فدك وتيماء . وبالإجمال فقد وضعنا الحد الأدنى وإن كنا نرجح بعد الذي أوردناه ان عددهم كان بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألفا

كيف وصل اليهود الى الحجاز

و بين الباحثين خلاف في كيفية وصول اليهود الى شمال الحجاز والمرجح انهم قدموا من فلسطين ، بطريق البلقاء ومعان أو وادي موسى هربا من ظلم الروم و بطشهم فقد مزقوهم شرمزق سنة ٦٤ ميلادية . واجلوهم عن فلسطين فقصده هذه الديار بعض قبائلهم وعكفت على الزراعة والتجارة فأثرت ونمت واكتسبت نفوذا عظيما ، لم يلبث أن اصطدم به الاسلام ووقف ازاءه وجها لوجه

بين المسلمين واليهود

حرص النبي في الأشهر الأولى لوصوله الى المدينة ، على التقرب من اليهود ، وسعى لانشاء علاقات ود معهم ، ووصل حبله بحبلهم ، لأنه لم يكن من مصلحته بوجه من الوجوه أن يخوض في نزاع معهم ، وهم على ما وصفناه من القوة والمنعة ، وقريش لاتزال وراء المسلمين تطاردهم ، وتعمل للقضاء عليهم ، ومعنى ذلك انهم كانوا في ابتداء نزولهم المدينة ، بين قوتين قويتين :

- ١ - قوة الجنوب وقد آذنتهم بعداء شديد واضطرتهم لمغادرة أوطانهم ، والجلء عن ديارهم ، ولا تزال تتربق الفرص للفتك بهم ومحو أثرهم
- ٢ - قوة الشمال ، ولا يزال موقفها منهم مبهما ، ولا يزال ما يضره رجالها لهم في عالم الغيب

وكان أول مافعله النبي ﷺ بعد استقراره في المدينة كتابته الصحيفة التي كتب ، وقد حدد فيها العلاقات بين المسلمين واليهود تحديدا صريحا فاعترف بهم «أمة مستقلة» وقال ان لهم بالمسلمين وعليهم ما عليهم ، كما نص على اشتراكهم في الدفاع عن المدينة اذا هاجمها مهاجم ، وعلى عدم عقد صلح منفرد ، واذا اضطرروا الى عقده فيكون ذلك بالاتفاق ، والقصد من ذلك ايجاد صلة وشيجة بين الفريقين فيتعاونون على صيانة مدينتهم والدفاع عنها ، والحيولة دون تسرب الشقاق اليها

ومن تحصيل الحاصل القول ان مصلحة المسلمين في ذلك الدور كانت تقضى عليهم بانشاء علاقات ود وثيقة مع جيرانهم الجدد ، فلا يفتحون ميدان نضال في موطنهم الجديد ، وهم لم يلجأوا اليه الا تخلصا من أهل مكة وأملا بأن يجدوا في دار هجرتهم أمنا وسلاما ، فيؤدوا فرائضهم الدينية بحرية وأمان ويعيشوا مع جيرانهم في صفو وسلام

ولم تحقق الحوادث أمنيتهم ، ولم تنلهم الأيام بغيثهم ، فانهم مالبثوا ان وجدوا أنفسهم أمام حملة شديدة يحملها عليهم اليهود سداها الطعن في دينهم ، ولحمتها تسفيه عقائدهم

ولم يقف اليهود عند هذا الحد بل كان بعض رجالهم يأتى الى النبي ﷺ ويسأله أسئلة يبغى منها اظهاره بمظهر العاجز الضعيف كما كانوا يحاولون القاء الشقاق بين المهاجرين والأنصار من جهة وبين الاوس والخزرج من جهة أخرى، وقد كادوا يسيبون نجاحا من هذه الناحية لولا توسط النبي ﷺ بالذات ، فقد خرج يوما الى الفريقين وكانوا على وشك الاقتتال - فيمن كان معه من الصحابة - وقال لهم :

« يا معشر المسلمين الله . الله . اتقوا الله . أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم » فكف الفريقان على الفور ، وعرفوا انها من كيد اليهود فبكوا وعانق الرجال الرجال ثم انصرفوا معه . وقد نزلت في هذه الحادثة آية

﴿ يَا هَلْ الْكِتَابِ (١) لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾

وهناك آيات كثيرة في القرآن نزلت في اليهود خلال هذا الدور : دور المناقشات والمجادلات اللفظية ، وقد انتهى بالحرب وطردهم اليهود من منطقة المدينة أولا ثم من منطقة خيبر وتغلب المسلمين عليهم وانتزاع أراضيهم وديارهم مما سنفضله تفصيلا في موضعه

تأثير العوامل الاقتصادية في هذا النزاع

ومع كل ما كتبه المؤرخون الاسلاميون في صدد هذا النزاع ومع كل ماأوردوه من الأسباب والعلل فاننا لا نشك في أن للعوامل الاقتصادية المقام الأول في مناوأة اليهود للاسلام وسعيهم للقضاء عليه ، فقد زاحم المهاجرون المكيون - وبينهم عدد غير قليل من التجار الاذكياء النشيطين كعبدالرحمن بن عوف وأبي بكر الصديق -

(١) المراد بهم هنا اليهود

اليهود في سوق المدينة ، ونافسوهم فيه ، وكادوا ينتزعون منهم السيادة الاقتصادية ، فلم يطق هؤلاء صبرا فعكفوا على الكيد للاسلام ومقاومته سرا ، أملا في التخلص من المنافسة التجارية ، فيخلو لهم الجو ويعودون الى بسط سلطانهم الاقتصادي على البلاد كما كان أولا .

لقد كان الميدان التجارى والاقتصادى فى المدينة خاليا من منافس قبل أن يفد اليها المهاجرون من قريش ، ولا يقل القرشيون خبرة فى الشؤون الاقتصادية والتجارية والاحاطة بأسرارها عن اليهود، فقد توارثوها عن آبائهم الأولين وتعول قريش فى كسب قوتها على التجارة، يعرف ذلك الذين درسوا تاريخها ، بعكس الاوس والخزرج وعربان شمالى الحجاز فقد كانوا أجراء لليهود يعملون لهم ويبيعونهم حاصلاتهم ويشترون منهم حاجاتهم ولوازمهم ، مما أدى الى غنى هؤلاء وفقيرهم وتحكمهم فيهم ولم تقف همه بعض المهاجرين المكين عند حد تعاطى التجارة بل انشأوا لهم سوقا تجارية خاصة بهم الى جانب سوق بنى قينقاع (سوق المدينة الأكبر) فأقلق ذلك اليهود وأزعجهم ، وبلغ من شدة اعتماد التجار القرشيين على أنفسهم قول عبد الرحمن بن عوف لاختيه سعد بن الربيع الأنصارى حينما سأله عن المساعدة التى يقترح عليه أن يسديها اليه « دلى على السوق » وقد جنى عبد الرحمن أرباحا كثيرة من اشتغاله بالتجارة

فمنافسة المهاجرين المكين التجارية لليهود المدينة - وقد كان النضال فى المرحلة الأولى ، بين المسلمين واليهود قاصرا على يهود المدينة وحدهم أى بنى قينقاع - وارتفاع رأس العرب من سكان يثرب بعد وفود النبي ﷺ والمهاجرة من قريش اليهم ، ومحاولتهم انتزاع السيادة المحلية منهم ، وكانوا أصحاب الشأن وذوى الكلمة النافذة فى تصريف شؤون البلد ، كل ذلك ولد سوء تفاهم مالمبث أن تحول الى نزاع نخصام فحرب جلاء

١٠

قريش

لم ينس المهاجرون مكة ، ولم ينسوا عهدها وأيامها ، ولم ينسوا منازلهم وديار عزهم ، ولم ينسوا المعاملة السيئة التي عاملتهم بها قريش ، وكيف ينسونها ووجودهم بديار الغربية يذكرهم بقريش على الدوام، فيتحدثون بها ويكثرون من الكلام عنها ويؤخذ مما لدينا من أقوال المؤرخين الاسلاميين أن قريشا اكتفت في هذه المرحلة ، بمصادرة ممتلكات المهاجرين وأموالهم مكتفية بالعقاب المالى وحده ، وقانعة بخروجهم من بلادها ومغادرتهم أراضيها ، ولعل هذا كان في نظرها كافيا لان يكفل لها الاستقرار ، ويحول دون اتساع نطاق الانقسامات المحلية ، والتجزبات الداخلية ، فقد زلزل ظهور الاسلام وحدتها الاجتماعية ، وانشأ حزازات بين أسرها ولاسيما بين الهاشميين والأمويين ، وقد كان هؤلاء ينظرون الى الدعوة الاسلامية من الوجهة العائلية المحلية فقط ، ولئن استأثروا في مقاومتها وبدلوا أقصى الجهد للتغلب عليها، فما ذلك الا لما تبادر الى ذهنهم وهو أن في فوزها فوزا للهاشميين وقضاء على سلطتهم ونفوذهم ولن يرضوا بالتنازل عنهما

واقترح بعض أقطاب الصحابة على النبي ﷺ بعد ما استقروا في المدينة ، كما اقترح عليه بعضهم حينما كانوا في مكة ، أن يأذنوا قريشا بالحرب، ويقاتلواها ويجزوها سرا بشر ، فرد عليهم هنا كما رد عليهم هناك ، داعيا الى التريث والانتظار وقال لهم انه لم يؤذن له بالقتال وانه يجب عليهم أن يتدرعوا بالصبر ويعالجوا الامور بالحكمة ريثما يأتي الوقت

وتجددت الدعوة الى قتال قريش في صفوف المكين المهاجرين بعد

ما ارتاحوا واطمأنوا ، وكانوا يتمنون أن لو أبيع لهم قتلها فيشفون صدورهم مما تجد عليها ، وصبرهم النبي ﷺ أيضا ودعاهم الى السكينة والانتظار

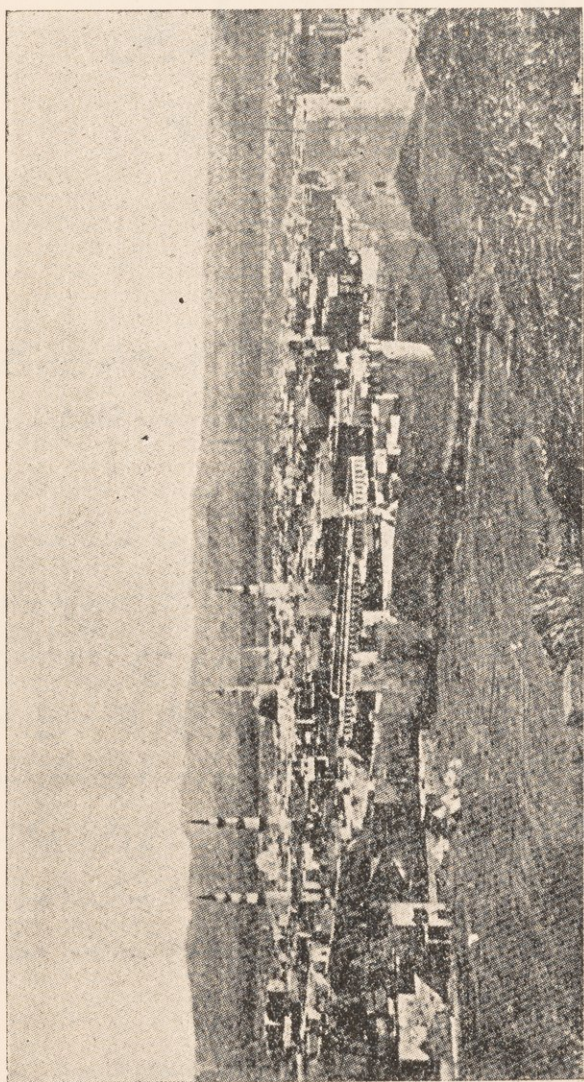
والواقع أن النسبة بين قوى المسلمين المادية وبين قوى قريش في تلك المرحلة كانت مفقودة ، فما كان عدد المهاجرين والأنصار من سكان المدينة يزيد على الثلاثة آلاف يخرجون ألف مقاتل على أكبر تقدير ، أما قوة قريش فما كانت تقل عن خمسة آلاف مقاتل باعتبار أن سكان مكة يومئذ عشرة آلاف نفس ، ولئن خرجت قريش يوم بدر بألف لملاقاة المسلمين فمذلك الا لانها كانت تستغفر شأنهم ، أما يوم أحد أي بعد ذلك بسنة فقد جاءتهم حتى المدينة بثلاثة آلاف مقاتل من رجالها ، وليس هذا كل ما كانت تستطيع اخراجه ، والعشرة آلاف الذين جاءت بهم يوم الخندق ليسوا كلهم من رجالها فقد انضم اليهم عدد من الاحلاف لا يزيد في تقديرنا على ثلاثة آلاف ، ويجب أن لا ننسى أن هنالك قبائل كانت مرتبطة معها برابطة التحالف وهي كنانة وقبائل تهامة ، تأمر بأمرها وتنقاد اليها

ولقد رأينا الرسول ﷺ في هذه المرحلة يحالف اليهود ويتفق معهم على الدفاع عن المدينة في حالة الاعتداء عليها . ومعنى ذلك أن أنظاره اتجهت يومئذ الى اعداد معدات الدفاع دون الهجوم ، ولعله كان يخشى هجوم قريش عليه وسيورها لقتاله ، ولولا ذلك لما كان في حاجة الى محالفة اليهود ووضع ما وضعه من شروط

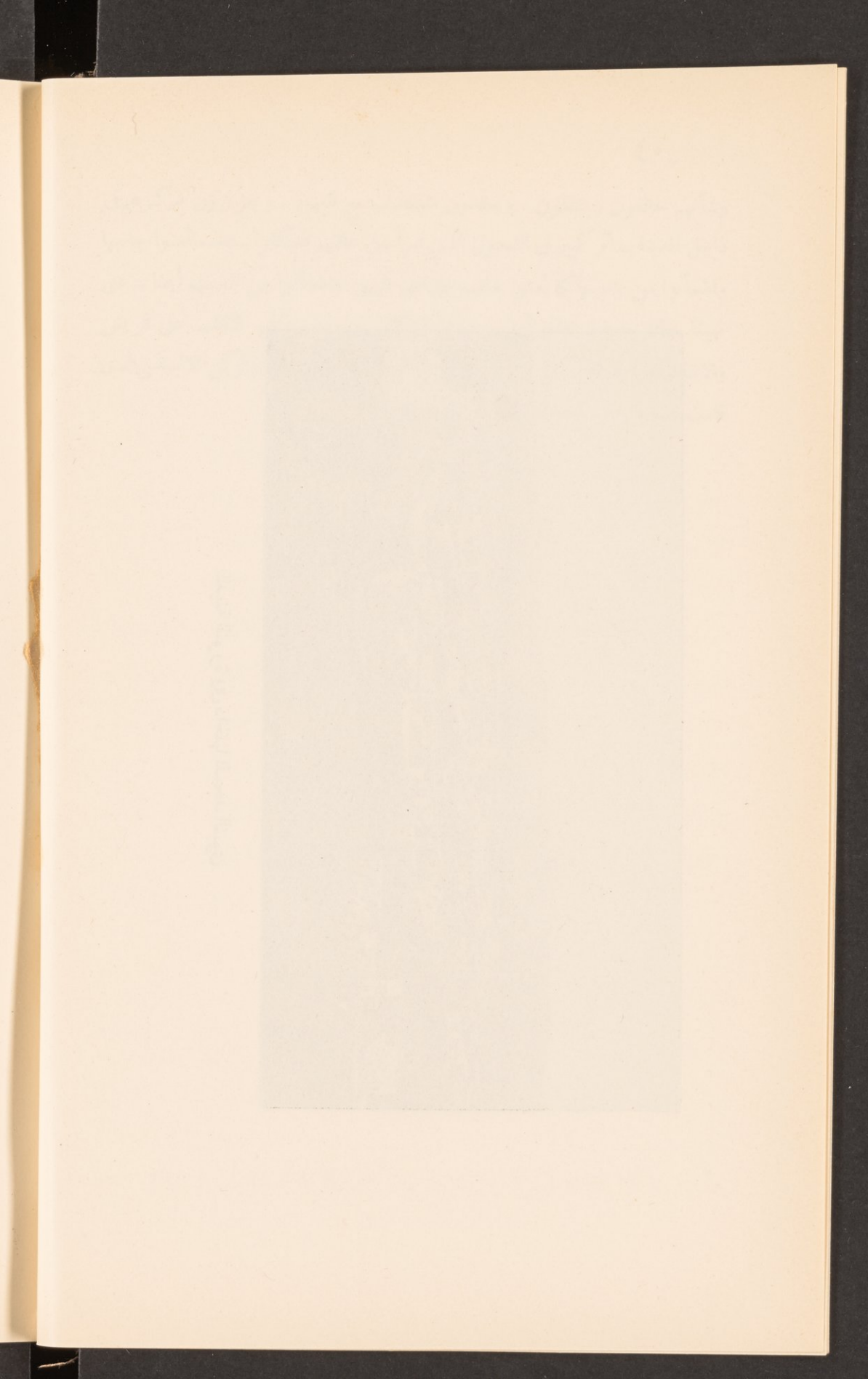
ولو سيرت قريش القوى في تلك الايام لمطاردة المسلمين في المدينة واخراجهم منها لأزعجتهم وحالت دون نموهم على الأقل ، ومنعت غزوهم لها في عقر دارها بعد ذلك ، بيد أن اختلاف كلمة زعمائها بشأنهم جعلها تكتفي منهم بالخروج ، بل تعد خروجهم فوزا ونجاحا لها ، وترى فيه نجاة من كارثة عظيمة كانت تهددها : كارثة الثورة الداخلية

ولانك في أنه كان لعودها عن مطاردة المسلمين واغفالها أمرهم وتركهم

وشأنهم يحالفون ويتفقون ، ويعقدون المعاهدات مع اليهود ، ويعززون مركزهم في
 داخل المدينة - أثر كبير في التحول الذي طرأ على حالتهم فعكفوا - بعد ما أمنوا جانبها
 واطمأنوا من ناحيتها كما أمنوا جانب جيرانهم اليهود واطمأنوا من ناحيتهم أيضا - على
 تهيئة خطط جديدة تحقق أمانهم ، وتعلي كلمتهم ، وتضمن لهم التغلب على قريش
 والانتقام منها ، ولقد كان الجهاد احدى مظاهر السياسة الجديدة والركن الاساسي الذي
 قامت عليه ، وفازت بفضله



المدينة النورة وفي داخلها المسجد النبوي



انضال بين المسلمين وقريش

سرايا المسلمين وبعوهم العسكرية

١ - سرية حمزة

في الشهر السابع من وصول النبي الى المدينة، أى في شهر رمضان، غادر حمزة بن عبد المطلب (عم النبي) المدينة على رأس ٣٠ مهاجرا، للقاء عير (قافلة) لقريش، واغتنامها اذا أمكن، وذلك قبل أن يؤذن للمسلمين بالقتال

وعادة السطو على القوافل من العادات الشائعة في جزيرة العرب قبل الاسلام وبعده، ويعددها البداية من الرزق الحلال السائب، وقد كان القريشيون يعتمدون في الدفاع عن قوافلهم في غدوها الى الشام ورواحها، على حرس خاص يعدونه لها يرحل معها وينزل معها ويتولى رجاله حراستها بالمناوبة الليل بطوله فاذا أصبح الصباح وأزمت الرحيل تقدمها بعض رجاله وقد تقلدوا السلاح ليكونوا بمثابة طليعة لها أو حرس أملى، وتأخر فريق آخر منه وراءها فلا تهاجم من وراء. وكانت قوة الحرس خاضعة لرئيس القافلة وقائدها العام ومن عادتهم أن يجعلوا لكل قافلة رئيسا، صونا للوحدة. وكان عدد الحرس المسلح يكثر ويقل في القافلة تبعا لعدد جمالها وما تحمله من بضائع

وبديهى أن المسلمين كانوا يبغون من تسمير سريتهم تلك التحرش بقريش والانتقام منها وسلبها مالها، فينتعينون به في ديار غربتهم وقد لقوا الأمرين في أول عهدهم

وكان رجال القافلة القريشيون محتاطين على عاداتهم كل الاحتياط، والمفهوم من كثرة عدد رجال القافلة ، انها كانت كبيرة جدا ، وربما كانت القافلة السنوية الكبرى فقد رووا ان عدد رجالها كان ٣٠٠ وانها كانت بقيادة أبي جهل (عمرو و بن هشام بن المغيرة المخزومي وكنيته أبو الحكم وهو زعيم بني مخزوم) أحد زعماء قریش وأعدى أعداء المسلمين

ولا بد لنا من القول ان المسلمين لم يخرجوا من المدينة الا بعدما جاءتهم الأخبار المفصلة عن القافلة وعن عدد رجالها وعمما تحمله ، وقد كان بينهم عدد غير قليل اشتغل بالقوافل وشرق وغرب وانجد واتهم ، أى انهم كانوا مستعدين للكفاح والنضال استعداد المسلمين له

والتقى الجمعان على ساحل البحر الأحمر قرب العيص في ديار جهينة وهي في منطقة المدينة من ناحية ينبع ، واصطفا وكاد القتال ينشب بينهما لولا توسط مجدي بن عمرو الجهني من شيوخ جهينة فقد حال دون اشتباك الفريقين فعاد كل منهما الى بلده ولم يجرد حسام ولا ريب أن ماجرى في العيص (مكان معروف مشهور يبعد عن المدينة نحو ٤٠ كيلو مترا) كان انذارا لقریش بظهور المسلمين في الميدان وكونهم ينوون منازلها وقتالها

٢ - سرية عبيدة بن الحارث

وما كادت سرية حمزة تعود حتى أصدر النبي ﷺ أمرا باعداد سرية أخرى تبادرت المدينة في شهر شوال أى بعد شهر من خروج السرية الأولى ، وقادها عبيدة ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، فسلكت الطريق الذي سلكته الأولى أى انها سارت الى الغرب فوصلت رابغ (ميناء معروف مشهور بين جدة وينبع ويقع على طريق القوافل بين مكة والمدينة ويبعد عن الاولى نحو ٢٠٠ كيلومترا) وكانت مهمتها شبيهة بمهمة تلك أى الغارة على قافلة قریش واستياقتها اذا أمكن وكانت القافلة المكية في هذه المرة بقيادة ابى سفيان بن حرب الأموي، وكان عدد

رجالها مائتين فالتقى الفريقان على ماء يقال له احياء في بطن رابع . واكتفيا بالتراشق بالنبال عن بعد وكان سعد بن أبي وقاص بين رجال هذه الجملة وكان سهمه أول سهم رمى في الاسلام

٣ - سرية سعد بن أبي وقاص

وفي شهر ذى القعدة أى في الشهر التالى لعودة السرية الثانية ، جهز سرية ثالثة بقيادة سعد بن أبي وقاص . وكان عدد رجالها عشرين فقط وأمرهم بأن يقصدوا الحرار (واد يصب في الجحفة) فيعترضوا قافلة لقريش ينتظر أن تمر من هنالك ، وأمرهم بالايجاوزوا الحرار فساروا اليها ووصلوا بعد مرور القافلة بيوم فعادوا الى المدينة سالمين

فهذه السرايا الثلاث وقد وجهها في ثلاثة أشهر ولما يمض على اقامته في المدينة سوى بضعة اشهر ، لمضايقة قريش في متاجرها ، وازعاجها في تنقلاتها ، تركت أثرا في نفوس المكيين الذين بدأوا يهتمون بأمر « الجماعة » الجديدة التي ظهرت في الشمال على طريق الشام ، حيث يتاجرون ويربحون ، ولئن لم يقع بينهم وبينها قتال الا أن ماجرى كان من قبيل المقدمات او المظاهرات « العسكرية » وتتقدم عادة اعلان الحرب بين الدول في هذه الأيام

٤ - غزوة الابداء (١)

وفي شهر صفر أى بعد عودة السرية الثالثة بشهرين خرج النبي نفسه على رأس ستين مهاجرا قاصدا « ودان » وهي قرية في شمالى المدينة ، تقع قرب الابداء ، والابداء احدى محطات سكة حديد الحجاز وبينها وبين المدينة ٢٨ كيلو مترا ويسمون هذه

(١) اصطلاح المؤرخون الاسلاميون على اطلاق لقب سرية على كل قوة عسكرية يسيرها النبي ﷺ بقيادة أحد رجاله أما القوة التي يقودها بنفسه فهي « غزوة »

الغزوة غزوة ابواء أيضا وهي أول مرة يقود النبي فيها جيشا كما هي أول مرة يغادر فيها المدينة لغرض عسكري

والغاية من هذه الغزوة هي نفس الغاية من ارسال سرايا الثلاث ، أى ازعاج قريش فى طريقها من الشام الى مكة . واذا كان هنالك فرق فهو فى اختيار المكان للقاء القافلة فقد كانوا فى المرات الثلاث يقصدون منطقة الساحل أما الآن فيخرجون باتجاه الشمال لابتجاه الغرب

ولئن فاتت القافلة الحملة واخفقت فى ادراكها والحصول عليها فقد أصابت فوزا سياسيا وعسكريا لا يستهان به ، يدل على شدة يقظة الرسول ﷺ وبعد نظره وعلى انه كان يتبع قاعدة التدرج الطبيعى فى اعماله

أول محالفة مع قبيلة فى الشمال

أثبت المؤرخون ان النبي ﷺ اتصل وهو فى ودان بمخشى ابن عمرو الضمرى ، سيد بنى ضمرة ، وهى قبيلة كانت تنزل هنالك ولم يبق لها أثر فى الوقت الحاضر ، وعقد معه عقدا تعهد فيه المسامون بالدفاع عن بنى ضمرة اذا هوجموا وبالا يقاتلهم وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب محمد رسول الله لبنى ضمرة بانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من رامهم بسوء ، بشرط أن لا يجاربوا فى دين الله ، ما بل بحر صوفة وان النبي اذا دعاهم لنصر أجابوه ، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله »

المحالفة الثالثة

ومعاهدة ابواء او ودان هى ثالث محالفة عسكرية يعقدها النبي ﷺ فى خلال ١٤ شهرا وقد تدرج فيها تدرجا يستوقف النظر

ففي المعاهدة الاولى وقد عقدها مع الاوس والخزرج في منى (العقبة الثانية) اشترط عليهم الدفاع عنه وحمايته (كما يحمون نساءهم وابناءهم) وكان المفهوم تلويحاً أن هذه الحماية تشمل اصحابه من المهاجرين بالإضافة اليه يؤيد ذلك انه لم يكذب يعقدها حتى أوعز اليهم بالسفر الى المدينة فقصدها ارسالاً ثم لحق بهم ونزل بينهم والمعاهدة الثانية - معاهدة المدينة أو الصحيفة وقد عقدها مع يهودها النازلين هنالك وقامت على مبدأ التعاون في الدفاع عن المدينة نفسها اذا هاجمها مهاجم وعدم عقد صلح منفرد

أما معاهدة ودان فهي مخالفة عسكرية بالمعنى المفهوم من التحالف العسكري في اصطلاح عصرنا وقد نصت على تعهد كل فريق بالدفاع عن الفريق الآخر في حالة الدفاع والهجوم فقالت ان على بنى ضمرة أن يجيبوا النبي اذا دعاهم لنصر وان لهم النصر من المسلمين على من رامهم بسوء ، ولم ينص على هذا المبدأ في المعاهدين السالفتين . وبذلك يكون بنو ضمرة أول قبيلة حجازية مالت الى المسلمين وحالقتهم من دون أن تدخل في الدين الجديد ، وعلى كل فانها فوز سياسي وعسكري للمسلمين لا يستهان به بالنسبة لحالتهم في تلك الايام

٥ - غزوة بواط

وتجهز في شهر ربيع الاول (أول شهر من السنة الثانية للهجرة) في مئتين من المهاجرين وخرج الى الساحل يطلب قافلة لقريش ، علم من مصادره الخاصة أنها على وشك المرور من هنالك

وواصل السير بأصحابه حتى وصل الى بواط (١)

(١) جبل الجهينة من ناحية رضوى قرب ينبع وتبعد ينبع عن المدينة ٢٣٠

كيلو مترا الى الغرب

ولا بد لنا من التنبيه الى امرين يستوقفان النظر في حركات الجيش الاسلامى

الجديد :

الاول - زيادة عدده زيادة مستمرة فقد كان عدد السرية الاولى التى قادها حمزة ٣٠ محاربا ثم ارتفع الى الستين فى السرية الثانية ثم هبط الى العشرين ثم ارتفع الى الستين فى غزوة ابواء وهاهو يرتفع الى المئتين الآن وهو تقدم يدل على أن القوم كانوا يعملون بدون انقطاع على تنمية جيشهم

الثانى - هو عدم انضمام احد من الانصار الى الحملات الخمس التى جهزها المسلمون بعد اقامتهم فى المدينة واقتصارها على المهاجرين المكيين، ويقول المؤرخون الاسلاميون فى تعليق ذلك ان اتفاق منى (العقبة الثانية) لم ينص على اشتراك الانصار فى كل عمل عسكري يعمل وانما هو عهد قطعه على انفسهم بالدفاع عن النبى وحمائته والقتال فى سبيله ولما كانت الحملات التى سارت فى تلك الايام لا يقصد منها الدفاع عن النفس لم ير الانصار ما يحملهم على الاشتراك فيها ففقدوا عنها وتركوا المكيين وشأنهم مع ابناء عمومتهم واخوانهم على انهم عادوا بعد صدور الاذن بالجهاد الى الاشتراك فى الاعمال العسكرية فشهدوا المشاهد كلها وابلوا احسن بلاء

وفاتت القافلة المسلمين وعادوا الى المدينة ولم يعملوا فى سفرهم عملا ماديا يستحق الذكر، وان كنا نعتقد ان خروجهم سواء اصابوا فائدة مادية ام لم يصبوا، ما كان ينحدر من تأثير ادبى يؤثر فى نفوس اعدائهم وفى نفوس سكان الحجاز كلهم وقد كانوا يرقبون باهتمام عظيم نتائج هذا النضال الدائر بين فريقين من قريش

٦ - غزوة سفوانه أو بدر الاولى

وأغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة (طرش) وكان يرعى بالجماء وهو جبل بناحية العقيق الى الجرف (شمالى المدينة) وعادة الغارة على الطرش او السرح من العادات المتبعة فى جزيرة العرب وهى ضرب من ضروب الغزو المباح عندهم، وتشيع عادة اذا لم تكن بينهم حكومة قوية تضرب على ايديهم

ووصل خبر الغارة الى المدينة فخرج النبي ﷺ على الفور في طلب المغيرين على رأس قوة من المهاجرين وواصل السير حتى بلغ وادي سفوان من ناحية بدر ، ولما لم يجدهم عاد الى المدينة من دون أن يحدث له حادث وكان ذلك في شهر ربيع الاول ايضا أى بعد رجوعه من بواط

٧ - غزوة العسيرة

وجاءت الأخبار الى المدينة في شهر جمادى الأولى وقيل جمادى الآخرة بأن قافلة قریش السنوية الكبرى تتأهب للسير الى الشام قريبا فخرج النبي ﷺ على رأس ١٥٠ وقيل ٢٠٠ من المهاجرين للقائها ومعهم ٣٠ بعيرا وواصل سيره حتى العسيرة على الطريق بين مكة والمدينة فبلغها بعد مرور القافلة وفعل ما فعله في غزوة ابواء فوادع بنى مدلج من سكان تلك الناحية على ما عاهد عليه حلفاءهم من بنى ضمرة في الغزوة السابقة ثم عاد الى المدينة بعد ما أقام شهرا كاملا هنا يدرس حالة قریش ويستقصى أخبارها . ولا يخفى أن العسيرة أقرب مكان الى مكة بلغته سرايا المساميين العسكرية منذ بدأوا بتسييرها

٨ - سرية عبد الله بن محمد بن الاسدي

وفي شهر رجب جهز قوة من ١٢ مهاجرا وسيرها بقيادة عبد الله بن جحش الاسدي وسلم قائدها كتابا محتوما وأوصاه بأن لا يقضه الا بعد انقضاء يومين على مغادرته المدينة على أن يكون للذين معه حق الخيار فاذا شاءوا مضوا معه لتنفيذه . واذا شاءوا عادوا الى المدينة مما يدل على أن المهمة التي اتتدبوا لها كانت شاقة وصعبة وخطيرة الشأن ولولا ذلك لما كانوا في حاجة الى « كتاب محتوم » ولما منح رجالها حق الرجوع اذا شاءوا

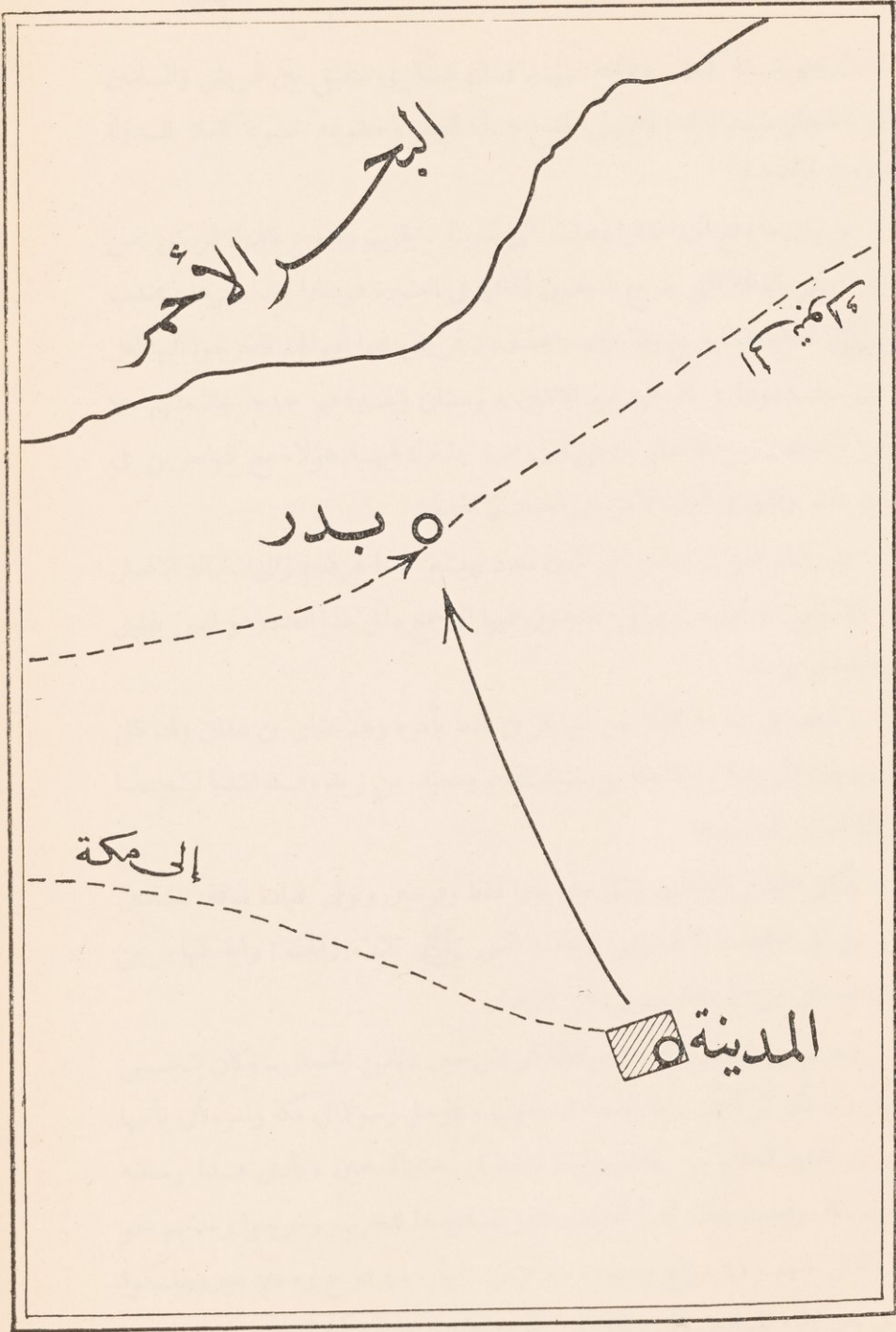
وفض عبد الله الكتاب فألفاه يتضمن أمرا له ولأصحابه بأن يمضوا حتى ينزلوا نخلة فيرصدوا قريشا ويعرفوا أخبارها . ونخلة هذه على الطريق بين مكة والطائف وقد تقدم وصف مكانها . فلم يترددوا في الذهاب رغم صعوبة العمل ورغم اضطرابهم لأن يطرقوا ديار قريش ويمروا في أرضها ، ولا يأمنون كيدها إذا صادفتهم أو وقعوا في أيديها

ومرت بهم بعد وصولهم الى نخلة قافلة لقريش تحمل خمرًا وادما وزيبيا ، جاءت به من الطائف وفيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن الغيرة واخوه نوفل والحكم بن كيسان ، فقتلوا فيها فيما يفعلونه وهل يدعونها تمر وتقلت من أيديهم ام يهاجمونها ويغنمون ما فيها ، فاستقر رأيهم على الشق الثاني ، فرمى واقد بن عبد الله التيمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، فكان اول قتيل قتله المسلمون من قريش ، وحمل المسلمون على القافلة فأسروا الحكم بن كيسان وعثمان بن الغيرة وفر اخوه نوفل وغنموها فكان اول غنم يغنمونه ايضا من قريش وعادوا بها وبالاسيرين الى المدينة وكانت المعركة في آخر يوم من أيام رجب اى في الشهر الذى تمنع العرب فيه القتال وكبر الأمر على قريش واستعظمت له لأنه أول حادث من نوعه ولأنه حدث في شهر رجب اى في الوقت الذى اتفق العرب على تحريم القتال فيه ، ووجهت انتقادات شديدة الى المسلمين . وكان النبي ﷺ بنفسه في مقدمة من أنكر على رجال السرية تصرفهم حينما قدموا عليه وقال لهم : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ، على أن الأزيمة انفرجت بنزول قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فاقر النبي ﷺ تصرفات عبد الله ومن معه وفدى الاسيرين وأخذ خمس الغنيمة

٩ - غزوة بدر الكبرى

كانت معركة بدر الكبرى ، خاتمة عهد ابتداء بمظاهرات أو مناوشات عسكرية

غزوة بدر



قلب قلند



امتدت نحو سنة كاملة وفتحة عهد نضال عسكري حقيقى بين قريش والمسلمين وكان الحجاز ميداناً له ، وانهى بفتح هذا القطر وخضوعه خضوعاً كاملاً للدولة الاسلامية الجديدة

و بيان ما وقع أن اخباراً وصلت الى المدينة ، بقرب رجوع قافلة قريش من الشام ، وهى القافلة التى خرج المسلمون للقائها فى العشيرة فوصلوا بعد سفرها ، فندب النبى ﷺ اصحابه للخروج وقال لهم « هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها » فخرجوا يوم الاثنين ٨ رمضان وعددهم ٣١٣ رجلاً منهم ٧٠ مهاجراً والباقيون من الانصار ، وهى أول مرة يشترك فيها هؤلاء مع المهاجرين فى الحملات فقد وقفوا فى أول الأمر على الحياد كما تقدم

ولم يكتم النبى ارتيابه ، الى كثرة عدد جيشه حينما عرضه ، والى اشتراك الانصار فيه ، ولا يخفى أنه أول مرة يوفق المسلمون فيها الى جمع مثل هذا العدد وهو ليس بقليل بنسبة حالتهم يومئذ

وتخلف فى المدينة ثلاثة من المهاجرين فقط بأمره وهم عثمان بن عفان وقد ظل عند زوجته المريضة ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد وقد اتدبا ليتجسسا خبر القافلة ويرقبا سيرها

وكان الجيش الاسلامى يملك ٧٠ بعيراً فقط وفرسين وتولى قيادة ساقية المسلمين قيس بن أبى حقة الانصارى . وعقد النبى ﷺ ثلاث رايات : راية للمهاجرين وكانت مع على بن ابى طالب ورايتين للانصار

وعرف أبو سفيان وكان يرأس قافلة قريش حين دنامن الحجاز - وكان يتجسس الاخبار ويسأل الركبان - بما يعده له المسلمون ، فarsل رسولا الى مكة وامره أن يأتيها ويستنفر أهلها للدفاع عن قافلته فلا تسقط فى أيدي المسلمين ، فادى هذا رسالته فقامت مكة وقعدت لهذا النبأ العظيم وتجهز صناديدها للحرب وخرجوا وعدتهم نحو الف مقاتل منهم ٦٠٠ دراع ومعهم ١٠٠ فرس عليها ١٠٠ درع و٧٠٠ بعير وسلكوا طريق بدر للقاء المسلمين وقد وثقوا من قوتهم واطمأنوا الى كثرتهم

وجاءت الاخبار للمسلمين بخروج اهل مكة لقتالهم فاستشار النبي أصحابه فيما يفعل وهل يصمد لقتالهم؟ أم يرصد القافلة؟ أم يعود الى المدينة؟ فخطب خطباء المهاجرين في الحجة وقالوا له «انا معك . وانك لو سرت الى برك الغماد لجالدنا معك دونه حتى تبلغه» وخطب سعد بن معاذ باسم الانصار وقال له «قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله» فسره ذلك منهم وارتاح اليه وقرر المضي في تنفيذ الخطة التي رسمها

وشعر أبو سفيان بالخطر حينما اقترب من بدر فغير وجهة سيره وبدلا من أن يسلك طريق القوافل المعتاد، سلك طريق البحر فبلغ مكة آمنا ولم يمسه سوء . فارسل من فوره رسولا الى قريش وكانت تنزل في ذى الحجة قرب بدر يبلغها خبر وصوله ويقول «ارجعوا الى بلدكم فقد خرجتم لانقاذ قافلتم ومتا عمكم وقد نجها الله»

وأصر أبو جهل (وقد ذكر اسمه الحقيقي من قبل) على مواصلة التقدم وورود بدر والنزول فيها ماداموا قد خرجوا وخالفه الاخنس بن شريق الثقفي وكان حليفا لبني زهرة فقال لقومه انما خرجتم للدفاع عن اموالكم واصحابكم الذين في القافلة وما داموا قد نجوا فلا حاجة لكم في قتال المسلمين، فانفصلوا عن قريش وعادوا الى مكة وواصل الباقون تقدمهم حتى نزلوا بالعدوة القصوى من وادي بدر خلف العقنقل . وسبقهم المسلمون فنزلوا في مراكز منيعة واستولوا على آبار الماء وأحسوا تعبئة قواهم وتنظيمها . ومما يستحق الذكر في هذا المقام ما رواه ابن هشام وخلاصته ان الحباب بن المنذر بن الجموح جاء الى الرسول ﷺ بعد وصول المسلمين الى بدر وبعد ما عبأهم بذاته طبقا لخطة رسمها وقال له : أرأيت يارسول الله هذا المنزل ، امنزلا انزلك الله ليس لنا ان نتقدم ولا تتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال فان هذا ليس بمنزل فانهمض بالناس حتى تأتي ادنى ماء من القوم فاني اعرف غزارة مائه فنزل به ثم تغور ماوراءه من القلب (١) ثم نبني عليه

(١) جمع قليب وهو البئر

حوضاً فتملأه ماء ثم نقاتل القوم فشرب ولا يشربون .

ولم يتردد الرسول ﷺ في الأخذ بهذا الرأي الصائب فنهض وسار وتبعه المسلمون حتى أتى أقرب ماء من المكان الذي نزل المشركون فيه فنزله وبنى حوضاً للماء كما أشار الحباب وملاؤه، ثم قذفوا بالآنية في البئر وغوروه وأقاموا حامية منهم للدفاع عن الحوض وصد المشركين ووصل المكيون في الغداة ، وكان المسلمون قد تأهبوا للقائهم وأعدوا عدتهم للكفاح والنضال

وظهرت في صفوف قريش قبل أن ينشب القتال فكرة تقول بالكف عن الحرب وكان زعيم القائلين بهذا الرأي عتبة بن ربيعة هو من كبار الامويين فقد خطب في أصحابه ودعاهم الى الرجوع وترك المسلمين وشأنهم وقال لهم « خلوا بين محمد وبين سائر العرب فان أصابوه فذاك الذي أردتم وان كان غير ذلك لا يضركم » وعارض أبو جهل وأنصاه في الاخذ بهذا الرأي وقاوموه أشد مقاومة ورموا دعائه بالحجور والخبين وقال « والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد » فانقاد الناس اليه ، واتبعوا رأيه

ورتب المسلمون صفوفهم وتأهبوا للنضال ، وخرج الاسود المخزومي يقصد الحوض ليرده فضربه حمزة بن عبد المطلب وكان واقفاً عنده لحمايته فجرحه في رجله فعاد الى اقتحامه فقتله فكان اول قتيل في بدر

وبرز عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة فأسرع فتية من الانصار للقائهم فقالوا لهم مالنا بكم حاجة انما نريد قومنا نخرج اليهم حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث فبارز عبيدة عتبة وحمزة شيبة وعلى الوليد فقتل على صاحبه ومثله حمزة وانضما الى عبيدة وقد جرح في المعركة فأجهزوا على عتبة

وغادر النبي ﷺ مقره ، وكان يقيم في عريش مرتفع بناه له سعد بن معاذ زعيم الانصار ، ومعه أبو بكر لحمايته والدفاع عنه حينما انتهت المبارزة، وجال بين صفوف المسلمين وقال لهم ان دنا القوم منكم فانضحوهم واستبقوا نبالكم ولا تسالوا السيوف حتى يعشوكم . وأمرهم بأن لا يحملوا حتى يأمرهم

ونسبت المعركة على الاثر، وحمل القرشيون على المسلمين فصدوا لهم وقتلواهم
أصدق قتال وكان رسول الله ﷺ يطوف بين رجاله ويحثهم على الثبات ولم
يطل الامر حتى دارت الدائرة على قريش فتضعفت ثم انهزمت وولت الادبار وفاز
المسلمون فوزا عظيما وفقد اعداؤهم في هذه المعركة عددا غير قليل من اعلامهم
ووجوههم فعدا عن الثلاثة الاولين شيبة وابنه وأخيه قتل ابو جهل اعدى اعداء
المسلمين وقتل أيضا امية بن خلف الجحى قالوا وبلغ عدد قتلهم يومئذ ٧٠
وأسروا منهم وايضا ٧٠ أسيرا وغنموا أسلابهم وأموالهم وهي كثيرة وقتل من
المسلمين ثمانية

وكان بين الاسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأبو العاص بن الربيع
صهره وعقيل بن ابى طالب شقيق على وعدد من مشاهير قريش بينهم النضر بن
الحارث العبدري وعقبة بن ابى معيط بن ذكوان بن امية بن عبد شمس وكانا من أشد
الناس عداوة للنبي ﷺ وقد حاول الاخير قتله خنقا في مكة وانقذه ابو بكر من يده
فقتلا بامر دونه بقية الاسرى وهم في طريقهم الى المدينة

واستشار النبي ﷺ ابا بكر وعمر وعليما فيما يفعله بالاسرى فأشار الاول باستبقائهم
وأخذ الفداء منهم وقال له « اهلك وقومك قد اعطاك الله الظفر بهم ونصرك عليهم ،
ارى ان تستبقهم وتأخذ منهم الفداء فيكون ما اخذناه منهم قوة لنا على الكفار
وعسى الله ان يهديهم بك فيكونوا لنا عضدا »

ورأى عمر بن الخطاب قتلهم وطلب ان يمكن من قريب له منهم فيضرب عنقه
ويضرب على عنق اخيه ويضرب حمزة عنق العباس حتى يعلم انه ليس في قلوبنا
مودة للمشركين . ولم ينقل المؤرخون رأيا لعلى . ورأى عبد الله بن رواحة الأنصارى
احراقهم بالنار في واد كثير الخطب . ورجح المصطفى ﷺ رأى أبى بكر واخذ به وامر
بالاسرى فوزعوا في بيوت المسلمين . وكان ابو وداعة الحارث أول من فدى منهم ،
فداه ابنه باربعة آلاف درهم وتتابع بعد ذلك وصول المال وكان الفداء يتفاوت
بين ألف والفين وثلاثة وأربعة آلاف درهم طبقا لحالة الاسير المادية والاجتماعية .

و يقدر مادفعته قريش فداء لأسراها بعشرين ألف درهم وكسور ، وكان من جملة الاساليب التي اتبعها المسلمون في معاملة الاسرى انهم كانوا يطلقون سراح كل من يعلم عشرة من اطفال المدينة القراءة والكتابة . وقد أطلق سراح كثيرين منهم بهذه الوساطة وتعلم كثيرون من الاطفال على ايديهم فانتشرت بذلك القراءة والكتابة بينهم

ودفع العباس بن عبد المطلب وابنا اخيه عقيل ونوفل وحليفه عتبة بن عمرو الفداء فأطلق سراحهم ومثل ذلك دفعت فدية ابي العاص صهر النبي ﷺ وهكذا كانت معركة بدر من أعظم المعارك وأيمنها على المسلمين ، ولئن فاتتهم القافلة فان الغنائم وأموال الفداء عوضتهم عنها

واستقبل الجيش الاسلامي حين عودته الى المدينة بالهتاف والاستبشار وفرح المسلمون بانتصارهم وفوزهم ، وازدادوا ايمانا على ايمانهم

فتح ابجواز

نسخه

الحجاز

معلومات جغرافية عامة

يطلق الحجاز على الاقليم المعروف باسمه في بلاد العرب ويحده البحر الاحمر غربا، ونجد شرقا اخذا بالتقسيم الجغرافي الجديد الذي يجعل نجدا اقليما مستقلا ، أما في القديم فكانوا يعتبرونه جزءا منه ، وبلاد الشام شمالا ، وعسير جنوبا ويقطعه من الشمال الى الجنوب جبل السراة ويبلغ طوله من الجنوب الى الشمال نحو ١٥٠٠ كيلومتر وعرضه من الغرب الى الشرق ٣٠٠ كيلومتر . ومن مدنه المشهورة مكة وهي عاصمته من القديم والمدينة المنورة وجدة والطائف وينبع والوجه والعلا وضبا وسكانه من العرب وينقسمون في الوقت الحاضر الى قسمين : حضريون وهم سكان المدن ويتألفون - ولا سيما سكان المدن الثلاثة الاولى - من امشاج شتى وعناصر مختلفة . وبدو وهم سكان البادية ، وينقسمون الى قبائل وانفاذ ولايزالون على ما كانوا عليه قبل الاسلام

وكان الحجاز بما فيه نجد قطرا مستقلا في الجاهلية لاسلطان لأجنبي عليه وفيه نشأ الاسلام ومنه خرج المسلمون الاولون الذين اكتسحوا العالم ودوخوا الممالك ولم يخضع في جميع ادواره التاريخية لسلطة غير اسلامية . ولما دالت دولة الترك العثمانيين في اثناء الحرب العظمى قامت فيه دولة هاشمية أنشأها الشريف حسين باشا بن علي عاشت عشر سنوات (١٩١٦ - ١٩٢٤) وحلت محلها الدولة السعودية القائمة الآن ويقدر سكان الحجاز في الوقت الحاضر بليون نسمة منهم ٤٠٠ الف يسكنون المدن والباقي ينزلون البادية

١٠ صدى انتصار بدر

كان لانتصار المسلمين في بدر صدى بعيد الغور لافي المدينة ولا في مكة وحدهما بل في جميع أنحاء الحجاز ، فقد طار خبره وتحدث الناس بامرهم

ويمكن وصف النتائج العاجلة التي انتجها بما يأتي :

١ - وطد سلطان المسلمين في المدينة ويمكن لهم فيها وزاد في هيبتهم ومكانتهم
٢ - كان مصدر يمن وبركة لهم فقد خفف عنهم ما تقاضوه من فداء الاسرى وما غنموه من غنائم بعض ما كانوا يجدونه من ضائقة شديدة ، كما شدد عزائمهم وضعف قواهم المادية ما اخذوه من سلاح وابل وما كانوا يملكون سلاحا كافيا من قبل

٣ - ساعدهم على نشر التعليم في عاصمتهم الجديدة ، فتعلم كثيرون من اطفالهم القراءة والكتابة على يد الاسرى من قريش ، وكان عدد الذين يقرأون ويكتبون في المدينة قليلا

٤ - زادهم وثوقا برسالة رسولهم واعتقادا بصحة نبوته ، ولا سيما بعد ما رسخ في أذهانهم أنه لم ينصر الا بتأييد السماء ونزول الملائكة لمساعدته واشتراكها في القتال لتأييده . ومن تؤيده السماء وترضى عنه فهو مؤيد منصور

٥ - زاد في حقد قريش على المسلمين ونقمتها عليهم فانصرفت لاعداد حملة قوية تزحف عليهم للمطالبة بأرهابها فاكثرت تجارها واغنياؤها بمبالغ كبيرة لشراء أسلحة وتجنيد جيش كبير ، ونذر أبو سفيان على نفسه أن لا يقرب النساء حتى يثار من المسلمين

٦ - انشأ أحقادا واضعانا في صدور طائفة من اليربيين ، عرفوا في التاريخ

الاسلامى بالمنافقين فقد كبر على زعيمهم عبد الله بن ابى مبلغه السامون من انتصار وبعديت ، فاخذ يكيدهم ويعمل على مقاومتهم من وراء ستار ، ويقال انه كان يطمع أن ينادى به أميرا على الاوس والخزرج ، فلما قدم النبي ﷺ الى المدينة وانتقلت اليه زعامتها ، خاب أمه

هذا بعض مايرد على ذهن الباحث وهو يحاول سرد النتائج المادية والادبية العاجلة التى انتجها انتصار المسلمين العظيم فى بدر ، فهو وان لم يك حاسما ولم يقض على قوى قريش ولم يحملها على الخضوع والاستسلام فانه كان فاتحة طيبة للمسلمين الذين ما كانت قواهم المادية لتذكر فى جانب قوات قريش الكبرى ، وما كانت ثروتهم لتذكر فى جانب ثروتها كما ان عدد المحاربين منهم ما كان ليذكر فى جانب عدد المحاربين منها ومن حلفائها

ومما يجعل لهذا النصر أهمية خاصة فى نظر كل من يدرس التاريخ الاسلامى ويمشى حوادثه وقوعه فى زمن كان السامون فيه أقلية ضئيلة لا تذكر فى جانب الاكثرية القوية المعتزة بعددها وعددها وثورتها وتجارها وحسبها ونسبها ، وقد عد هذا الانتصار برهانا ساطعا على تأثير القوى الروحية التى بشر محمد ﷺ بها ودعا الى الايمان بها فاولاها ولولا مساعدتها لما انتصر السامون على اعدائهم ولما تغلبوا عليهم

بقى علينا ان نسرده العوامل المادية التى ضمنت للمسلمين فوزهم وانتصارهم فى بدر رغم التباين المشهود فى القوى والعدد والعدد فنقول:

١ - ان فى مقدمة هذه العوامل تعبئة المسلمين تعبئة حسنة فى بدر ويعود الفضل فى ذلك الى الحباب بن المنذر بن الجوح الانصارى وكان عارفا بجغرافية السكان ومواقعه ، ولم يتردد النبي ﷺ فى الاخذ برأيه حينما أشار عليه بترك الاماكن التى نزلوها ، وللتعبئة مقام عظيم فى فن الحرب وتأثير كبير

٢ - مكنت التعبئة الجديدة التى أشار بها الحباب المسلمين من السيطرة على آبار

الماء فكانوا يقتاتلون والماء موفور لهم ، ممنوع على اعدائهم ، ومتى ذكر القارىء أن معركة بدر قد دارت في ١٧ رمضان وهو يعادل شهر يوليو من تلك السنة ، ويشد الحر كثيرا بالحجاز في هذا الوقت ولا سيما في صحاريه وترتفع الحرارة الى ما فوق الخمسين في ميزان سنتغراد ، أدرك المزايا العظيمة التي يمتاز بها جيش يملك حاجته من الماء ويمنع عنه خصمه ، واذا قيل لنا ان المكيين معتادون على حر الحجاز وقيظه نقول انهم غير معتادين على قلة الماء وفقده ، وخصوصا في وسط الصحراء في يوم عبوس قطيرير كيومهم في بدر

٣ - ما أجمع عليه الرواة من هبوب زو بعة رملية شديدة في إبان المعركة زادت في حراجة موقف قریش وصعوبته ، فقد كان الغبار يملاً وجوههم وانوفهم وعيونهم فلا يكادون يبصرون ما امامهم أى انهم كانوا في وضع معاكس لهبوب الريح بخلاف وضع المسلمين فكان على أفضل مايرام

٤ - فوز المبارزين المسلمين في أول المعركة على خصومهم وقتلهم اياهم وهم ذوو مكانة رفيعة في قومهم

٥ - وحدة الرأي بين المسلمين والتفافهم حول قائدهم وانقيادهم اليه بعكس المكيين فقد ظهر الخلاف في صفوفهم قبل المعركة ، ومن يقابل بين خطب الصحابة وكيف أجمع زعمائهم على القول للنبي ﷺ بأنه لو سار الى برك الغماد لساروا معه ولو قاتل الجن والانس لقاتلوا معه ، برجوع الاخنس بن شريق بنى زهرة من الجحفة (منطقة بدر) ويقدر بعضهم الذين رجعوا معه بمئة ويجعلهم آخرون ٣٠٠ أى نحو ثلث جيش قریش ، وهو عدد لا يستهان به، يرى الفرق كثيرا فقد أبى هؤلاء قتال المسلمين بعد ما علموا بوصول القافلة سالمة الى مكة يضاف الى ذلك ما حدث بين عتبة بن ربيعة وكان يمثل عددا كبيرا في الجيش وبين أبي جهل والحاح الاول بالرجوع والانسحاب وعدم قتال المسلمين وقوله حينما قام فيهم خطيبا « والله يامعشر قریش ما تصنعون شيئا حينما تلقون محمدا وأصحابه ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجهه رجل يكره النظر

اليه ويقول قد قتل ابن عمي أو ابن خالي أو رجلا من عشيرته، فارجعوا واخلوا بين محمد وبين سائر العرب فان أصابه غيركم فذاك الذي أردتم ، وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدوا منه ما تريدون ، يا قوم اعصوها اليوم برأسى وقولوا جن عتبة وأتم تعلمون انى لست بأجبنكم » ومعارضة أبي جهل له ، وكان يمثل الفريق المتطرف في الجيش ويقول بوجوب قتال المسلمين واستئصالهم لئلا تعيرهم العرب، وكانت النتيجة اشتراك عتبة في المعركة وقتله وابنه واخيه وقتل ابى جهل نفسه في ذلك اليوم

٦ - استهانة قريش بأمر المسلمين واستصغارها لأمرهم واستصحابها الخمر اعتقادا من رجالها بانهم ذاهبون «لنزهة عسكرية» ومما يؤثر عن أبى جهل قوله حينما أرسل اليه أبو سفيان يدعو للرجوع الى مكة لان القافلة وصلت سليمة « والله لأنرجع حتى نرد بدرنا فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا »

قابل هذا كله بوصف الحالة الأدبية والروحية التي كان عليها المسلمون قبل المعركة واكثار النبي ﷺ من الصلاة والدعاء وقوله « اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد فى الارض » وطوافه بين أصحابه وقوله لهم «والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة » وقوله « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ترى الفرق كبيرا جدا بين حالة المسلمين وحالة خصومهم وتسلم بانه لا بد من انتصار هؤلاء وفوزهم مهما كثر عدد أعدائهم لانهم كانوا يقاتلون عن عقيدة وايمان بعكس اولئك الذين لم تكن تجمعهم سوى جامعة الانتقام من المسلمين والرغبة فى القضاء عليهم

٧ - اعتقاد المسلمين انهم يخوضون معركة يتوقف على انتصارهم فيها فوزهم ونجاحهم وكيد أعدائهم واذلالهم

٨ - اعتقاد المسلمين ان الذين يقاتلون منهم يذهبون الى الجنة وينزلون أرفع المنازل وأرقاها ، ولم يك ذلك شائعا بين قريش وما كانت تؤمن بالبعث فهذه الاعتبارات الجوهرية و بعضها مادى وبعضها معنوى أثرت فى سير القتال

ورجحت كفة المسلمين وكانوا يمتازون على اعدائهم بجودة مواقعهم وحسن تعبئتهم وتضامن رجالهم واتحاد كلمتهم والتحام صفوفهم ووفرة الماء لديهم واعتقادهم بأن قتلاهم في الجنة وقتلى اعدائهم في النار وصدق عزيمتهم وايمانهم ، علاوة على ما كان المهاجرون المكيون - وهم نخبة جيش بدر وعمدته - يجدونه على قریش وشدة شوقهم الى الانتقام منها لسوء صنيعها معهم فقد اضهدتهم ثلاث عشرة سنة ولم تدخر وسعا في تعذيبهم والتنكيل بهم

ولا نشك في أن انتصار بدر كان من العوامل الكبرى في توطيد قدم الاسلام ورسوخ قواعده ، وانتشاره في بادية الحجاز

ويجب أن لانغفل شأن المعدات الحربية التي غنمها المسلمون في بدر فقد ساعدتهم على تسليح جيشهم وتوسيع نطاقه توسيعا نسبيا كما أن ما قبضوه باسم فداء الاسرى وقدره عشرون الف درهم ونيف - وهو مبلغ لا يستهان به بالنسبة لمن كان في حالتهم تلك - ساعد على تحسين حالتهم المادية

وبالجملة فقد كان انتصارهم في ذلك اليوم من اعظم الانتصارات في تاريخهم العسكري وهو لا يقل خطورة في نظرنا عن فتح مكة

وكما اعتبرنا يوم دخول النبي ﷺ الى المدينة يوم انشاء الدولة الاسلامية الجديدة فاننا نعتبر يوم بدر فاتحة استيلاء المسلمين على الحجاز ومقدمة له ، فلولاها لما رسخت قواعد دولتهم ولما دان الحجاز وخضع لسلطانهم

الاعمال العسكرية في شرق المدينة

ذاق المسلمون لذة النصر في بدر وفرحوا بما آتاهم الله من فضله ، فنشطوا ووسعوا نطاق أعمالهم العسكرية ، فلم يقيموا في المدينة ، بعد عودتهم من بدر سوى ستة أيام فقط ، نادى بعدها مناديتهم بالتأهب للرحيل نخرجوا في شهر شوال من السنة الثانية قاصدين بنى سليم

و بنو سليم هؤلاء ينزلون في شرق المدينة الشمالى على طريق نجد وتبعد منازلهم عنها نحو ١٢٠ كيلو مترا و يعدون من القبائل القوية اجمالا وان كنا لانعرف مصدرا نستدل به على عدد نفوسهم ، ولا على عدد القوات التي خرج بها النبي ﷺ لقتالهم ولا الاسباب التي بعثت على غزوهم ، فقد رجعنا الى كتب السير والمعازى التي اعتمدنا عليها وهي الواقدي والطبرى وابن هشام وابن كثير فلم نجد فيها ما يشفي الغليل وخلاصة ماقالته - وهو مكتوب بصيغة واحدة في الكتب الاربعة مما يدل على وحدة المصدر وعلى ان كل واحد منهم اعتمد على صاحبه ، ولم يكلف نفسه مؤنة البحث والاستنتاج مكتفيا باثبات ما اثبتته غيره ، هو ان النبي ﷺ لم يقم بالمدينة سوى سبع ليال ثم غزا بنى سليم فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فاقام عليه ثلاث ليال ثم عاد الى المدينة يلق كيدا

نعم هذا ما رواه ابن هشام وغيره من كتاب السيرة النبوية القدماء وزاد عليه بعضهم فقال ان بنى سليم هربوا حينما علموا بخروج المسلمين لقتالهم تاركين نعمهم وعددها ٥٠٠ بعير غنموها وعادوا بها الى المدينة واقتسموها حينما اقتربوا منها وما يستوقف النظر في هذه الغزوة ويهمننا نحن بوجه خاص ان نسجله كونها

المرّة الاولى التي يغزو المسلمون فيها شرق المدينة فقد اقتصرتم اعمالهم العسكرية في
المرحلة الاولى على جنوبها (بدر) وشمالها (ابواء) وغربها رابع وقديد . اما في هذه
المرّة فقد ولوا وجههم شطر المشرق عاملين على اخضاع قبائله فقصدا بنى سليم وعادوا
ولم يشتبكوا في معركة معها لانها أحجمت عن منازلهم كما يؤخذ من أقوال المؤرخين ،
وخافت بأسهم وقوتهم ، ولولا ذلك لما تأخرت عن قتالهم . واذا صح ماجاء في الروايات
الآخري وهو انهم عادوا من هذه الغزوة بخمسمائة بعير فيكون الفوز مضاعفا

أول اصطدام بين المسلمين واليهود

جلاء بني قينقاع

تبسطنا في الكلام ونحن ندرس حالة اليهود في الحجاز حين ظهور الاسلام ،
(انظر ص ٣١) عن العوامل التي ادت الى اصطدام المسلمين باليهود .
وقلنا ان في مقدمتها التنافس الاقتصادي والتنازع على السيادة والنفوذ فقد
كان اليهود يسيطرون على شمالي الحجاز سيطرة فعلية حين ظهور الاسلام وكانوا
أصحاب النفوذ السياسي في بواديه وحواضره ، كما كانوا يسيطرون عليه تجاريا وماليا
فمرافقه في ايديهم ، وتجارته خاصة بهم ، وامواله تجبي اليهم ، وكل شيء رهن أمرهم
وتحت تصرفهم

وانتقلت الزعامة السياسية الى المسلمين حينما نزلوا المدينة وانشأوا جماعتهم
وتمثلت في شخص النبي ﷺ ، زعيم المسلمين وكبيرهم فصار سيد المدينة غير
مدافع وصار المرجع الوحيد فيها ، وحسبك انه استخلف خليفة عنه في ادارتها عند
خروجه لاول غزوة في السنة الاولى للهجرة ، ومعنى ذلك انه صار سيدها وصاحب
الرأى الاعلى في أمورها . ومن تحصيل الحاصل القول ان ظهور المسلمين بهذا
المظهر من القوة ، وبسطهم نفوذهم السياسي على المدينة وعلى المناطق المجاورة ،
كسف النفوذ اليهودي وغطى عليه يضاف الى هذا مزاحمة المهاجرين المكين لليهود
اقتصاديا ، وانشأؤهم سوقا الى جانب سوقهم مما أثر في نفوس هؤلاء فاخذوا يجاهرون

المسلمين بالعداء ويكيدون لهم ويطعنون فيهم وفي دينهم ، فصر المسلمون على مفض
 في اول الامر، لأنهم كانوا ضعافا، ولأنهم لم يروا من مصلحتهم أن يشتبكوا في نضال مع
 اليهود، ولا يزالون في نضال مع قريش ولا تزال تطاردهم ، وتقفوا اثرهم
 وتبدل الموقف في المدينة بعد عودة المسلمين مثقلين بالغنائم والاسرى من بدر
 وبعده رجوعهم موفقين من بنى سليم ، فاستقر رأيهم على تصفية الحساب مع يهود
 المدينة ، أى يهود بنى قينقاع وحدهم وقد قلنا من قبل انهم كانوا يقيمون في داخلها
 وقد رنا عدد نفوسهم بالف وخمسمائة على وجه تقريبي وانهم كانوا يضايقون المسلمين
 ويسئون اليهم

والمؤرخون على خلاف في وصف الأسباب الظاهرية التي سببت الصدام، والذي
 عليه الاجماع هو ان النبي ﷺ زار سوقهم بعد رجوعه من بنى سليم (سوق بنى قينقاع)
 فاجتمعوا حوله فدعاهم الى الاسلام والدخول في دينه ، لان ذلك أفضل وسياسة
 لحل مشكلاتهم لو تم، وقال لهم « يامعشر اليهود احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل
 بقريش من النقمة ، واسلموا فانكم قد عرفتم انى نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم
 وفي عهد الله اليكم» فابوا اجابة دعوته واستكبروا واستكبارا وقالوا له والعجب والغرور
 يملأ أوداجهم :

« يا محمد انك ترى اننا كقومك . لا يفرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب
 فاصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربنا لتعلمن انا نحن الناس »

ولم يسفر هذا الاجتماع عن نتيجة، فقد اكتفى النبي ﷺ فيه بدعوتهم الى دينه
 وتلك هى المرة الاولى فيما نظن بوجه اليهم مثل هذه الدعوة ، ثم حذرهم من الوقوع
 فيما وقعت فيه قريش حينما أنكرت دعوته وحاربتة وهددهم ضمنا بالقتال اذا اتبعوا
 ما اتبعته قريش

والواقع أن دخول اليهود في الاسلام كان الوسيلة الوحيدة لحل الخلاف بينه وبينهم

في تلك الايام لانه لم يعد المسلمون يامنون جانبهم بعد الذي وقع من المهاترات
والمناقشات اللفظية

وقال اليهود في الرد على انذاره اننا كقومك أى اننا لسنا باعدائك وخصومك،
وقوم الرجل هم آله وعصيته ، ولذلك فلا موجب لقتالنا ونزالنا ، ثم قالوا واذا كنت
لاتنظر الينا بهذه النظرة ، ولا تريد أن تعاملنا بما تعامل به قومك وأبيت الاحاربتنا
فاعلم اننا نحن الناس ، ومعنى ذلك أنهم أرادوا أن يقابلوا تهديده بتهديد مثله وكما
حذرهم من الوقوع فيما وقعت فيه قریش ، حذروه من التورط في حربهم لانهم أقوياء
ولانهم هم الناس

وثمة حادث آخر تلى هذا الحادث رواه ابن هشام، وخلصته ان عربية جاءت
الى سوق بنى قينقاع بجلب لها فباعته ثم جلست الى صائغ يهودى فجعلوا يريدونها على
كشف وجهها فأبت فعقد الصائغ طرف ثوبها الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوائها
فضحكوا فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فانتصر اليهود لصاحبهم
وقتلوا المسلم فغضب المسلمون وحملوا على اليهود فجاء هؤلاء الى حصنهم ، فضرب
المسلمون الحصار حوله وقطعوا كل صلة لهم بالخارج

وحاول بعض الباحثين جرح هذا الخبر بحجة أنه لم يرد في المصادر الاخرى
وعندنا أن عدم ايراد الطبرى له لا يجوز أن يتخذوسيلة للتعن فيه فحدوثه غير مستبعد
من الوجهة المادية كما انه لا ينطوى على شىء غير معقول من الوجهة الاخبارية سيما وهو
يقص حادثة تتكرر تقريبا في أسواق الشام والعراق وطالما تحرش بعض شبان
التجار هنا وهناك بالفتيات البدويات اللواتى يرتدن الاسواق وسخروا منهمن سالكين
نفس الطريقة التى اتبعت في سوق بنى قينقاع أو ما يماثلها

وعندنا ان المسألة لم تكن مسألة امرأة عربية اعتدى عليها وانما كانت مسألة
جوهرية للمسلمين فهم بعد وقوع ماوقع بينهم وبين قریش من جهة، وكانوا يترقبون
حملتها عليهم من وقت الى آخر طلبا لثأرها ، وبعد ماجرى بينهم وبين اليهود من

المنافسات والمساجلات والمباحكات ، و بعد ان رفض هؤلاء ماعرضوه عليهم من الدخول في دينهم والاشراك في جماعتهم ، كانوا بين امرين : اما ان يسكتوا عنهم ويتحملاوا اذاهم واما ان يقاتلوهم ويتخلصوا منهم . وحدث حادث السوق ، فحملاوا عليهم ، فنجحوا نجاحا عظيما اضيف الى سلسلة انتصاراتهم المتتابعة فعزز مقامهم وخالصة ماوقع هو ان بنى قينقاع لجأوا الى حصنهم حينما حمل عليهم السامون وكان ذلك في شهر شوال من السنة الثانية ، وكان عددهم ٧٠٠ مقاتل كما علمت (٣٠٠ دارع و ٤٠٠ حاسر) فضرب السامون نطاقا حولهم وقطعوا كل اتصال بينهم وبين الخارج

ويؤخذ مما لدينا من المصادر ان القينقاعيين كانوا يعتمدون في نضالهم مع الساميين وفي رفض مطالبهم ، على تأييد حلفائهم الخزرج فقد انضموا اليهم يوم بعث (وهو اليوم الذي اقتتل فيه الاوس والخزرج فانضم بنو قينقاع الى هؤلاء ونصروهم ، كما انضم بنو قريظة الى الاوس ونصروهم) ومعنى ذلك انه لم تكن هنالك رابطة سياسية بين يهود المدينة انفسهم ، بل كانوا منقسمين الى قسمين : قسم يوالى الاوس وقسم يوالى الخزرج . ولعلمهم ارادوا من هذا التدبير اكتساب ود الفريقين على السواء فلا يخرجون عليهم . وعلى كل حال فان قعود بنى النضير وقريظة عن نصرتهم حينما حاصرهم السامون وعدم تدخلهم يدل دلالة واضحة على فقدان الرابطة من بينهم ولو نهضوا لنصرتهم قبل ان ينكبوا ويجلوا عن بلادهم لوقوهم شر الطرد على الاقل . وقد لايبعد ان يكون تغافلهم عنهم نشأ عن المنافسات التي كانت بينهم بسبب يوم بعث ولا يصح ان يتخذ ذلك باى حال مسوغا يسوغ عمل بنى قريظة وبنى النضير ، وخصوصا بعد ما اتحد الاوس والخزرج انفسهم - وهم الذين كانوا يتقاتلون في الاصل - تحت راية النبي ﷺ ونهضوا معه لمحاصرة بنى قينقاع . اما يهود خيبر فما كان في استطاعتهم ان يفعلوا شيئا لدفع منازل باخوانهم من ضر لان المدة بين الهجوم عليهم ومحاصرتهم واجلائهم لم تزيد على ١٥ يوما وهى لاتكفى لوصول الاخبار الى خيبر

- وتبعد عن المدينة نحو ١٢٠ كيلومترا أو مسيرة اربعة أيام - ولتجهزهم وسيرهم لنجدتهم سيما ولم يكونوا حلفاءهم . يضاف الى هذا ان اليهود انفسهم ما كانوا حتى ذلك الوقت يوجسون خيفة من الاسلام ولا يخافون من انتشاره وربما كانوا يعتقدون ان قريشا وحدها كافية للقضاء عليه فلماذا يتعبون انفسهم بقتاله؟ ولا نشك في انهم لو عرفوا ان امره سيؤول الى ما آل اليه من الاتساع والانتشار لما قعدوا عن مناوآته والتألب عليه ، وقد فعل بعضهم ذلك متأخرا اى بعد فوات الوقت فكان سببا في التعجيل عليهم

وعلى كل فحدث بنى قينقاع دل على ضعف رابطة اليهود الاجتماعية في الحجاز وعلى انهم لم يكونوا على اتفاق وولاء ولئن سيطروا على شمال الحجاز فما ذلك الا لكثرة عددهم من جهة ووفرة ثروتهم من جهة اخرى ، وادخار المال وجمعه من الغرائز المركوزة في روح اليهودى بعكس الغريزة السياسية (أى الروح السياسية) فهى مفقودة منه أو ضعيفة فيه على الاقل

وقعد عبد الله بن أبى زعيم الخزرج عن مساعدة حلفائه اليهود عسكريا ، وما كان يستطيع غير ذلك في اعتقادنا لان قومه ما كانوا يطيعونه في الخروج على المسلمين لتأييد اليهود ، بعد ما ذاقوا لذة النصر والغنم في بدر وبنى سليم ، ويوشكون أن يذوقوها غدا في بنى قينقاع ، ولو نفذت اقتراحات عبد الله بن ابى في تأييدهم ، لادت الى تجدد الحرب بينهم وبين ابناء عمهم الاوس ونزلائهم المهاجرين المكيين ولا مصلحة لهم في تجدها ، اى انه لم يكن في استطاعته ان يساعدهم عسكريا ولو استطاع لما تأخر للتخلص من مزاحمة المسلمين ونفوذهم ، فاكتمى بان توسط لهم عند الرسول ﷺ حينما استسلموا بلا قيد ولا شرط لانهم ادركوا عجزهم عن القتال وعرفوا انه ليس هناك من يفكر في نجدتهم والدفاع عنهم ، وذلك بعد خمسة عشر يوما فقط من ضرب الحصار عليهم

نعم لقد استسلم بنو قينقاع - وكانوا يهددون المسلمين ويقولون انهم هم

الناس وهم كيت وكيت ، بلا حرب أو قتال ، ومن دون أن يريقوا قطرة واحدة من دماءهم ، أو يطلقوا سهما واحدا في الدفاع عن حوضهم ووطنهم وكرامتهم ، مع ان عددهم لم يكن قليلا ، ومع انه كان في استطاعتهم المقاومة مدة غير قليلة في ما نعتقد ، لأنهم يأوون الى حصن حصين وما كان للمسلمين مثله ، كما أن سلاحهم كان اوفر ومثل ذلك عدد المقاتلين منهم فما كانوا يقولون عن عدد محاربي المسلمين اى انهم كانوا يملكون من الوسائل المادية ما لا يملكه المسلمون ، الا انهم ابوا القتال وفضلوا الجلاء على الاسلام ولو اساموا لبقوا واقاموا ويلوح لنا ان تفضيلهم الجلاء نشأ عن اعتقادهم بأنه لم يعد في امكانهم البقاء في المدينة بعد ما انزع المسلمون منهم السيادة السياسية والاقتصادية واصبحوا اصحاب الحول والطول وصار عليهم ان يقيموا تحت سلطانهم

ولما أعلن اليهود استسلامهم بدون قيد ولا شرط وفوضوا امرهم الى النبي ، واوشك أن يصدر حكمه فيهم ، تقدم اليه ، عبد الله بن ابي متوسطا وقال : « يا محمد احسن في موالي » اى انصارى وحلفائى فلم يرد عليه فكرر القول فاعرض عنه فادخل يده في جيبه فقال له دعنى وكرر عليه القول بان يدعه فاجابه « والله لا ادعك حتى تحسن الى في موالى ٤٠٠ حاسرو ٣٠٠ دراع منعونى من الاسود والاحمر تحصدهم في غداة واحدة والله انى لا آمن واخشى الدوائر »

وأثر كلامه في نفس الرسول فقال له هم لك ثم امر بان يكتبى باجلائهم واشرف على عملية الجلاء عبادة بن الصامت زعيم الخزرج الآخر وقد استمرت ثلاثة ايام فغادر وا المدينة متجهين الى الشمال ومعهم نساؤهم واطفالهم وذرايرهم فنزلوا في الشمرات (اراضى شرقي الاردن الجنوبية) ولم يقتل منهم احد ولم يفقد منهم أحد فكانوا اول يهود اجلاهم المسلمون عن جزيرة العرب وكان اجلاؤهم على هذا المنوال نذيرا للقبائل اليهودية الاخرى لم يغب عن ادراك بعيدى النظر من زعمائها وكبارها فحكفوا على مناوأة الاسلام والكيد له فلم يغن ذلك عنهم شيئا

وغنم المسلمون غنائم كثيرة من بني قينقاع واقتسموا بيوتهم ومنازلهم كما حازوا
 كمية من سلاحهم فزادوا بها قوة . والحاصل ان اجلاء بني قينقاع وتقرد المسامين
 بالسيادة في المدينة وغنمهم ما غنموه من اموال واسلاب ، فوز لا يستهان به من
 الوجهتين المادية والادبية ؛ فقد عزز مقامهم وشجعهم على المضى في الكفاح والنضال
 فتغلبوا على خصومهم ومنافسيهم الواحد بعد الآخر

قريش تطالب بثأرها

ابو سفيان يستطلع هالة المدينة ويعمل لاستمالة اليهود ومحاققتهم

لم يسجل تاريخ قريش منذ تغلبها على قضاة و بسطها نفوذها على مكة وواديها وقد تم ذلك على يد قصي جدّها ومؤسس مجدها ، انها نكبت بمثل النكبة التي حلت بها في يوم بدر ، فقتل سبعين من رجالها واسر ٧٠ مثلهم من الحوادث الخطيرة في جزيرة العرب ، ويكون عدد القتلى قليلا في الغالب بينهم لأنهم يرضون بالنفس ببذلونها في أمور عادية ، ويكتفون في الغالب بغارات يغيرونها فاذا فازوا بالحصول على ما يريدونه أو بعضه فهو المقصود والاعادوا أدرأجهم . ويتبدل الموقف اذا كانوا مصممين على الاستقلال والاستماتة ففي هذه الحالة وفيها وحدها ، يأتون بذرارهم ونسأهم لتضرم في صدورهم نار الحماسة ولتشجعهم على الثبات ، وقد فعل القرشيون ذلك في يومين على ما نذكر : يوم احد في الجاهلية ويوم اليرموك في الاسلام وهم على كل حال لا يفعلونه الا في الموقف الحرج ، ومن يدرس تاريخ حرب الفجار وقد امتدت سنوات بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان من هوازن يتبين انه لم يقتل من الفريقين مثل هذا العدد مع انهم خاضوا معارك كثيرة في أوقات مختلفة

وعظم المصاب على قريش وقامت النائحات في بيوتها ومنازلها ، ويقول المؤرخون الثقاة ان النكبة شملت بيوت مكة وأسرها الكبيرة فلم يسلم منها أحد ، ونظم الشعراء المرثي وقام الندابون يندبون القتلى ويحثون على المطالبة بثأرهم والانتقام من قاتليهم وتلك عادات العرب وتقاليدها

وفي شهر ذى الحجة وهو الشهر الرابع لمعركة بدر (وكانت في شهر رمضان)
 شاع في المدينة ان ابا سفيان بن حرب غادر مكة يقود ٢٠٠ راكب من قريش فسلك
 النجدية ، وهو طريق قديم لا يسلكه سوى عرب تلك الجهات في الوقت الحاضر ،
 وظل يتقدم حتى نزل في جبل يقال له نيب على مسافة ١٥ كيلو مترا من المدينة ثم
 خرج في الليل حتى اتى بنى النضير - و ينزلون غربى المدينة - فطرق باب حى بن
 اخطب وهو من كبارهم فأبى أن يفتح له فقصد اطمه سلام بن مشكم سيد القوم
 فدخل عليه وقضى عنده ليلته

و بديهى أن ابا سفيان لم يطرق ديار بنى النضير ، ولم يجتمع بزعمائهم ، ويجب
 أن يلاحظ بأن قدومه كان في شهر ذى الحجة أى بعد شهرين من غزوة بنى قينقاع
 وطردهم من المدينة ولا نشك أنه أثر أثرا عميقا في جيرانهم وأبناء عمومتهم ومن
 يدري ؟ فقد يكون بينهم من ندم لعودهم عن نصرته

ولم تخف هذه الاعتبارات على ابى سفيان وهو الذكى الالمعى ، فقصدهم ليجتمع
 بزعمائهم ، وليسعى في الانشاء تحالف بينهم وبينه والقبيلان موتوران من المسلمين
 فيتعاونان على قتلهم ويوحدان الخطط للقضاء عليهم ، وتلك كانت احدى الغايات التى
 رعى اليها أبو سفيان من رحلته الى المدينة وزيارته لبنى النضير ، ولو كان يريد مهاجمة
 المدينة فعلا لجا بقوات أكبر كما فعل يوم احد بعد ذلك

وهناك غاية أخرى وهى تجسس حال المسلمين وعجم عودهم ودرس علاقاتهم
 بجيرانهم ، وقد ادرك أبو سفيان كل ذلك من اجتماعه بسلام بن مشكم سيد بنى النضير
 فأطلع على حالة المدينة وما كان يجهل مايجرى فى داخلها ، ويلاحظ لنا انه لم يوفق
 فى حمل يهود بنى النضير على مخالفة قريش ، لانهم كانوا يرون ان مصلحتهم
 الخاصة تقضى بأن لايزجوا بأنفسهم فى حرب طاحنة لاناقة لهم فيها ولا حمل سيما وقد
 كانت العلاقات بينهم وبين المسلمين حسنة اجمالا حتى ذلك الوقت وكانوا مرتبطين
 باتفاقات تقضى عليهم بأن يشتركوا معهم فى الدفاع عن المدينة اذا هاجمها مهاجم أى
 ان معاهدتهم كانت دفاعية فقط

وأراد أبو سفيان - بعد ما اجتمع بابن مشكم ودرس الحالة عن كشب وعرف ما يود معرفته - ألا يعود من دون ان يعمل عملا ماديا يشعر المسلمين بوصوله الى قرب عاصمتهم فأرسل حين الرحيل جماعة من رجاله فهاجموا العريض في ضاحية المدينة فحرقوا نخلا وقتلوا معبد بن عمرو والانصارى وحليفاه كانا فيها ثم عادوا على الأثر فانضموا الى رفقائهم فارتحلوا من دون أن يقفوا لمنازلة المسلمين

وغادر النبي ﷺ المدينة على الأثر يقود ٢٠٠ من المهاجرين والانصار في طلب المكيين فلم يدر بهم فواصل التقدم حتى بلغ قرقرة الكدر على طريق مكة فوقف فيها مدة ثم قفل من دون أن يشتبك معهم وتعرف هذه الحادثة في السيرة النبوية بغزوة السويق لان القريشيين طرحوا في رجوعهم الى مكة كمية من زادهم ومن السويق فغنمه المسلمون وأضافوا الغزوة اليه

ولم يطل المطال بعد ذلك على قريش حتى جمعت قواها ورجالها وزحفت بها على المدينة ف وقعت معركة أحد وستقرأ تفاصيلها في الصفحات التالية

غزوة غطفانه

كانت قبيلة غطفان من قبائل الحجاز المعروفة في تلك الايام، والظاهر انها بادت فلم نعر لها على أثر ، وكانت تنزل شرقي المدينة على طريق نجد في منطقة قريبة من منازل فزارة وسليم وعبس وذبيان وتبعد منازلها عن المدينة نحو ١٥٠ كيلو مترا ويرجح أن تكون في منطقة الحناكية المعروفة في شرقي المدينة الآن

ولقد تبسطنا عند الكلام على غزوة بنى سليم (انظر ص ٦٣) عن غاية المسلمين من توسيع منطقة أعمالهم العسكرية في شرقي المدينة وقلنا انهم كانوا يرمون الى اخضاع قبائله الكثيرة وقد بدأوا بنى سليم يخافوهم ولجأوا الى رؤوس الجبال فعادوا من دون أن يشتبكوا معهم في قتال ، وجنوا فوائد أدبية ومادية من غزوتهم تلك ووضعوا حجر الاساس في توسعهم بالمنطقة الشرقية

ووصلت الاخبار الى المدينة في شهر المحرم من السنة الثانية بأن جمعا من بنى ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا بقيادة دعثور بن الحارث الحاربي يريدون غزو المدينة ، فخرج النبي ﷺ على رأس ٤٥٠ مقاتلا يقصدهم فلجأوا الى رؤوس الجبال عند دنوه من ارضهم.

ويجب أن يلاحظ أن مجموع جيش المساميين زاد في هذه الحملة ١٣٧ رجلا بالنسبة لعدده يوم بدر فقد كان حينئذ ٣١٣ وهو الآن ٤٥٠ أى ان الزيادة بلغت نحو الثلث تقريبا ، وقضى شهرين في نجد للبحث والاستطلاع وتعرف حالة تلك البلاد وقبائلها ورجالها تمهيدا للأعمال المقبلة التي كان ينوى القيام بها في أرجائها عند سنوح الفرص وليس هذا كل مافعله المسلمون في نجد خلال تلك المرحلة فقد عادوا اليها للمرة

الثالثة في شهر جمادى الآخرة من السنة الثالثة . و بيان ما وقع أن أخبارا وصلت اليهم بان أبا سفيان بن حرب وصفوان بن امية وحويطب بن ابى العزى من تجار قريش خرجوا بقافلة كبيرة يطلبون العراق ، بدلا من الشام خوفا من المسلمين وقد أصبحوا يسيطرون على شمالى الحجاز

وسير النبي ﷺ على الفور قوة بقيادة زيد بن حارثة على رأس ١٠٠ راكب فالتقت بقافلة قريش عند ماء يقال له (الكدر) في نجد فهاجمتها فهرب الذين كانوا فيها من الرجال والظاهر أن عددهم كان قليلا ، لانهم ما كانوا يتوقعون مهاجمة المسلمين في أراضى نجد ، وغنمها هؤلاء وعادوا بها الى المدينة ، وهى أول قافلة يغنمونها

ويقول المؤرخون انه كان فيها فضة كثيرة ، وان سهم بيت مال المسلمين وهو الخمس بلغ ٢٥ الف درهم من غنائمها وهو مبلغ لا يستهان به

زاد تتابع الحوادث وسيرها في احقاد قريش ، ودفعها الى التعجيل بمحاربة المسلمين ، وللقضاء على نفوذهم واستعادة ما كان لها من مقام كادت تفقده ؛ فمن نكبة بدر الكبرى ، الى تهديد خط تجارتها مع الشام وقد انقطع او كاد في السنة الثانية لظهور المسلمين في الشمال ، الى سيطرتهم على تلك المنطقة الواسعة ؛ ولولا ذلك لما اضطر ابو سفيان الى السفر للعراق ، ولم ينجح ذلك منهم فقد هاجموا وانتزعوا قافلته وامواله فانقلب يدعو ويلا وثبورا

فهذه الاعتبارات الجوهرية تضاف اليها الرغبة في استعادة السيادة والسلطان واعادة الامور في شمالي الحجاز الى ما كانت عليه ، جعلت قريشا تسرع في اعداد حملتها الكبرى على المدينة ولم يبخل زعمائها واغنياؤها بالمال ، فقد جادوا به كما اثبت المؤرخون ، وساموه الى ابي سفيان وأطلقوا يده اطلاقا تاما في اتخاذ ما يراه من تدابير وقضى ابو سفيان اشهرا يعد ويستعد، ولما تكاملت قواه وكان ذلك في شهر رمضان (اى بعد سنة من معركة بدر الاولى) وثلاثة اشهر من معركة « الكدر » في نجد، واعتقد ان رجاله قادرون على اقتحام المدينة والتغلب على المسلمين وخض شوكتهم سار بهم اليها لقتالها ، والانتقام من سكانها ، وتألف جيش قريش في هذه المرة من

٤ عناصر :

١ - الاحابيش وهم جيش مكة الاهلى

٢ - المتطوعون من ابناء مكة وصناديدها

٣ - بنو كنانة احلاف قريش

٤ - قبائل تهامة » »

ويقولون ان عدد رجالها بلغ ثلاثة آلاف مقاتل منهم ٧٠٠ دارع يملكون
عددا كبيرا من الابل والحيل والسلاح والذخيرة

وحسبت بعض نساء مكة - وفي مقدمتهن هند بنت عتبة بن ربيعة زوجة ابى
سفيان وابنة عتبة المقتول يوم بدر مع ابنه الوليد - الجيش وغنى عن البيان ان
خروج النساء معهم يدل على ان قريشا كانت جادة وعلى انها ادركت ان تساهلها مع
المسلمين فى أول الامر ، عاد عليها بالوبال فجاءت تتلافاه وتتلو عليهم درسا فى
الشجاعة والنجدة يعيد اليها مكانتها بين القبائل ويفتح طريق الشام فى وجه تجارتها
الواسعة

ولم يكن مايجرى بمكة من استعداد بخاف على الرسول ﷺ فقد كان عمه
العباس يطلعه على التفصيلات ، وكان ذلك شأنه فى معظم الأدوار ومما لاريب فيه ان
ضلع الذين ظلوا فى مكة من الهاشميين كان مع الرسول فكانوا يعطفون عليه وان لم
يدخلوا فى دينه ، يؤيد هذا قوله لاصحابه يوم بدر قبل المعركة « من لقي منكم أحدا من
بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فانما خرج مستكرها »
فرد عليه ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وكان من المسامحين الاولين وقد هاجر الى
المدينة واشترك فى بدر قائلا : « أتقتل آباءنا وابناءنا واخواننا وعشيرتنا وترك العباس ؟
والله لئن لقيته لاجنمه بالسيف ، وقد اسر العباس فى تلك المعركة وقتل فيها ربيعة
والد ابى حذيفة والوليد شقيقه وشيبة عمه

وكتب العباس الى ابن أخيه بما جرى ووصف له الحالة فلما تلقى النبى الرسالة
جمع المسامحين على الفور وأخبرهم بسير قريش لقتلهم وسألهم عما يرونه وكان
من رأيه ان يقيموا مدافعين داخل سور المدينة وقال لهم (دعوهم حيث
نزلوا فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا قاتلناهم) وايد عبد الله بن أبى
ابن ساول هذا الرأى وقال يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله
ماخرجنا منها الى عدو لنا قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصابنا منه فدعهم يا رسول

الله فان اقاموا اقاموا بشر محبس ، وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء
والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا

وكان المنطق السليم يقضى على جمهور المسلمين بالاخذ بهذا الرأى الناضج بيد
ان فريقا كبيرا منهم وفي مقدمتهم الشبان وكانوا لا يزالوا نشوى بخمرة انتصار بدر
كبر عليه الوقوف وراء الاسوار وألحوا على الرسول بأن يخرج بهم الى القتال فلا
يقول الناس ان المسلمين ضعفوا أو جبنوا

ومع انه كان من رأيه عدم الخروج كما قدمنا وهو ما تقضى به مصلحة المسلمين
وكانوا لا يزالون اقلية بالنسبة لقريش ويوحى به الفن العسكرى الا انه قرر الخروج
اخذا برأى الاكثرية لثلاثتهم بالاستئثار فدخل الى منزله ولبس لامته وتجهز للحرب
ثم خرج اليهم يدعوهم الى الخروج فحاول بعضهم التعود وقال له انهم استكروها
الخروج وانهم يرون البقاء في المدينة ولقاءهم فيها عملا برأيه الاول فانكر عليهم ترددهم
وقال « ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل » واصر على الخروج لانه
رأى أن المصلحة تقضى به وخرج بالقوم وعددهم الف محارب قاصدا جبل أحد وذلك
يوم الجمعة ١٤ شوال

جبل اهر

وجبل أحد في شمالى المدينة وبينه وبينها خمس كيلو مترات ، وهو فوق واد
يعرف باسمه ، وقد اختاره النبي ﷺ مقرا لجيشه ، مع أنه واقع في شمالها وقريش
قادمة من الجنوب ، لانه أدرك ان تحصن المسلمين فيه يفيدهم فائدة كبيرة من الوجهة
العسكرية ، ولا بد لنا من القول ان احتشاد المسلمين في أحد معناه انهم تخلوا عن
المدينة ، وما كان تخليهم عنها ذات أهمية من الوجهة العسكرية مادامت قواهم سليمة لم
يتطرق اليها الوهن والضعف

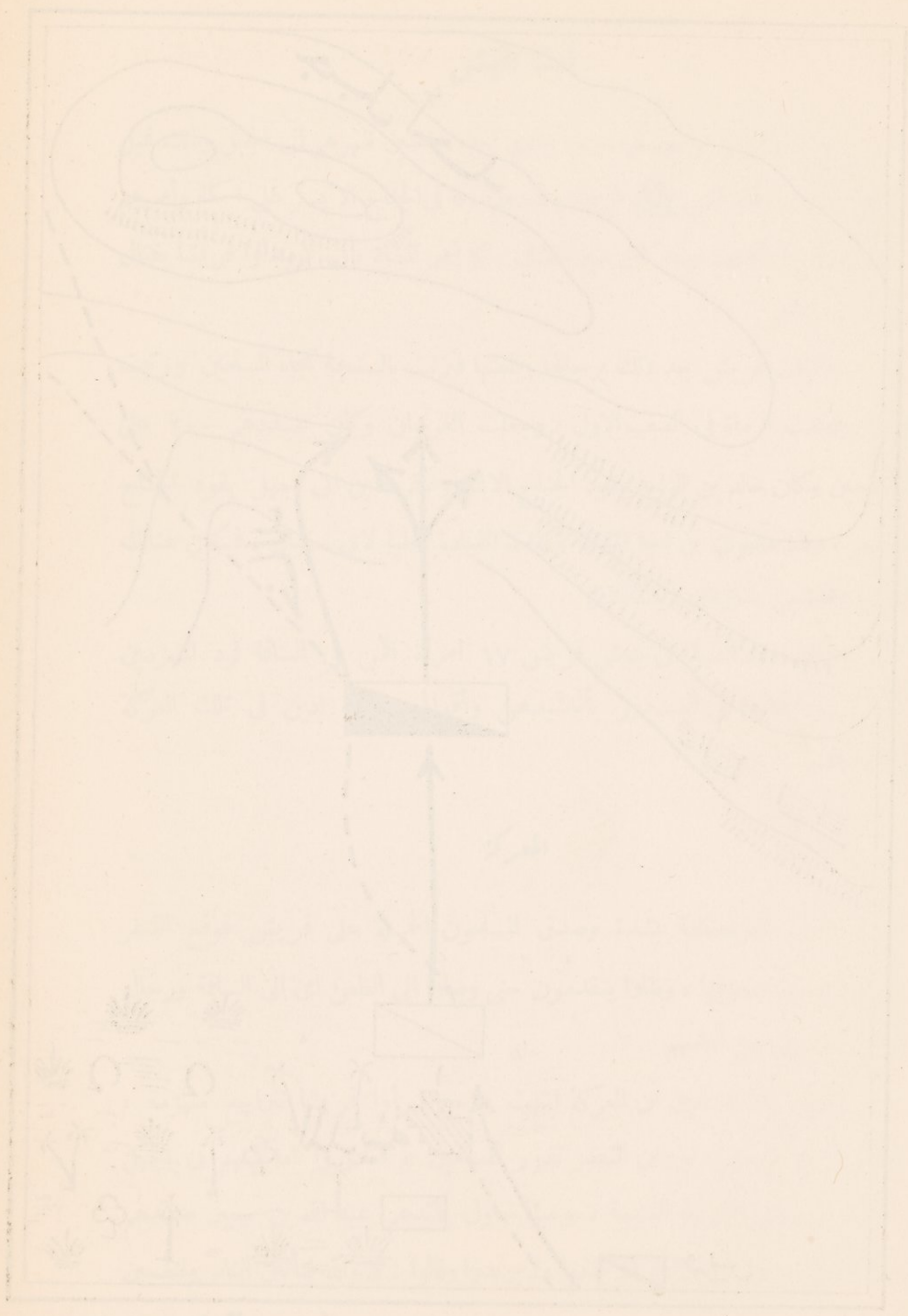
السفاهة في هبش المسلمين

واعتم عبد الله بن أبي - وقد كان يحسد النبي ﷺ كما قدمنا ويود التخلص منه فينفرد بالسيادة على المدينة - فرصة عدم أخذ المسلمين بما أشار به من التحصن وراء الاسوار وخروجهم للقتال ، فخطب قومه وهم في الشوط على طريق أحد أي بعد خروجهم من المدينة ، وقال لهم « ارجعوا أيها الناس ماندرى علام تقتل انفسنا هنا ، فقد أطاعهم وعصاني » ثم رجع ورجع معه ٣٠٠ من قومه . فلم يؤثر ذلك في نفوس الباقين وواصل النبي ﷺ السير بالذين ظلوا معه وعددهم ٧٠٠ حتى بلغوا احدا فنزلوا فيه

اليهود والدفاع عن المدينة

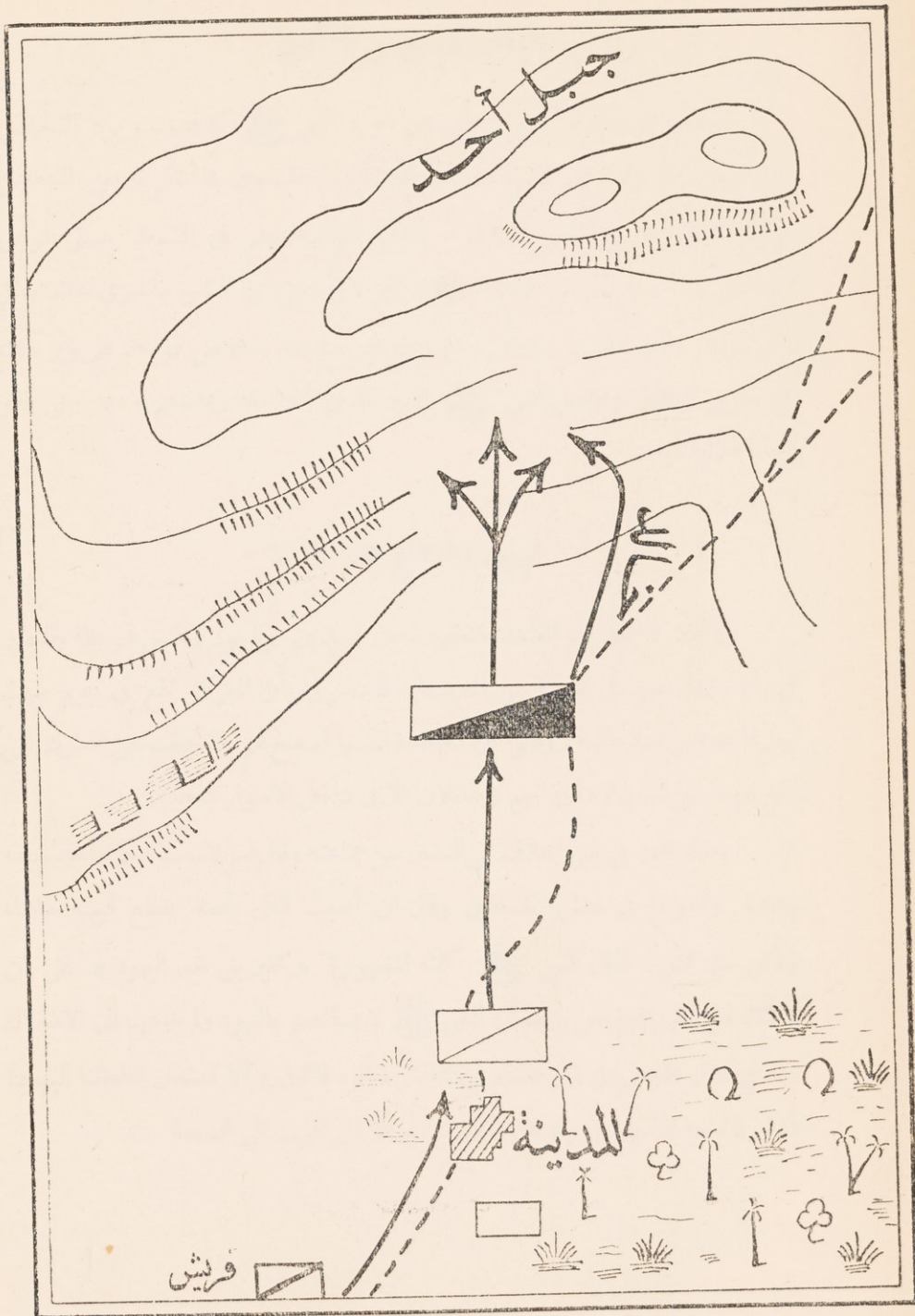
وعملا بما تقضى به المعاهدة المعقودة بين المسلمين واليهود دعا بني قريظة والنضير الى الاشتراك معهم في الدفاع عن المدينة ، فاعتذروا بأن المعركة تقع في يوم سبت وهم لا يحملون سلاحه ، وقالوا ان المعاهدة نفسها تسمح لهم بالتخلف عن المعارك التي تقع بعيدا عن المدينة ، أي انهم لا يقاتلون الا في داخل الاسوار فقط
 وشذ مخيريق من احلاف بني النضير عن جماعته وقال لهم لا سبت لكم وأخذ سيفه وعدته وتطوع في جيش المسلمين وقال ان أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ماشاء وقاتل حتى قتل ، فقال النبي ﷺ كلمته المشهورة « مخيريق خير اليهود » على ان هنالك من المؤرخين من يزعم أن النبي ﷺ لم يستنصر باليهود ولم يدعهم الى الاشتراك معه في قتال فقد روى ابن هشام ان الانصار سألوه قائلين « ألا نستعين بحلفائنا اليهود؟ فقال لاجابة لنا بهم » ويلوح لنا أن الرأي الأول أقرب الى الصحة

Handwritten title in Arabic script, possibly "مخطوطة" (Manuscript).



Handwritten text at the bottom of the page, possibly a page number or a reference code.

غزوة أحد



تعبئة الجيش

عبأ المسلمون جيشهم في عدوة وادى احد جاعلين ظهرهم الى الجبل وذلك قبل وصول قريش واقام النبي ﷺ الرماة وعددهم ٥٠ في الجناح الايسر على اكمة وأمرهم بأن لا يغادروا مكانهم مهما كان سير القتال ، كما أمر المشاة بأن لا يبدأوا قريشا بقتال قبل ان تبدأهم

وأقبلت قريش بعد ذلك برجالها وطعنها فنزلت بالسنجة تجاه المسلمين ورتبت قواها وقدمت الرماة في الصف الاول ، وجعلت الفرسان وكان عددهم ٢٠٠ على الجناحين وكان خالد بن الوليد يقود الجناح الايمن وعكرمة بن ابى جهل يقود الجناح الايسر ، وقاد صفوان بن امية المشاة وكانت القيادة العليا لابى سفيان ، فكان هنالك اموى وهاشمى يتنازلان ويتقاتلان

وكان عدد النساء في جيش قريش ١٧ امرأة اقمن في الساقة لرد المنهزمين واضرام نار الحماسة في الصدور بأناشيدهن وأقوالهن وقد ادين في تلك المعركة أجل الخدم

المعركة

ودارت المعركة بشدة وصدق المسلمون الحملة على قريش فوقع الذعر والاضطراب في صفوفها ، وظلوا يتقدمون حتى وصلوا الى الظعن اى الى الساقة ورجال قريش يفرون من امامهم

وظن رماة المسلمين ان المعركة انتهت ، حين رأوا قريشا تتراجع منهزمة ، واعتقدوا ان كل شىء تم وان النصر تقرر للمسلمين ، فغادروا اماكنهم في الجبل وانحدروا ينادون الغنيمة الغنيمة ، وعبثا حاول قائدهم عبد الله بن جبير صدهم مذكرا اياهم بقول الرسول ، فلم يقفوا ولم يرتدوا وقالوا : « والله لنأتين الناس ولنصيبين

من الغنيمة فان المشركين قد انهزموا فما مقامنا هنا » ورأى خالد بن الوليد - وكان على جناح قريش الايمن - ان الفرصة سانحة للقيام بعمل حاسم فهجم بخيالاته ملتفًا وراء المسلمين وقاطعا عليهم خطر رجعتهم ، فتبدل الموقف فجأة ، ووقع الذعر والاضطراب في صفوفهم ، وزاد في اضطرابهم وشتاتهم نداء منادى قريش بان محمدا قتل مع ان المقتول هو مصعب بن عمير فثبت القرشيون واطمأنوا وزلزل المسلمون ووجلوا

والواقع ان هجوم خالد الفجائي على المسلمين ، أوقع الذعر والاضطراب في صفوفهم ، وفي نفوسهم ، فغادر بعضهم ميدان القتال لاحقا بالمدينة ، وتفرق غيرهم في أماكن أخرى وثبت قسم وهم الأقلون في الميدان وأحاطوا بالرسول ﷺ وقاتلوا دونه وأصابه سهم رماه عتبة بن أبي وقاص فشج وجهه وجرح شفته السفلى وكسر ربا عيته (سنه) اليمنى فسال الدم على وجهه ، ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجهه ، وسقط في حفرة فأخذ على بن ابى طالب بيده ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ومص مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى الدم من وجهه ، وانتزع ابو عبيدة بن الجراح احدى الحلقتين من وجهه فسقطت ثنيته ثم انتزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى

واستبشر المسلمون الذين ظلوا في الميدان واطمأنوا حينما عرفوا حياته ، فهرعوا اليه والتفوا حوله وعددهم ١٤ : سبعة من المهاجرين ومثلهم من الانصار وقام وقاموا معه الى الشعب وكان منهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام فتحصنوا فيه ، فلحق بهم أبى بن خلف من قريش محاولا قتله ، فتناول النبي حربة الحارث بن الصمة ورماه بها فسقط عن ظهر فرسه مجروحا ومات وهو في طريقه الى مكة

ومثلت قريش بعد انتهاء المعركة ببعض قتلى المسلمين ، فقد طافت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي جئن معها الميدان تجدع آذان القتلى وأنوفهم ، ولما وصلت الى حمزة ابن عبد المطلب بقرت بطنه واخرجت كبده فلا كتبها فلم تسغها فلفظتها ، واتخذن من آذان القتلى وأنوفهم قلائد عدن بها الى مكة

واشرف ابو سفيان على الجبل في المساء ونادى بأعلى صوته : انعمت فعال ان الحرب سجال يوم احد بيوم بدر . فرد عليه عمر بن الخطاب وقال : لاسواء بيننا قتلتنا في الجنة وقتلاكم في النار فقال له ابو سفيان هلم الى ياعمرف فأمره الرسول ﷺ بأن يأتيه فأتاه فقال له انشدك الله يا عمر هل قتل محمد فقال اللهم لا ثم انصرف بعد ان واعد المسلمين على اللقاء ببدر في العام المقبل

وقضى الرسول ﷺ ليلة الاحد في أحد وفي الصباح نادى بمن معه بالرحيل لمطاردة العدو فسار بمن معه حتى بلغ حمراء الاسد وتبعد عن المدينة نحو ١٢ كيلومترا جنوبا فأقام فيها أيام الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم عاد الى المدينة واستشهد من المسلمين يوم احد ٧٠ من المهاجرين والانصار وخسرت قريش ٢٣ قتيلا

عوامل فشل المسلمين

معركة احد هي المعركة الثانية التي وقف فيها المسلمون وجها الى وجه امام قريش وكانت نتيجةها انهزامهم وخسارتهم سبعين قتيلا كانوا في أشد الحاجة اليهم ولا يحتاج الباحث الى كبير عناء ليعلل ماجرى ، ففي الحوادث التي بسطناها ما يغني عن كل اسباب وتعليق فقد ظهر منها ان المسلمين كانوا مترددين من أول الامر ، فقد الحوا في الخروج حينما ابغوا ان قريشا سارت اليهم مع ان الرسول دعاهم الى البقاء وراء الاسوار . ثم عادوا بعد ذلك وبعد ماتم الاتفاق على الخروج ، واقترحوا البقاء فأبى الرسول ذلك عليهم لانه ادرك انه لو جاراهم لفقد النظام من جيشه . وزاد الطين بلة تخاذل عبد الله بن ابي ورجوعه ومن اطاعه من قومه واحجامهم عن الاشتراك في القتال بحجة انهم لم يصغوا رأيه . وحاول عبد الله بن عمرو بن حزام الانصاري اقناعه بالرجوع وقال له ولئن معه « يا قوم اذكرمكم الله ان لا

تخذلوا قومكم ونبئكم عند ما حضر عدوهم» فأبوا ولما استعصوا عليه قال لهم « ابعدم الله اعداء الله فسيغنى الله عنكم »

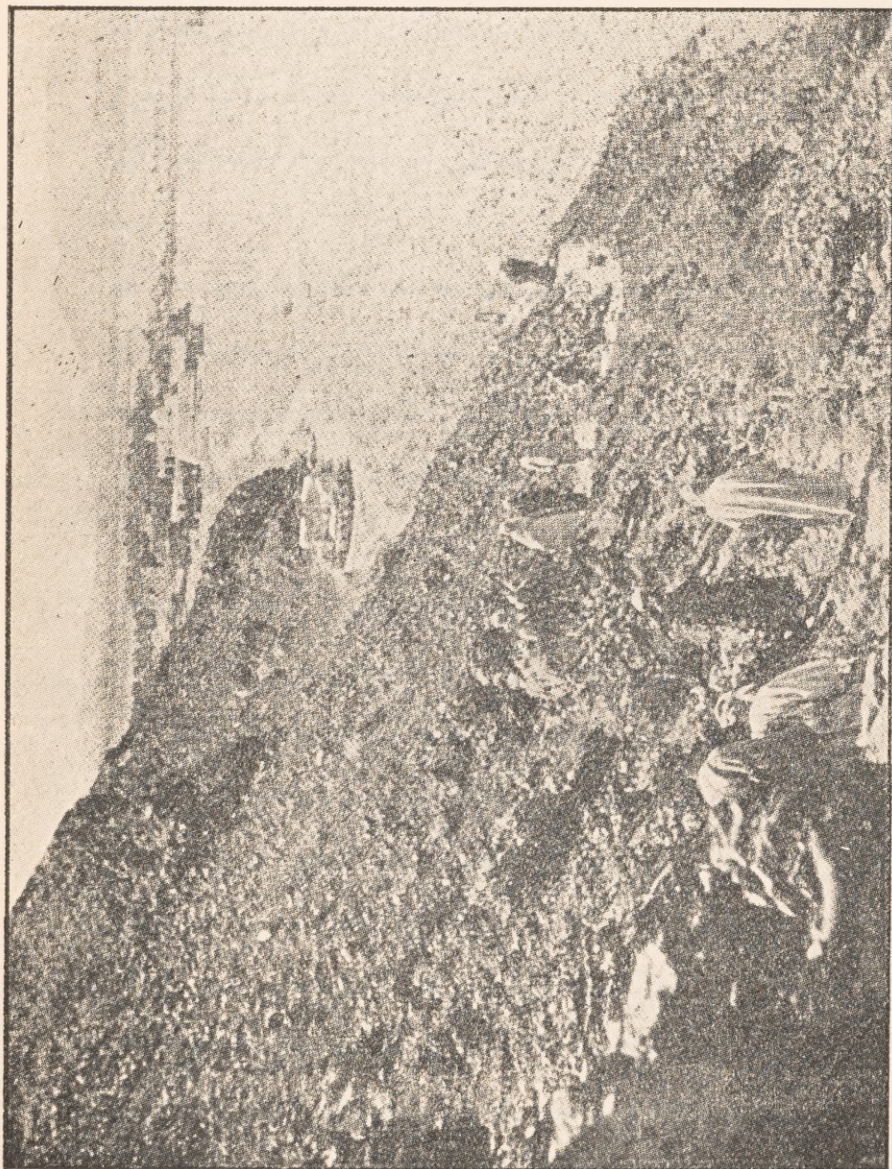
ومع كل ما وقع فقد كانت الغلبة عند الصدمة الاولى للمسلمين ، بيد ان ما اتاه الرماة بتخليهم عن اماكنهم وكانوا يحمون الجناح الايسر مكن خالد بن الوليد من قطع خط رجعتهم واختراق صفوفهم ، فتفرقت جموعهم . وتشتت قواهم

تلك هي العوامل المادية التي يلوح للباحث انها عملت في فوز قريش وانهازم المسلمون ، ونزوحهم من المدينة للحرب ، وما كان لهم ان يخرجوا بل كان عليهم ان يقاتلوا وراء اسوارها ، ثم ترددهم في الخروج ثم تخاذل عبد الله بن ابي ثم تخلى الرماة عن اماكنهم ، ان هذه الاعتبارات ضمنت لقريش الانتصار والفوز بعد ما هزمت في اول المعركة وكادت تمزق ايدى سبا . وبين الباحثين من يعتقد ان معظم الفضل في مانالته قريش من فوز يعود الى خالد بن الوليد قائد جناحها الايمن فقد عرف ان يهتبل الفرصة حينما تخلى الرماة عن اماكنهم فهاجم بقواه المسلمين واخترق صفوفهم فكان النصر على يديه

وقنع قادة قريش بما ادركوه من فوز واقروا ما فعلته نسائهم من التمثيل بالشهداء وازمعو الرحيل معتقدين ان محمدا واصحابه قتلوا وان امرهم قد انتهى ، ولم يفكروا في دخول المدينة او احتلالها ، وما كانت هناك قوة تصدهم وتقاومهم لو ارادوه

واسقط في يد ابي سفيان في المساء حينما قابله عمر بن الخطاب وابلغه ان محمدا لا يزال على قيد الحياة ، ولم يبعثه ذلك على التوقف واستئناف القتال

ولم يفقد النبي ﷺ شيئا من رباطة جأشه رغم ما حدث ، ولم يشغله جرحه واستهدافه للخطر عن امر المسلمين والمدينة ، فانه لم يكذب يضمن جرحه ويطمئن على اصحابه حتى اوغز الى من حوله ، بان يستطلعوا خبر قريش ويعرفوا الناحية التي سلكتها في رجوعها وقال لهم اذا ركبوا الخيل تكون المدينة وجهتهم اما اذا امتطوا



جبل احد يطل على المدينة

الابل فتكون مكة وجهتهم فالابل اقدر على السفر الشاق البعيد من الخيل . ولما خبروه انهم امتطوا الابل قال لقد عادوا الى مكة
وأدرك ابو سفيان بعد ما قطع مسافات انه اخطأ باسراعه في الرجوع وعرف انه كان يجب عليه أن يجهز على المسلمين و يقضى على قواهم فعاودته فكرة الرجوع وكاد أن ينفذها لولا ما بلغه من لحوق النبي بهم على رأس قوة كبيرة وسعيه لادراكهم ومنازلتهم

وبيان ما وقع أن الرسول رحل بالذين ظلوا معه ، غداة المعركة اى صباح الاحد بعد ما قضوا الليلة في أحد فساروا وسار على رأسهم لمطاردة قريش من دون ان يدخل المدينة وقد انضم اليهم قبل رحيلهم عدد من الصحابة الذين لجأوا اليها بعد الهزيمة وواصلوا السير حتى بلغوا حمراء الاسد وتبعد ١٢ كيلوا مترا عن المدينة على طريق مكة أى من ناحية الجنوب

ولقد ادرك بحركته هذه أغراضا شتى فأعاد القوة الاديبة الى صدور أصحابه بعد الانهزام الذى اصابهم كما اقام الدليل لاعدائه على انه لا يزال قادرا على الكفاح والنضال وان انكسار أحد لم يفقد عزيمته فارهبهم ومنعهم عن الرجوع الى قتاله وهو ما وقع فعلا . فقد روى ابن هشام أن أبا سفيان ومن معه توقفوا فى الروحاء وقد أجمعوا أمرهم على الرجوع الى المدينة للقضاء على المسلمين فمر بهم معبد بن أبى معبد الخزاعى فسأله أبو سفيان عما وراءه فقال له ان محمدا قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع حوله من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ماضيهم والحنق عليكم شديد فارتبك أبو سفيان وسأل معبدا عما يراه فنصحه بان يرتحل على الفور فقال لقد اجمعنا على أن نعود اليهم لنستأصلهم فقال له انى أنهاك عن ذلك شفقة عليكم

وانضم صفوان بن أمية وهو من كبارهم الى هذا الرأى وأشار بعدم الرجوع

فامتلأوا له ولو اعدوا الكرة على المدينة لكانت النكبة أعظم
وهناك أيضا غرض آخر رمى اليه من زحفه هذا وهو انه اراد اقامة الدليل
لاعدائه ومنافسيه في المدينة وحوّلها على انه لايزال قويا قادرا على متابعة الكفاح
والنضال فانه ما كان يجهل انهم سيغتنمون الفرصة ليجددوا حملتهم على الاسلام
وماسكتوا الا مكرهين مضطرين

[Faint, illegible handwriting, likely bleed-through from the reverse side of the page.]

اجراء بنى النضير

اضطربت الحالة فى المدينة بعد احدث وارتفع رأس المعارضة ، وازداد نشاط المشاغبين ، وجهر ابن أبى وشيعته بما لم يكونوا يجسرون على الجهر به من قبل ، فسكت المسلمون على مضمض ، وصبروا لاعتقادهم ان حالتهم تلك لا تدوم ، وان الله ابتلاهم ليمتحانهم ويختبرهم ، وانه لا بد من نصرهم وفوزهم فى النهاية

بعث عاصم بن ثابت

وزاد فى آلامهم ما وقع لبعث الرجيع ، ويسمونه أيضا سرية عاصم بن ثابت ، وبيان ذلك ان بعض بنى لحيان من بنى هذيل - وتنزل بين مكة والطائف ، والى الأولى أقرب ، ولا تزال حتى الآن فى ديرتها - جاءوا عضلا والقارة وهما قبيلتان من بنى الهون ابن خزيمة بن مدركة فجعلوا لهم ابلا على ان يطلبوا رسول الله ﷺ فيخرج اليهم نفرا من أصحابه ، فجاء سبعة من هؤلاء الى المدينة فأظهروا الاسلام واقترحوا عليه أن يرسل معهم نفرا من أصحابه يفقهوهم فى الدين ويقرئوهم القرآن ويعلموهم شرائع الاسلام فبعث معهم ستة من الصحابة : عاصم بن ثابت الانصارى ومرثد بن أبى مرثد الغنوى وحبيب بن عدى الاوسى البدرى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق وخالد بن البكير فغادروا المدينة فى شهر صفر من السنة الرابعة قاصدين الى هذيل لتعليمهم ، وفى رواية أخرى انه كانت لهم مهمة أخرى غير تعليم هؤلاء وهى استطلاع اخبار قريش ومعرفة ماتعمله

وأخذ القوم السرية فجأة حينما بلغت ماء الرجيع « ديار هذيل » وأحاطوا

برجالها فهرعوا الى سلاحهم للدفاع عن أنفسهم ، فقالوا لهم لا نريد قتالكم ، فلم يطمئنوا اليهم وقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا ، وقاتل عاصم وممرثد وخالد حتى قتلوا واستسلم الثلاثة الآخرون فقيدوهم وقصدوا بهم مكة لبيعهم من اهلها وقبل أن يبلغوها تخلص عبد الله بن طارق منهم واتنضى سيفه لقتالهم فرموه بالحجارة فقتلوه فلم يبق معهما سوى حبيب وزيد فباعوهما من أهل مكة فقتلوهما وحزن المسلمون كثيرا على المصير السيء الذى صار اليه هؤلاء

بعث بئر معونة

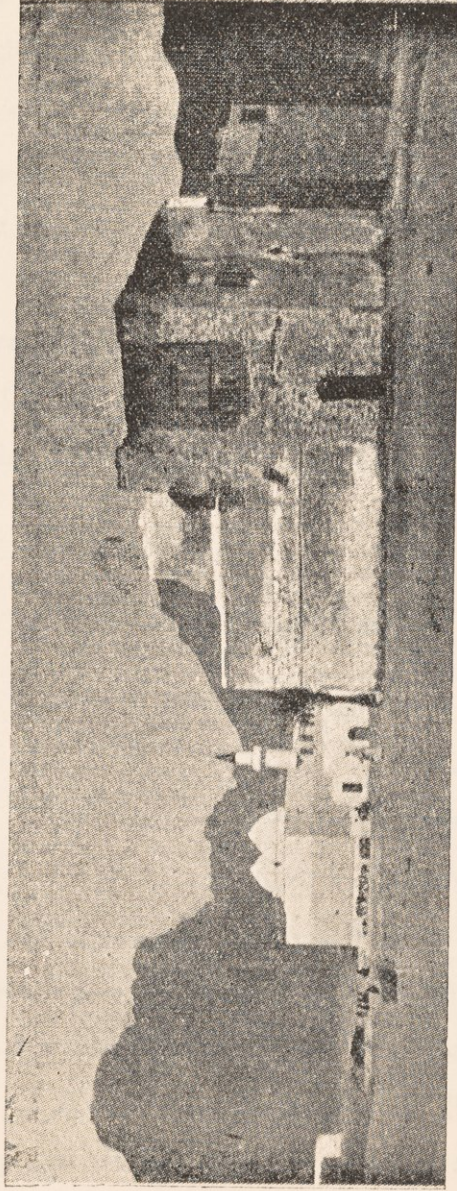
ولم يكديجف دمعمهم على هؤلاء حتى نكبوا نكبة أشد وأدهى ، فقد وفد على المدينة فى شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة (أى فى نفس الشهر الذى غادر فيه المدينة عاصم بن ثابت) أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامرى ويعرف بملاعب الاسنة ، فعرض عليه النبى ﷺ الاسلام فلم يقبل ولم يرفض وقال له يا محمد انى أرى أمرك هذا حسنا وشريفا وقومى خلفى فلو انك بعثت معى نفرا من أصحابك لرجوت أن يتبعوا أمرك

- اخشى عليهم اهل نجد

- انا لهم جار

ووثق النبى ﷺ بملاعب الاسنة فانتدب سبعين من قراء القرآن ، وكانوا يحفظونه ويرتلونه فى المسجد، برئاسة المنذر بن عمرو وفساروا الى نجد للتبشير بالدين الاسلامى ونشره

وسار البعث وهو أول بعث يرسله المسلمون للتبشير الى نجد (شرق المدينة) ولما بلغ بئر معونة (وهى بين أرض بنى عامر وحررة بنى سليم) أرسل رئيسه كتابا الى عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابى العامرى (ابن أخى ملاعب الاسنة) حملة حرام بن ملحان اليه ، يدعوهم الى الاسلام فقتل الرسول من دون



مسجد احد النبي احياء لذكرى شهداء تلك المعركة

أن ينظر في الكتاب ، ونادى قومه من بني عامر ليثبوا على البعث فأبوا أن يجاروه وقالوا لن نخفر لأبي براء عهدا

ولجأ الى بعض القبائل المجاورة من سليم وذكوان ورعل ، بعد ان عجز عن اقناع قومه بمجاراته ، واستنفرهم لقتال المسامين فنفروا واستبطن المنذر بن عمرو عودة رسوله فقصده ومن معه بني عامر للبحث عنه فلقبهم عامر بمن معه فاشتبك الفريقان في معركة دامية ، ولم تكن عن المسامين شجاعتهم فقد تكاثر عليهم القوم فقتلواهم ولم ينج منهم سوى عمرو بن أمية الضمري ، فقد أطلق سراحه عامر بن الطفيل فداء عن والدته بعد ما حزن ناصيته

وقد كان لقتل هؤلاء بعد قتل عاصم ومن معه ومجموعهم ٧٥ شهيدا أسوأ أثر في نفوس المسامين ويروي ان النبي ﷺ قال حينما نعوأ اليه « هذا سببه عمل أبي براء حيث أخذهم في جواره ، قد كنت لهذا كارها متخوفا » ومات هذا أسفا وحزنا حينما بلغه ما فعله قومه بمن أجارهم

انذار بني النضير بالجلاء في ١٠ ايام

مصائب ثلاث تتابعت على المسامين في خلال أربعة أشهر :

١ - الفشل في احد

٢ - مقتل عاصم بن ثابت ومن معه

٣ - مقتل المنذر بن عمرو ومن معه

فأزعجتهم وآلمتهم ولم يخفف وقعها في نفوسهم سوى انتصارهم في بني النضير و بين الرواة اختلاف في ذكر الاسباب التي بعثت المسامين على مهاجمة بني النضير واجلائهم والذي عليه الاكثرون أن النبي ﷺ قصد بني النضير ، في شهر ربيع الاول أي في الشهر التالي لحادثتي الرجيع وبئر معونة ، ومعه نفر من الصحابة والمهاجرين ليطلب منهم الاشتراك مع جيرانهم المسامين في دفع دية رجلين من بني عامر ، قتلهما عمرو بن أمية الضمري ، وهو الذي نجا من يد بني عامر ، فقد التقى بهما في

القرقرة على الطريق وهو عائد الى المدينة فقتلها ثارا لنفسه ولاصحابه ، ولما ابلى النبي ذلك قرر دفع ديتهما ، لانهما كانا عنده وقد اخذ منهما عهدا لم يطلع عليه عمرو ، ولما كانت القاعدة المتبعة عند العرب ، في مال الدينة أن تشترك قبيلة القاتل واحلافها اذا كان لها احلاف ، في الدفع كل بنسبته ، وتوزع ايضا على قبيلة المقتول واحلافها اذا كان لها احلاف بنسبة معينة ، ولما كان بنو النضير ، مرتبطين مع المسلمين برابطة التحالف ، فقد قصدهم النبي ﷺ مقترحا عليهم أن يشتركوا مع المسلمين في دفع دية القتيلين لانها كانا موالين لهم فلا يجوز أن تذهب دماؤهما هدرًا

ووافق اليهود مبدئيا على الدفع والاشترآك وقالوا له « نفعل يا ابا القاسم ما أحببت » وعلا عمر بن جحاش - احد رجالهم كما يقول ابن هشام - سطح الجدار الذي جلس الى جانبه النبي ليرمي به بصخرة تطحنه طحنا ، والظاهر انه لحظ منهم الغدر وادرك ماينوونه فقام مسرعا وتظاهر انه يريد قضاء حاجة وتوجه الى المدينة لفقوره من دون أن يبدي أو يعيد، وارسل في الغداة محمد بن مسامة يندرهم بالجلء في خلال ١٠ ايام ويقول لهم انه يضرب عنق كل من يراه منهم بعد انتهاء المدة المضروبة وانهم وقد هموا بغدره فلا يساكنهم، ومعنى ذلك ان النبي ﷺ لم يندرهم بالجلء لانهم لم يشتركوا في دفع الدية بل أنذرهم لانهم حاولوا اعتنام فرصة زيارته لهم فأنتمروا به وقرروا اغتياله والتخلص منه وقال بعضهم لبعض انها فرصة لايجود الزمان بمثلها فلنغتنمها لقتله فلا يطالبنا به احد فنكون قد انتقمنا لرجالنا

ويطعن بعض المستشرقين والباحثين من اليهود في هذه الرواية لتفرد ابن هشام بإيرادها ويقولون انها لو كانت صحيحة لوردت في كتب السير الاخرى ، وليس فيها في نظرنا ما يريب أو يعد في حكم المستحيل

اليهود يرفضون الانذار

ومع ان اليهود مالوا في أول الامر الى التسليم والجلء ، الا أن الدسائس التي دست ، والوعود التي بذلت ، جعلتهم يرفضون قبول الانذار ويرسلون الى النبي بلسان كبيرهم حي بن اخطب قائلين « انا لانخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك »
ويقول رواية السيرة ان ابن ابي ارسل اليهم سرا يشجعهم على المقاومة و يغيريهم بالرفض ويقول لهم « لا تخرجوا من دياركم واقيموا في حصنكم فان معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون عن آخرهم ، وتمدكم قريظة وحلفائكم من غطفان »

نعم : هذا ما يقول الرواة ان ابن ابي وعد بنى النضير بتحقيقه وهو معقول كما يبدو لنا لان القوى التي عددها وقال انها مستعدة لتأييدهم ، كانت في نضال مع المسلمين وهي :

- ١ - قوة غطفان وقد سبق للمسلمين أن غزوهم في عقر دارهم
- ٢ - قوة بنى قريظة جيرانهم واخوانهم وقد كان مرتقبا أن تدمهم وتشارك في الدفاع عنهم
- ٣ - انصار بن ابي وقد اثبتت حوادث احد ان له انصارا في المدينة يقولون بقوله ويتبعون رأيه ، ولولا ذلك لما رجعوا معه من الشوط وعددهم ٣٠٠ كما قدمنا

المسلمون يحاصرون بنى النضير

ولما أبلغ النبي خبر رفض اليهود لانذاره سار بالمسلمين اليهم وهم على خمسة كيلو مترات من المدينة الى الشمال ، فلما رأوه مقبلا قاموا الى حصونهم ومعهم التبل والحجارة فضرب المسلمون نطقا حولهم ولم يحقق ابن ابي وعده لليهود ؛ ولم يحرك ساكنا لنصرتهم ، وقعد بنو قريظة أيضا عن مساعدتهم وهم اخوانهم وجيرانهم ، ولا ريب ان قعودهم مستغرب وقد

بحثنا في شتى المصادر اليهودية والاوربية علنا نجد تعليلا معقولا لهذا التخاذل الذي بدا بين اليهود فلم نعر على شيء ، ولئن اعترفنا لبني النضير وبنى قريظة قعودهم عن نصره بنى قينقاع بقولنا انهم كانوا يرجون ان تحل المسألة صلحا على يد حلفائهم من الاوس او انهم ما كانوا يتوقعون أن يؤول الامر الى اجلائهم واخراجهم من ديارهم فمثل هذا التعليل غير مقبول بالنسبة لبني قريظة لأنهم عرفوا بالاختبار أن تغلب المساميين مؤذن بجلائهم

ووقع في بنى النضير ما وقع في بنى قينقاع فلم يشهر حسام ولم يطلق سهم بل اكتفى المسامون بالحصار يضر بونه واكتفى اليهود بالاقامة وراء أسوارهم يرقبون سير الحوادث ، ويرجون أن ينهض الذين وعدوهم بالمساعدة للدفاع عنهم ونصرتهم . ولما طال المظال عمم المسامون الى قطع نخيلهم نكاية بهم وحملهم على التسليم ، والنخيل عزيز عندهم ، فنادوا بهم من وراء الاسوار ، لاتفعلوا فقد قبلنا شروطكم ونحن مستعدون للخروج اى انهم قبلوا الانذار وكان يتضمن طلب الجلاء وحده كما تقدم

وكان قبولهم له في اليوم الخامس عشر للحصار وهى المدة التى حوصر بها بنو

قينقاع

ورد عليهم المسلمون بالرفض وقالوا انما اقترحنا ما اقترحناه قبل الحصار ودارت مفاوضات بين الفريقين انتهت بالوصول الى اتفاق على القواعد الآتية :

١ - جلاء بنى النضير عن منازلهم وارضيتهم

٢ - تصان دماؤهم وارواحهم

٣ - يحق لهم ان يأخذوا متاعهم

٤ - يسامون سلاحهم للمساميين

تلك هى الشروط التى اتفق عليها وقد نفذت بتامها ، فغادروا منازلهم حاملين ما استقلت به الابل فقصدهم بعضهم الشام ونزل الآخرون خيبر ، وبلغ عدد الجمال التى حملوها عليها امتعتهم ٦٠٠ جملة

وهذه قائمة الغنائم التي غنمها المسلمون منهم :

٥٠ درعا

٥٠ خوذة

٣٤٠ سيفا

وغنموا أيضا كميات من الشعير والتمر مع خيل واموال ادخر النبي بعضها وقسم بعضها بين المهاجرين ، دون الانصار ، ليرفع مؤوتهم عن هؤلاء فقد روى المؤرخون انه قال لهم : خلوا الاموال لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء

ولا ريب ان فوز المسلمين في اجلاء بنى النضير على المنوال الذي اجاؤهم به ، واستيلاءهم على منازلهم وممتلكاتهم واسلحتهم ، ومعداتهم ، عوضهم بعض العوض عما فقدوه في الحوادث الثلاث الماضية، ورفع مستوى القوة الادبية في صفوفهم، واطففت قوة المعارضة في المدينة ، اذا لم نقل انه قضى عليها ، فقلت المشاغبات ، وخفقت الاصوات ، وعاد الى المسلمين نفوذهم القديم

العودة الى نجد

كر المسلمون كرتين على نجد منذ بدأوا أعمالهم العسكرية في المدينة لاختراع القبائل النازلة حولها

الاولى - في شهر شوال للسنة الثانية من الهجرة (بعد بدر) فقصدوا بنى سليم ، وهي أقرب قبائل الشرق اليها فعادوا ولم يلقوا كيذا
الثانية - في اواخر ذى الحجة من تلك السنة (قبل احد) فقد خرج الرسول يقود ٤٥٠ من أصحابه و يطلب بنى ثعلبة ومحارب من غطفان ، لانهم تجمعوا لقتاله ، و بعد ما قضى شهرين في ديارهم عاد من دون ان يشتبك في حرب معهم لانهم تفرقوا عند ما علموا بقرب وصوله

و يعود المسلمون الآن الى نجد للمرة الثالثة ، ونعيد هنا ما قلناه قبلا وهم انهم كانوا يرومون من معاودتها بين آونة واخرى - وان لم يشتبكوا في حرب - بسط نفوذهم على تلك المقاطعة الواسعة ، وكانت تلتزم الحياد في النضال الدائر بين مكة والمدينة ، لتنضم الى الفريق الغالب في النهاية ، فاذا فاز المسلمون قصدهم رجالها وزعماءها ودخلوا في الدين الجديد ، واندمجوا في الجماعة الجديدة ، واذا فازت قريش فالامر منته لانهم ما كانوا على خلاف معها ، وكانوا يقصدون مكة في المواسم يبيعون ويشترون فصلاتهم بها كانت على مايرام

وغادر المسلمون المدينة في شهر جمادى الاولى من السنة الرابعة اى بعد جلاء بنى النضير ، بشهرين تقريبا ، قاصدين غطفان على اثر ما بلغهم وهو ان بنى محارب و بنى ثعلبة - وهم الذين خرجوا يطلبونهم في الغزوة الثانية (غزوة ذي امر) - عادوا الى

التجمع لمهاجمة المدينة ، وواصلوا تقدمهم وعددهم ٤٠٠ حتى وصلوا الى وادى الشقرة
(قرب اراضى غطفان) فنزلوا فيه ثم بثوا الطلائع للكشف ومعرفة حال العدو فعادت
فى المساء تقول انها لم تعثر على خبر لهم

وواصل المسلمون تقدمهم فدخلوا منازل غطفان فلم يجدوا سوى النساء
فأخذوها ، وكبر على هؤلاء ان تؤسر نساؤهم فجمعوا جموعهم واقبلوا على القتال
وتصاف الفريقان وكادت الحرب تنشب بينهما

ولم يذكر الرواة شيئا عن مصير نساء الغوم المأسورات ولم يوردوا شيئا يصح
ان يعلل به عدم وقوع قتال ، مع انهم تصافوا ومع أن المسلمون صلبوا صلاة الخوف فى
يومهم ذلك ، ويلاحظ لنا ان المسألة سويت صلحا فاعاد المسلمون الى القوم النساء وعادوا
الى عاصمتهم من دون قتال ، فغير معقول ان يصبر الغطفانيون على سبي نساءهم
ويتركوهن يذهبن من ايديهم من دون ان يشهروا سيفا للدفاع عنهم

ولم يعد المسلمون الى العمل فى نجد بعد هذه الغزوة الا فى السنة السادسة للهجرة
أى بعد انقضاء سنتين على هذا الحادث . ولم تخضع نجد لهم وتدخل فى دينهم الا بعد
فتح مكة

الخدو وقرظة

كر المسلمون كرتين فى المنطقة الجنوبية خلال المدة المنقضية بين غزوة غطفان
ومعركة الخندق

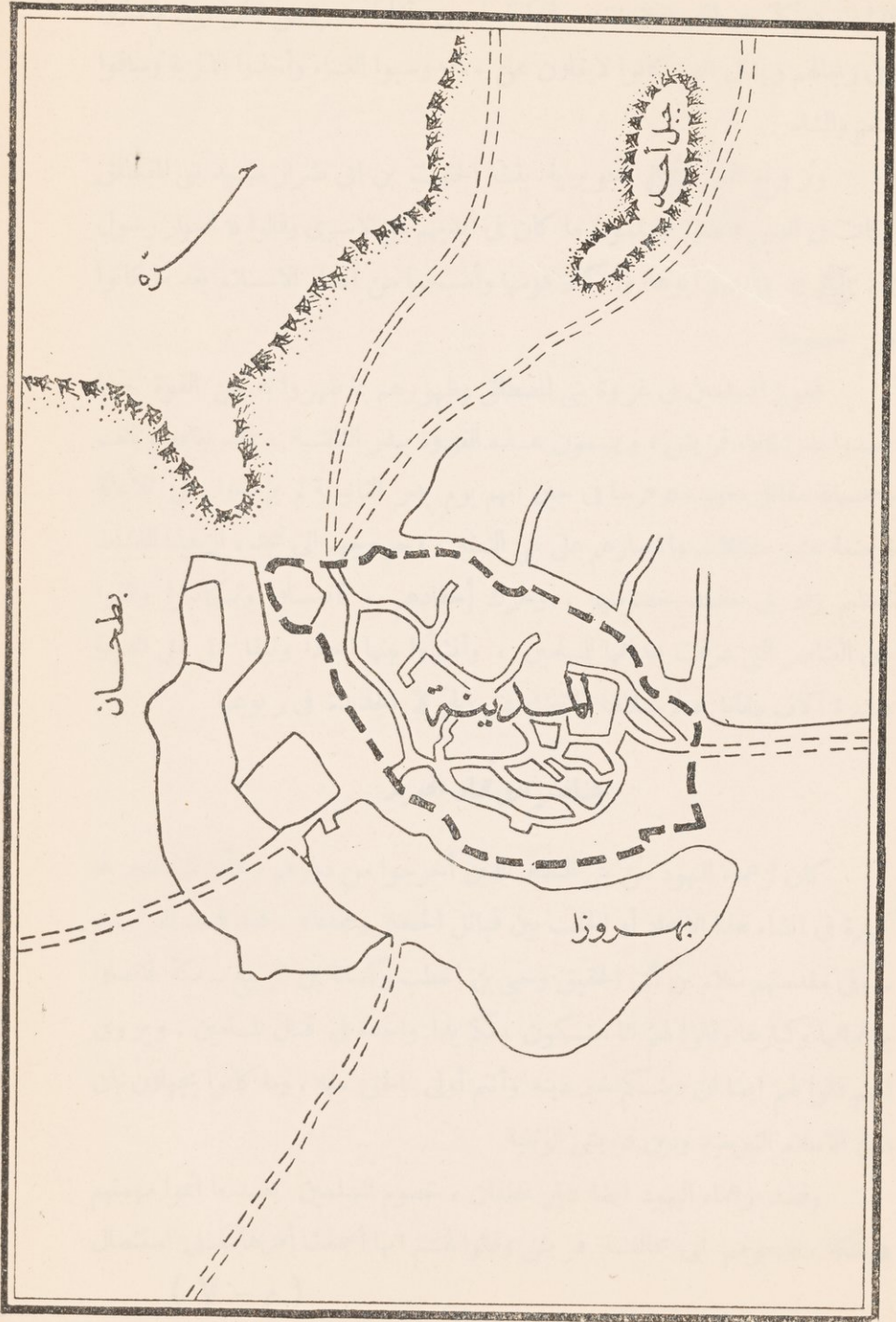
فقد خرجوا فى شهر شعبان للسنة الرابعة وعددهم الف وخمسمائة مقاتل معهم
٥٠ فرسا الى بدر ، للقاء أبى سفيان وكان واعد المسلمين اللقاء فيها حين انتهاء معركة
أحد (انظر ص ٨٣)

وأقام المسلمون فى بدر ثمانية أيام ينتظرون وفود قریش فلم تغد ، ويقول
المؤرخون انها تجهزت فى الفين وخمسمائة مقاتل وغادرت مكة حتى بلغت مكانا قريبا
من مر الظهران (وهى على ٣٠ كيلو مترا من مكة الى شمالها الشرقى على طريق
المدينة) نخطبها أبو سفيان قائلا :

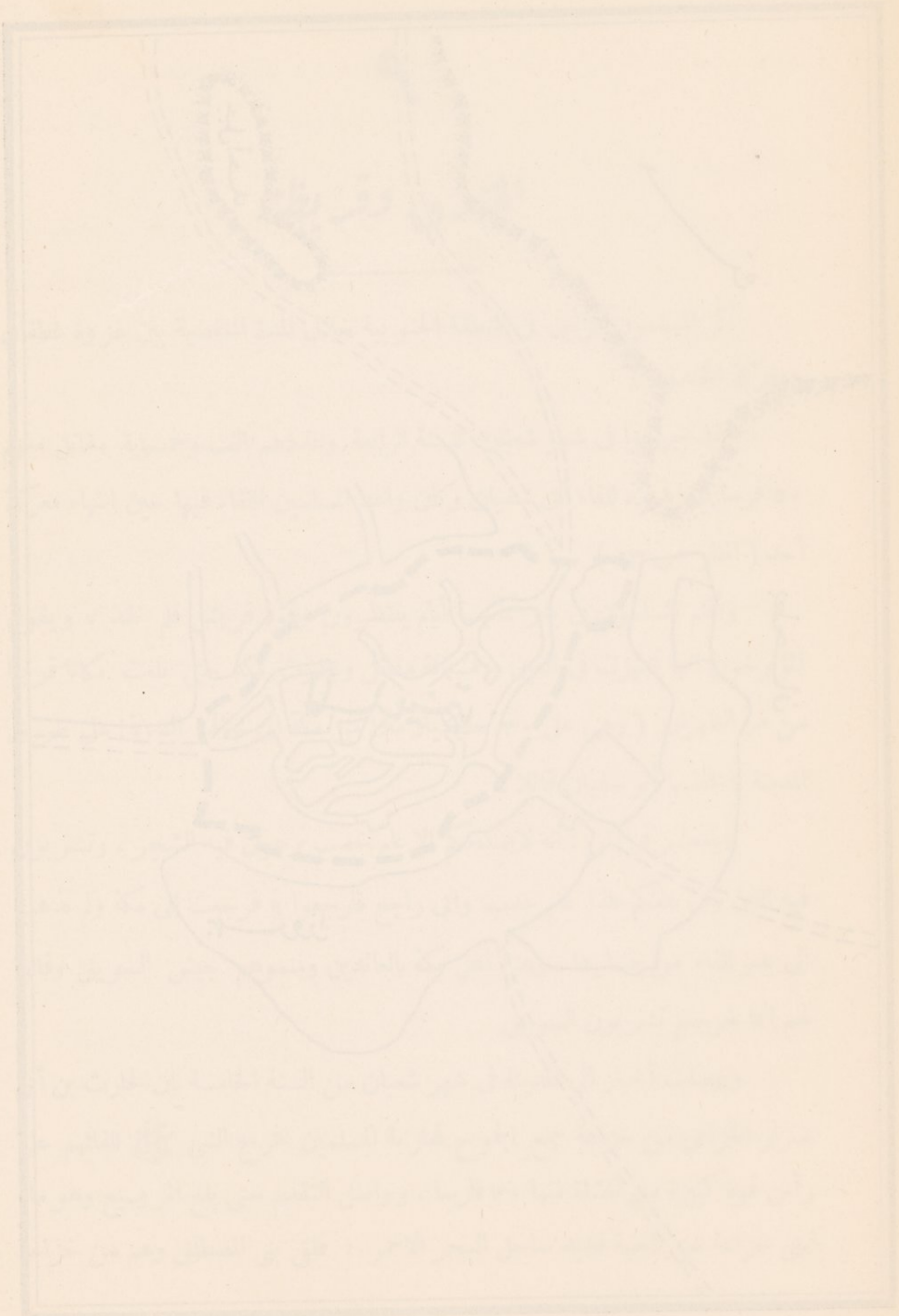
«يامعشر قریش : انه لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر ، وتشربون
فيه اللبن وان عامكم هذا عام جذب وانى راجع فارجعوا » فرجعت الى مكة ولم تذهب
الى بدر للقاء من ينتظرها ، وهزأ اهل مكة بالعائدين وسموهم جيش السويق وقالوا
لهم انما خرجتم تشربون السويق

ووصلت أخبار الى المدينة فى شهر شعبان من السنة الخامسة بان الحارث بن أبى
ضرار الخزاعى من خزاعة جمع الجموح لمحاربة المسلمين فخرج النبى ﷺ للقاءهم على
رأس قوة كبيرة من المشاة منها ٣٠ فارسا ، وواصل التقدم حتى بلغ المريسيع وهو ماء
لبنى خزاعة من ناحية قديد ساحل البحر الاحمر ، فلقى بنى المصطلق وهم من خزاعة

الخندق



قائمة



فدارت معركة بين القرقيين انتصر فيها المسلمون وقتلوا عشرة من الخزاعيين وأسروا
بأقي رجالهم ويقال انهم كانوا لا يقلون عن ٧٠٠ وسبوا النساء وأخذوا الذرية وساقوا
النعم والشاه

وتزوج النبي ﷺ بجويرية بنت الحارث بن ابي ضرار سيد بني المصطلق
وكانت في السبي فأطلق المسلمون ما كان في أيديهم من الاسرى وقالوا « اصهار رسول
الله ﷺ » وأسلم أبوها وأكثر قومها وأصبحوا من أنصار الاسلام بعد ما كانوا
من خصومه

ففوز المسلمين في غزوة بني المصطلق وظهورهم بما ظهروا به من القوة حينما
قصدوا بدرًا للقاء قريش ، ويسمون هذه الغزوة بدر الثالثة ، فقد جاءوها بالف
وحسبانية مقاتل معهم ٥٠ فرسا في حين انهم يوم بدر الثانية لم يزيدوا على ثلاثمائة
وبضعة عشر مقاتلا - وانتصارهم على بني النضير ، وخرجهم الى نجد ، ان هذا النشاط
العظيم زاد في حقد خصومهم ، وحرك أحقادهم ، فاتصلوا وتكاتبوا والقوا
بين العناصر التي عرفت بعدائها للمسلمين ، وأنشأوا بينها اتحادا وثيقا حمل على المدينة
«عشرة آلاف مقاتل ، لاحتلالها والقضاء على الحركة الجديدة في ربوعها

عناصر الاتحاد الجدير

كان لزعماء اليهود من بني النضير الذين أخرجوا من ديارهم ولجأوا الى خيبر يد
كبيرة في انشاء هذا الاتحاد أو الحلف بين قبائل الحجاز وجماعته ، فقد قصد نفر منهم
- وفي مقدمتهم سلام بن أبي الحقيق وحي بن اخطب وكنانة بن الربيع - مكة فاتصلوا
بزعمائها وكبارها وقالوا لهم انا سنكون معكم يدا واحدة في قتال المسلمين . و يروى
انهم قالوا لهم ايضا ان دينكم خير دينه وأتم أولى بالحق منه ، وما كانوا يجهلون بان
دين الاسلام التوحيد ودين قريش الوثنية

وقصد زعماء اليهود ايضا ديار غطفان ، خصوم المسلمين بعد ما اتوا مهاجرتهم
في مكة ، فدعوههم الى مخالفة قريش وقالوا لهم انها أجمعت أمرها على استئصال

المسلمين ، وان اليهود على وفاق معها ، وانه يجدر بهم الانضمام الى التحالف الجديد ولم يزلوا بهم حتى انضموا اليهم
وعكف ابو سفيان على انشاء جيش قوى يهاجم به المدينة ويريح قريشا من منافسيها ، فاستعان بالاحلاف والانصار من القبائل المجاورة لمكة ، وهكذا تسنى له حشد عشرة آلاف مقاتل قصد بها المدينة في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة ، ونظن ان هذا أكبر جيش عرفه الحجاز حتى ذلك العهد

قوات جيش الاحلاف

وتتألف عناصر الجيش الجديد أو جيش الاحلاف أو الاحزاب كما سماهم القرآن كما يأتي :

- ١ - قريش مع احايشها
 - ٢ - كنانة وقبائل تهامة الموالية لقريش
 - ٣ - غطفان
 - ٤ - بنو مرة من خزاعة في شمالي الحجاز
 - ٥ - أشجع وهم من القبائل النازلة بين مكة والمدينة
 - ٦ - بنو قريظة وقد انضموا اليهم بعد وصولهم الى المدينة
- تلك هي القبائل التي اجتمعت لقتال المسلمين من الجنوب والشرق والشمال وسارت اليهم بعشرة آلاف مقاتل ، ولا يدخل في هذا الرقم المقاتلون من بني قريظة فقد انضموا اليهم بعد وصولهم ، ومعنى ذلك ان مجموع عددهم ما كان يقل عن ١١ الف مقاتل

نداء المسلمين وقواهم

وتلقى ولاة الامور في المدينة تفاصيل ما جرى في مكة وأحاطوا خبرا بما بذله

رعماء اليهود من الجهود لتحزيب الاحزاب ، واطلعوا على عدد القوى التي تتأهب للزحف عليهم

واستشار النبي ﷺ أصحابه فيما يفعل ، وسألهم هل يخرج للقاء القادمين في خارج المدينة ، أم يلقاهم في داخلها فانفقوا على الاخذ بالشق الثاني وبدأوا بافراغ المدينة وجعلها في حالة دفاع وارسلوا النساء والاطفال الى الاطم البعيدة في الضواحي ليكونوا في مأمن من العدو اذا استباح الحمي

واقترح سلمان الفارسي على النبي ﷺ ان يحفر خندقا حول المدينة يمنع الاعداء من اقتحامها وقال له ان من عادتنا في فارس ان نحفر هذه الخنادق حول المدن للدفاع عنها في زمن الغارات فأعجب بهذا الرأي واخذ به بلا تردد ، ولئن لم يكن الخندق معروفا في جزيرة العرب حتى يومئذ ، ولئن لم يكن رآه من قبل ، الا انه ادرك بثاقب نظره واصالة رأيه ان حفره قد يفيد في حالة كحالتهم فأرسل فنأدى في المسلمين يدعوهم الى التطوع لحفر الخندق

وكان هو في مقدمة العاملين وقد اجمع الرواة على انه كان ينقل التراب على ظهره بالزنبيل وكان يردد أثناء النقل البيت الآتي :

اللهم ان العيش عيش الآخرة فاعفر للانصار والمهاجرة
فيجيبه العاملون معه من المسلمين :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا
وأنشد أيضا في اثناء عمله الأبيات الآتية وهي لابن رواحة شاعر الانصار :

تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينتنا علينا وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الالى لقد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة ابينا

وكان يرفع صوته بالشر الاخير قائلا : ابينا . ابينا .
واتم المسلمون حفر الخندق في خلال بضعة عشر يوما قضوها في عمل متواصل

كما اتمو حشد قواهم وبلغت ثلاثة آلاف مقاتل في هذه المرة ، واستعدوا للقاء عدوهم .

ووصل بعد ذلك جيش قريش وتقدم من دون مقاومة - لأن المسلمين كانوا وراء خندقهم - وتسمى هذه الحرب باسمه - حتى الخندق

فنزل في مجتمع الاسيال من دومة بين الجرف والغابة . أما المسلمون فاحتشدوا دون الخندق وجعلوا ظهرهم الى جبل سلع ويبعد عن المدينة نحو كيلو مترين الى الشمال ، مقابل جبل احد ، وقد صمموا على النضال حتى النفس الاخير

وكان الرماة منهم على اتم استعداد للقتال في هذه المرة كما كان فرسانهم يطوفون حول الخندق من الداخل ليل نهار لمنع العدو من اقتحامه

ودهش رجال قريش وحلفاؤهم حينما رأوا الخندق - وما كانوا يعرفونه من قبل ولا خطر لهم ببال ان المسلمين يفاجئونهم بهذه المفاجأة الغريبة - فوجموا وتشاوروا فيما يفعلونه فاستقر قرارهم على النزول فنزلوا وضربوا خيامهم

مقابلة بين القوتين

ولا يخفى ان حالة المسلمين كانت تختلف اختلافا كبيرا عن حالة قريش فقد كانوا يقيمون في منازلهم ، وعلى مقربة من أهلهم ، وعندهم ما يحتاجون اليه من قوت ومعدات وقد وطدوا انفسهم على الصبر والثبات والنضال الى ماشاء الله . اما قريش واحلافها فما كانوا يظنون ان المسألة تكلفهم أكثر من أيام معدودات ، كما حدث يوم احد ، يصلون في خلالها الى المدينة فيضربون ضربتهم الكبرى وينهبون اموال المسلمين وحلافهم و يغنمون كل ما يملكونه ثم يقسمونه فيرجع كل قبيل الى قبيلته غانما سالما ، و بديهى انهم لم يفكروا في ادخار ما يميز هذا الجيش اللجب وليس من السهل تموينه ولا تقديم حاجياته اليومية من مأكل ومشرب وعلف ولوازم اخرى في بلاد قاحلة تكاد تكون خالية من اكل شئ حتى من الماء ، ولذلك لقي قاده عناء كبيرا في تثبيت رجلاهم وفي تدارك القوت لهم ، يضاف الى هذا ان العربي لم يألف

الوقوف امام الاسوار ومحاصرتها ، وليست الحرب في نظره سوى وسيلة من وسائل الكسب والربح ، فاذا خاضها فانما يخوضها لهذه الغاية في الغالب لا لموت ولذلك فهو لا يجازف بحياته وقد نتج عن هذا ان عدد الذين يقتلون في الحروب منهم

على ان حالة المسلمين كانت تختلف عن حالة غيرهم ، فقد نفخ الاسلام فيهم روحا جديدة فاخذوا يتسابقون الى الموت ابتغاء الحصول على رضوان الله واكتساب مرتبة الشهادة للتمتع بما اعد للشهداء من مقام رفيع وثواب عظيم في الدار الآخرة . وهذا الاعتبار هو في مقدمة الاعتبارات التي ضمنت للمسلمين النصر والتفوق على اعدائهم وخصومهم فقد كانوا يحاربون في سبيل غايتين الاولى : تأييد الدين ونصرته وتعزيز كلمة الاسلام ، واجرهم على ذلك اجر المجاهدين والثانية : الحصول على مرتبة الشهادة وتلك اقصى ما يصبو اليه المسلم ، في حين أن اعداءهم ما كانوا يحاربون في سبيل غايه معينة معروفة ، ولهذا ما كانوا يثبتون أمامهم حين اللقاء رغم تفوقهم في العدد والعدد في معظم الاحيان ، يضاف هذا الى تفكك الروابط الاجتماعية بين هؤلاء واختلاف كلمتهم وتعدد زعماءهم في حين أن كلمة المسلمين موحدة ومثل ذلك قيادتهم ، وجيش مثل هذا الجيش له وحدة القيادة والغاية والنظام لا بد من تغلبه وانتصاره على تلك الشراذم المتفرقة المتفككة

وأدرك قادة الجيش الاسلامي ان مطاولة الاحلاف وعدم الاشتباك معها في معركة حاسمة يضعفها ويزيد في مشاكلها وارتبا كاتها فاججموا عن منازلها واكتفوا بالمرابطة وراء خندقهم والمحافظة عليه ومنع قریش من تخطيه او تجاوزه . وناقض الاسبوع الاول والحالة كما وصفنا ، والجيشان واقفان امام بعضهما بعضا يتبادلان الشتم في بعض الاحيان تكييها قریش للمسلمين وتعيهم بالوقوف وراء خندقهم وتدعوهم لتخطيه

وادرك هؤلاء ان امتداد زمن الحصار يضعفهم ويلقى الاضطراب في صفوفهم ويكاد يفل جمعهم ، لأن الذين جاءوا معهم من الاحلاف والانصار لم يأتوا للوقوف وراء الاسوار ، وانما جاءوا للسلب والنهب ، فعولوا على القيام بعمل حاسم فاقتحم بعض

فرسانهم ، وفي مقدمتهم عكرمة بن ابي جهل وعمرو بن عبدود ونوفل بن عم خديجة بنت خويلد مكانا ضيقا من الخندق وهاجموا المسلمين املا بأن يجروهم الى القتال فلقبهم على بن ابي طالب مع بعض اخوانه وصمدوا لهم فقتل الثاني وهزم الاول وسقط الثالث في الخندق وهو منهزم فمات

استراك بنى قريظة في القتال

ولم يكد جيش الاحزاب يحط رحاله حول المدينة ، حتى ذهب حيي بن اخطب الى بنى قريظة ، وكانوا قد أغلقوا حصنهم ، وأعلنوا حيادهم ، فطرق الباب فأبوا أن يفتحوه فألح ففتح له فاجتمع الى سيدهم كعب بن أسد ، فخاطبه عاملا على استمالته الى جانب الاحزاب واشراكه في الحرب التي أوقدوها لاستئصال المسلمين والانتقام لليهود ، فتردد في قبول الاقتراح وقال لصاحبه انه عاهد محمدا ﷺ على الوفاء والصدق وليس هناك ما يستوجب نقض العهد ، فقال انها فرصة لايجوز الزمان بمثلها ، فقد جاءت قريش وغطفان وكنانة ومرة وغيرها ببحر زاخر من الرجال ، وما هي الا أيام حتى يتلاشى أمر المسلمين ويقضى عليهم ، فاشترك معنا في العمل ، وفز بهذا الفخر ، ولم يزل به حتى أقنعه بالانضمام الى الاحلاف فأعلن نقضه للعهد والتحاqqه بقريش فثبت ذلك الاحزاب وبث فيها روحا جديدة ، وأطال مدة الحصار على المسلمين

وشاع في المدينة خبر نقض قريظة للعهد وانضمامها الى الاحلاف فانتدب النبي ﷺ وفدا قوامه سعد بن معاذ (سيد الاوس) وسعد بن عباد (سيد الخزرج) وعبد الله بن رواحة شاعر الانصار وخوات بن جبير بن عمرو بن عوف ، لاستطلاع خبرها ، وموافاته بالصحيح من أمرها ، وقال لهم قبل رحيلهم : « اذا رأيتم ان مابلغنا عن انضمامها الى الاحزاب صحيفا فالحنوا الى لنا أعرفه (وذكره لهم) ولا تفشوا ذلك بين الناس لتلايفت في أعضادهم ، وان كان الأمر بالعكس وكانوا على الوفاء فافشوا ذلك واجهروا به »

وأبلغ كعب بن أسد ، الوفد حينما قابله نبأ تقضه العهد وانضمامه الى الخصم ، وقد لايبعد أن يكون عمل على اقناعه بالعدول عن هذه الخطة فأبى فعاد من دون أن ينال منالا ، وشاع ذلك بين المسلمين فأثر في نفوسهم وأزعجهم ، ولم تك حالتهم الداخلية على مايرام ، فقد كان هنالك ابن أبي ومن معه يثبطون الهمم ويثبون الدعوة للعودة عن القتال والتخاذل قائلين انه لا قبل لأهل المدينة بمقاومة عربان الحجاز وقد اتفقت على قتالهم وأجمعت على استئصالهم

التذرع بالاسباب السياسية

ورأى الرسول ﷺ ان أفضل مايعمل في مثل تلك الحالة هو التذرع بالوسائل السياسية لتفريق كلمة الاحزاب وازعاجهم وذلك بعقد صلح منفرد مع غطفان يحملها على التخلي عن قريش واتصل سرا بواسطة عاصم بن عمر بن قتادة بعبيدة بن حصن ابن حذيفة وبالخارث بن عوف وهما قائدا غطفان وعقد معهما مبدئيا صلحا منفردا اشترط فيه أن يرحلا برجالهما عن المدينة مقابل ثلث محصول ثمرها من التمر ولما وصلت المفاوضات السرية الى هذه المرحلة ولم يبق سوى التوقيع على العقد دعا رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد (زعيمى الاوس والخزرج) وأطلعهما على خبر المفاوضات الدائرة بينه وبين غطفان وعلى ماتم الاتفاق عليه وسألهما رأيهما وهل يوافقان على الاتفاق فيعقده ؟ أم يعارضان فيه فيرفضه ؟ فقالا له :

- هل هو من عندك تحبه فتصنعه أم هو من عند الله أمرك به ففعلته

- هو من عندى وقد رأيت أن أفعله لكم لاني رأيت ان العرب قد اجتمعت عليكم ورمتكم عن قوس واحدة فأردت أن اكسر شيئا من شوكتهم بعقده

فقال سعد بن معاذ ونحن هؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لانعبد الله ولا نعرفه ولا يطعمون منا بثمر الاقري أو يبعوا أفحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيتهم أموالنا والله مالنا بهذا حاجة ، والله لانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، وهكذا فشل المشروع وقضى عليه

وجاء نعيم بن مسعود بن عامر من غطفان الى رسول الله ﷺ وقال له :

— انى قد أسامت وان قومى لم يعاموا باسلامى فمرنى بما شئت

— انما أنت فينا رجل واحد نفضل عنا ان استطعت فلان الحرب خدعة

وقصد نعيم بنى قريظة وكان يعرفهم ويعرفونه وكان نديما لهم وألقى عليهم شباكه والظاهر انه كان ذكيا ألمعيا يعرف من أين تؤكل الكتف - فاجتمع الى ساداتهم وكبارهم وقال لهم: لقد عرفتم صداقتى لكم وحبى اياكم وعرفتم اننى أغار على مصلحتكم واشد الخير لكم قالوا ماأنت بمتهم عندنا

قال والرأى عندى أن لاتوغلوا فى قتال المسامين ولا تسرفوا فى معاداتهم قبل أن تنالوا رهائن من أشرف قريش وغطفان ييقون فى أيديكم لانكم لاتأمنون أن ينسحبوا غدا ولا أرض ولا مال لهم هنا بعكس حالكم، فأتم من أهل البلاد وعندكم المال والتاجر والمزارع فتبقون وحدثكم فيفتك بكم المسامون وتذهبون ضحية انضمامكم الى حلفاء شأنهم غير شأنكم

فأثرت مقالته فى نفوس القرظيين وقالوا له سنفعل ما أشرت به ونطلب

الرهائن قريبا

وانطلق الغطفانى حينما وثق من نجاح مشروعه، فلقى أباسقيان ومعه

وجوه قريش وقال لهم عرضا فى أثناء الحديث انه اتصل به من ثقة ان بنى قريظة ندموا

على انضمامهم الى الاحزاب وقيامهم على محمد وانهم ارسلوا اليه نورا من قومهم

يبلغونه ندمهم على ما فعاوه ويقولون له هل يرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان

رجالا من أشرفهم فنسلمك إياهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك حتى تستأصل أثرهم

وترتاح منهم فأجابهم بالقبول فاتفق الفريقان على تنفيذ هذه الخطة ، ثم قال فاذا

أرسل اليكم اليهود بطلب رهائن فاياكم أن تعطوهم شيئا فانهم لن يلبثوا حتى يسلموهم

الى المسلمين فيقتلوهم وقد رأيت أن أبلغكم ما عرفته لتكونوا على حذر وكل ما أرحم

هو أن تكتموه فلا يشيع بين الناس فوعده الكتمان

وانطلقت حيلة الفتى الغطفاني على ابي سفيان فأوفد على الفور وفدا برئاسة
عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش و غطفان - وكان نعيم قد أبلغهم ما أبلغ قريشاء
الى قريظة يطلب اليهم أن يستعدوا للقيام بهجوم عام على المسلمين وضرب صباح غد
« السبت » موعدا له وان يكونوا على تمام الأهبة للاشتراك فيه

فاعتذر اليهود مبدئيا عن الاشتراك في الهجوم بحجة ان اليوم يوم « سبت »
وهم لا يباشرون عملا فيه ثم قالوا « اننا لن نقاتل معكم ولن نشترك في معركة حتى
تعطونا رهنا من رجالكم يكونون في ايدينا فاننا نخشى أن تنسحبوا غدا
اذا اشتدت الحرب وتركونا وشأننا أمام المسلمين يفتكون بنا ويقتلوننا ولا طاقة
لنا بهم »

وعاد الوفد الى ابي سفيان ومن معه فأبلغهم ما قاله اليهود وأطلعهم على شروطهم
فقال بعضهم لبعض والله لقد صدق نعيم فيما نقله ورواه فالقوم سيئو النية ولن نسلم
اليهم أحدا من رجالنا لئلا يكون مصيره الهلاك ، ثم ارسلوا يبلغونهم انهم غير مستعدين
لتسليمهم الرهائن ، وانهم اذا كانوا يريدون القتال فليقاتلوا منفردين فأبى اليهود
مباشرة القتال الا بعد أن ينالوا الرهائن خوفا من المصير السيء الذي ينتظرهم . وهكذا
دب الشقاق في صفوف الاحلاف ووقع الانقسام بين زعمائهم ، ففترت همهم وأدركهم
الوهن وأخذوا يترقبون الفرص للخلاص مما هم فيه وللانسحاب « بانتظام » فلا
تقول العرب انهم انهزموا وانكسروا

تورة الطبيعة

وفيا هم على هذه الحال يضربون أحماسا في أسداس هبت عليهم عاصفة ثلجية
باردة - وكانوا يحاصرون المدينة في شهر فبراير سنة ٦٢٧ فاقبلت الحيام وقلبت
قدور الطعام وهدمت المعسكر فتفرقوا وتشتت شملهم ولما رأى أبو سفيان ما صاروا
فيه خطب قومه قائلا :

« يامعشر قريش : انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف
 واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، والله
 ما مطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فاني مرتحل »
 وقام الى جملة فركبه وارتحل وارتحل معه القوم فاتهمى برحيلهم أمر الاحزاب وفشلت
 محاولتهم ، وخاب سعيهم

وخسرت قريش في حرب الاحزاب ثلاثة من رجالها ، وقتل من المسلمين خمسة
 وجرح سعد بن معاذ ومات بعد ذلك متأثرا من جراحه فكان عدد قتلاهم ستة
 واستردت المدينة بعد انسحاب الاحزاب بهجتها ، وانتفى الخطر الذي كان يهددها
 ورجى بالذرية والنساء من الاطم ، وكان يومها من الايام الكبرى عند المسلمين فقد
 بشرهم النبي ﷺ فيه بان قريشا لن تغزوهم بعد ذلك ، وانهم سيغزونها ، ويفوزون
 عليها وقد صدق فيما قال

استئصال بني قريظة

لم يسرح النبي ﷺ جيشه ، بعد انسحاب الاحزاب ، ولم يجنح الى الراحة
 والسكون ، بعد كل ذلك العناء والتعب الشديدين في حربهم - وقد اقاموا حول
 المدينة ٢٢ يوما - بل نادى مناديه بين المسلمين يوم ٢٣ ذى القعدة ، اى بعد ظهر
 اليوم الذى انسحبوا في الليلة السابقة له بان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر
 الا في بني قريظة

وتتابع المسلمون على الاثر وخرج بعدهم فنزل على بئر من آبارهم . ولزم اليهود
 حصونهم فحاصروهم واقاموا على ذلك مدة ٢٥ يوما ادرك هؤلاء في نهايتها أن
 لا رجاء فعزموا على الاستسلام فارسلوا الى الرسول يقترحون أن يرسل اليهم
 ابا لبابة بن عبد المنذر ليستشيروه في امرهم فارسله فلما وصل سأله هل ينزلون على حكم
 محمد فاشار عليهم بالنزول فابلغوه في الغداة انهم قرروا الاستسلام بدون قيد ولا شرط

فيقرر مصيرهم كما يشاء . وتدخل الاوس في الامر - وكانوا حلفاءهم - واقترحوا على الرسول أن يعاملهم كما عامل بني قينقاع حلفاء الخزرج - اي ان يكتفي باخراجهم من ديارهم وبمصادرة أموالهم وجز شعر رؤوسهم ، فقال لهم الاتوافقون على أن يحكم في مصيرهم رجل منكم قالوا بلى . قال فبيؤني بسعد بن معاذ ، وكان يعالج من جرحه يوم الخندق فجيء به من المدينة محمولا على حمار وحوله نفر من قومه فقال له الانصار حينما وصل : يا أبا عمرو ان رسول الله قد ولاك امر مواليك اليهود لتحكم فيهم فقال : اني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذراري

والنساء

واقر الرسول الحكم وقال لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة اربعة (سماوات) فقبضوا على رجالهم وساقوهم مكتفين الى المدينة وسجنوهم في دار بنت الحرث وعددهم يتفاوت بين ٦٠٠ - ٧٠٠ وقيل ٩٠٠ وفيهم حي بن اخطب زعيم بني النضير وكعب بن اسد زعيمهم ثم امر بان تضرب اعناقهم فكانوا يأتون بهم افواجا الى سوق المدينة فيقتلونهم ويلقونهم في حفر أعدوها لهذه الغاية وقام على بن ابي طالب والزبير بن العوام بهذه المهمة ، ولم يقتلوا من النساء سوى واحدة طرحت الرجا على خلاد ابن سويد فقتلته

وغنم المسلمون أموال بني قريظة واقتسموها فيما بينهم ، وسبوا نساءهم وارسلوها الى نجد بقيادة سعد بن زيد الانصاري فباعها وابتاع بثمنها خيلا وسلاحا : وكانت غنائم المسلمين من قريظة كما يأتي :

سيف	١٥٠٠
درع	٣٠٠
رمح	٢٠٠٠
ترس وحجفة	٥٠٠

وغنموا ايضا كمية كبيرة من المشية والابل والاثاث والامتعة والثياب ووضعوا
أيديهم على منازلهم وارضيتهم ونخيلهم وكر ومهم

فسارة الساميين

وقتل من الساميين في بني قريظة واحد هو خالد بن سويد وقد طرحت عليه
يهودية رحي فمات فقتلت به كما تقدم

١٠ بعد الخندق

الحقنا غزوة قريظة بالخندق لانهما من دوحة واحدة ، فالاولى اصل والثانية فرع ، ولولا انضمامها الى الاحزاب ومجهرتها للمسلمين بالعداء ، ونقضها عهدهم وقد اعترف به كعب بن اسد ، لما هاجموها ولما استأصلوها

ولا بد لنا من القول ان ماجرى في غزوتي بني قينقاع والنضير تكرر هنا تقريبا ، فلم يشهر اليهود سيفا ، بل اكتفوا بالاعتصام وراء اسوارهم كما فعل اخوانهم من قبل ، ينتظرون المعونة والمساعدة من الخارج فلما ابطأت عليهم ، استسلموا بلا قيد ولا شرط ، وما كانوا يجهلون بان مصيرهم سيكون الذبح والفناء العاجل ، وقد كان في امكانهم - ولو كان عددهم اقل من عدد محاصريهم - ان يقاوموا جهد طاقتهم مادام المصير في الحالتين الموت . ولئن عامل النبي القرظيين بغير ما عامل به اخوانهم فلان جريمتهم كانت اكبر ، فهم لم يكتفوا بالعود عن الاشتراك مع المسلمين في الدفاع عن المدينة عملا بما تقضى به العهود المكتوبة بينهما ، وكانت المدينة في خطر شديد ، بل انضموا الى اعداء المسلمين وخصومهم في اشد ساعات الخطر وادقها منتهكين حرمة القواعد الاخلاقية العامة . وحينما ذهب وفد المسلمين لاقناعهم بالكف عما عزموا عليه رفضوا وابوا . فان قيل انهم كانوا متورين من المسلمين لانهم فتكوا باخوانهم نجيب بان هؤلاء اكتفوا في المرتين الاوليين باجلاء ابناء عمومتهم ولم يرقوا دمهم ولم يصادوا شيئا من اموالهم بل اكتفوا من بني قينقاع - وهم اول قبيلة قاومتهم - بالجلاء واكتفوا من بني النضير باخذ السلاح مع الجلاء

فالمسلمون أرادوا من انزال هذه العقوبة القاسية بنى قريظة أن يجعلوهم عبرة لغيرهم من الذين يقدمون على نقض العهود وانكارها ولا يحجمون عن الوثوب على الجار في أشد ساعات الخطر وطعنه من الوراء طعنة قاتلة ، ولولا ذلك لما عاملوهم بما عاملوهم به، ولا كتفوا منهم بالجلء ، فالغاية التي كان يرمى اليها المسلمون في ذلك العهد هي التخلص من العناصر الاجنبية الخطيرة ، واتقاء الدسائس الخارجية لاسفك الدماء ولا ازهاق الارواح ، وما كان ذلك من شأنهم، ولا بما يأمر به دينهم

ولا ريب ان فوز المسلمين في هذه الغزوة كان مضاعفا وكان عظيما ، مع انهم كرهوها في أول الأمر وتخوفوا منها ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ فقد اثبتت عجز قريش مع كل ما جمعت من قوى وألبته من رجال ، فظهر للعيان عجزها عن التغلب عليهم ، واستئصالهم فعادت - بعد حصار امتد ٢٢ يوما وبعد جهود بذلت في خلال شهر - تجر ذيل الفشل طويلا ، كما اثبت ان المسلمين أصبحوا قوة قوية يحسب حسابها ويخشى جانبها ، فارتفع شأنهم وتعززت مكاتبتهم فالوقوف أمام بضعة عشر ألف مقاتل ، والثبات في وجههم مدة غير قصيرة ، ثم ارتداد هذه الالوف المؤلفة وتشتتها فيه مافيه من المعاني الدالة على تضامن المسلمين واتحادهم وقوتهم

وقد تكالل الفوز السلي الذي ناله المسلمون في الخندق بفوز ايجابي أعظم أدركوه في بنى قريظة فانهم فضلا عن تخلصهم من منافس شديد - كان يهددهم في عقر دارهم ، ولا يخفى ان القرظيين كانوا أكثر عددا وأوفر سلاحا من أبناء عمومتهم الآخرين - استولوا على كمية كبيرة من السلاح والمتاع والذخائر فازدادوا بها قوة ومنعة وقضوا في الوقت نفسه على النفوذ اليهودي في منطقة المدينة وتخلصوا بعد نضال استمر نحو أربع سنوات تقريبا من منافس قوى فلم يبق أمامهم سوى يهود خيبر وكانوا أكثر يهود الحجاز عددا سيما وقد انضم اليهم عدد غير قليل من بنى قينقاع والنضير بعد جلائهم وبعض البطون الصغيرة الاخرى حول المدينة وليست بذى بال وكان أول مفاعله المسلمون بعد ما ارتاحوا من كفاحهم وأمنوا جانب قريش

وما كان في استطاعتها أن تعود الى مهاجرتهم - فيما لو حدثتها النفس بالمهاجرة -
 الا بعد انقضاء وقت طويل لتعد في خلاله جيشا أعظم من جيش الخندق ، وأمنوا جانب
 اليهود ، وكانوا يحسبون حسابهم - نقول ان أول ما فعلوه هو انهم تجهزوا لغزو
 بني لحيان وهم الذين فتكوا بعاصم بن ثابت وزملائه الخمسة الذين أرسلوا الى نجد
 للتبشير بالدين الاسلامي فقتلوا أربعة منهم واقتادوا اثنين باعوهما في مكة فذبحا انتقاما
 (انظر ص ٨٩) - فقد تجهز النبي ﷺ في شهر ربيع الاول من سنة ست أى بعد
 بنى قريظة بشهرين فقط وخرج يقود ٢٠٠ من أصحابه منهم ٢٠ فرسا قاصدا بنى
 لحيان (وينزلون بين مكة والطائف ولا تزال هذه القبيلة موجودة حتى الآن تقيم في
 نفس الديرة التي كانت تنزلها في الجاهلية)

ومع انه تظاهر بانه يقصد الشام (الشمال) في غزوته تلك - وقد كانت هذه
 عادته في الغالب ، فما كان يذكر اسم المكان الذي يقصده بل ولا يورى به وكثيرا
 ما كان يذكر اسم غيره لئلا يتنبه الذين يقصدهم فيستعدوا للقاءه فلا ينال منهم منلا
 وسلك في ابتداء سيره طريق الشام ثم اتجه الى الطريق الاصلى - الا انه لم يعمل عملا
 عسكريا يذكر فقد وصل فرأى بنى لحيان مقيمين في رؤوس الجبال فنزل
 في ديارهم وقضى فيها يومين ييث السرايا ويرسلها الى الاطراف ، ثم عاد بطريق
 عسفان لانه أدرك ان لافائدة من طول الإقامة هنالك لصعوبة بلوغ القمم التي اعتصم
 فيها هؤلاء

ونزل المسامون بعسفان وتبعد عن مكة نحو ٨٠ كيلومترا من جنوبيها على طريق
 المدينة ، وأرسلوا أبا بكر مع كوكبة صغيرة من الفرسان للارتياح وللقيام بشبه مظاهرة
 عسكرية ارهابا لقريش . ولما عادت الكوكبة اتجهوا الى عاصمتهم . وما كادوا يستقرون
 فيها ، حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري (وكان يقود جموع فرارة
 وغطفان يوم الخندق في جيش الاحزاب) فسطوا على ٢٠٠ ناقة للنبي ﷺ كانت ترعى
 بالغابة واستاقوها بعد ما قتلوا راعيها وسبوا امرأته

ووصل الخبر الى المدينة ، فركب النبي ﷺ في خمسمائة من رجاله ، وترك

سعد بن عباد مع ٣٠٠ للدفاع وسار وراء المغيرين فأدركتهم الخيل وناوشتهم فاستردوا
 بعض النياق وقتل بعضها ، وواصل المسلمون تقدمهم حتى بلغوا ذا قرد وهو ماء في
 شرقي المدينة ويبعد عنها نحو ١٥٠ كيلو مترا فأدركوا القوم ولم يشتبكوا معهم بحرب
 وجهاز النبي ﷺ بعد ذلك بأسابيع قليلة (أي في شهر ربيع الثاني) سرية من
 ١٠٠ رجل بقيادة محمد بن مسامة الانصاري ، لارتياح ديار بني ثعلبة (غطفان)
 وتجنس أخبارهم

والظاهر ان خبر هذه البعثة الصغيرة وصل الى القوم قبل وصولها فأعدوا العدة
 للقائها ، ولم يهاجموها حينما قدمت بالليل بل تركوا رجالها حتى ناموا فأحدقوا بهم ثم
 بدأوا باطلاق النبال فوثب المسلمون الى أسلحتهم وتقابلوا ساعة قتل فيها رجل من بني
 ثعلبة فحمل اخوانه بالرماح على هؤلاء فقتلواهم الا محمد بن مسامة فقد جرح ثم نقله
 رجل من المسلمين الى المدينة

ولما وصلت هذه الاخبار الى المدينة جهز النبي ﷺ أبا عبيدة على رأس ٤٠
 رجلا وأمره بأن يقصد المكان الذي قتل به رجال السرية فسار فلم يجد أحدا من
 بني ثعلبة ووجد متاعهم ومواشيهم فجاء بها الى المدينة ولم يشتبك معهم في قتال

الاعمال العسكرية في شمال المدينة

لم يعد المسلمون الى العمل في الميدان الشمالى سحابة اربع سنوات اى بعد غزوة ودان أو الالبواء ، فقد انصرفوا في خلال هذه المدة الطويلة ، الى مكافحة قريش وتنزل في الجنوب ، وغطفان وسليم ، وتنزلان في الشرق ، واليهود وكانوا حول المدينة كما تقدم

واول مرة تجهز فيها المسلمون لغزو بعيد واقتربوا فيه من حدود الشام ، وكان الشام خاضعا للروم ، كانت غزوة دومة الجندل (الجوف) الآن وهو في شرقي المدينة الجنوبي وتبعد عنها بطريق تيماء نحو ٦٠٠ كيلوا متر و بطريق حائل (نجد) نحو الف كيلو متر وهي مجموعة مزارع تعرف الآن بهذا الاسم وعاصمتها سكاكه الجديدة وتخضع للدولة السعودية)

ويقال في اسباب هذه الغزوة انه بلغ المسلمين ان بدومة الجندل جمعا كثيرا يظلمون من يمر بهم من تجار الميرة الحجازيين وانهم يريدون مهاجمة المدينة فسار النبي اليهم بالف من المسلمين ، وكان يسرى في الليل ويكمن في النهار ومعه دليل من بنى عذرة اسمه مرعب وذلك في أول السنة الخامسة فبلغ اراضيهم ولم يدر قتال بينه وبينهم ويقول بعض المؤرخين ان المسلمين رجعوا بنعم القوم وشأهم

وعاد المسلمون الى الظهور في هذه المنطقة في شهر شعبان للسنة السادسة فقد جهز النبي سرية عهد بقيادتها الى عبد الرحمن بن عوف وقال له حينما سالمه اللواء « خذه يا ابن عوف: اغزوا جميعا في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم »

وكانت المهمة التي نيظت بعبد الرحمن - وكان معه ٧٠٠ مقاتل - ان يمضى الى بنى

كعب ، في منطقة دومة الجندل ، وكانوا اصحاب « دولة » مستقلة تمتد اراضيها من دومة الجندل حتى تبوك وتيماء فيدعوهم الى الاسلام فان استجابوا له واسلموا فليتزوج ابنة ملكهم .

واقام عبد الرحمن في ديارهم ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام واسلم في اليوم الرابع ملكهم الأضبع بن عمرو الكبي واسلم معه كثير من قومه وتزوج عبد الرحمن تماضر بنته وقدم بها المدينة . وكان ذلك مقدمة لانتشار الاسلام في تلك الربوع ولم يعد المسلمون الى العمل في هذه المنطقة الا بعد فتح مكة فقد احتلوا خيبر وتيماء وتبوك وصالحوا صاحب دومة الجندل على الجزية ووصلوا في تقدمهم حتى البلقاء وسنفضل ذلك حين الكلام على فتح الشام في المجلد الثاني

صالح الحديبية

قريش تغرب بالدولة الاموية

اول عهد سياسى بين المسلمين وقريش

هدأت الحالة فى جنوبى المدينة هذوءا نسبيا بعد انسحاب الاحزاب وفشلهم امام الخندق؛ فلم تعد قريش تحرك ساكنا ولم تعد تفكر فى غزو المسلمين واستئصالهم كما كان صنايدىها ينادون بذلك من قبل ، ولعل الحادث الوحيد الذى وقع بين الخندق - وكان فى شهر شوال من السنة الخامسة - وبين الحديبية وكانت فى شهر ذى القعدة من السنة السادسة ، هو حادث العيص فى شهر جمادى الاولى من السنة السادسة نفسها اى قبل الحديبية بستة اشهر ، وخلصته أن النبي ﷺ سير قوة بقيادة زيد بن حارثة ومعه ٧٠ مقاتلا لمهاجمة قافلة لقريش عاموا انها عائدة من الشام فالتقى الفريقان فى العيص « شرقى المدينة ويبعد عنها نحو ٣٠ كيلو مترا » وغنم المسلمون مافى القافلة ، واسروا رجالها ، وكان من جملتهم أبو العاص بن الربيع صهر النبي ، وام هالة بنت خويلد شقيقة السيدة خديجة زوج النبي ، وقادوها الى المدينة واصابوا كمية كبيرة من الفضة فى القافلة لصفوان بن امية من كبار تجار قريش

اما حديث الحديبية فخلصته ان الرسول غادر عاصمته فى شهر ذى القعدة من السنة السادسة على رأس ٧٠٠ وقيل ١٤٠٠ من المسلمين يسوقون ٧٠ ناقة للهدى ، معلنا انه يقصد مكة للعمرة والزيارة لا للقتال والفتح

واتصل الخبر بقريش وعرفوا انه خرج برجاله يقصدهم وادركوا انه يرمى الى غرض سياسى مضمرة ، بعد الغرض الدينى الظاهر ، فهو يريد اظهار قوته وسطوته ،

ولفت الانظار الى الفوز العظيم الذى ادركه ، فقد غادر مكة من ست سنوات خائفا يتربص ، لا يصحبه من الناس سوى صديقه وصاحبه ابى بكر وهو يخشى الوقوع فى ايدى اعدائه الذين كانوا يعملون لاغتياله ، اما اليوم فهو يعود رئيسا لطائفة كبيرة من الذين يؤمنون بدينه ، و يصدقون رسالته ، ويتسابقون الى نصرته ، ويستعدون الموت فى سبيله ، وقد انتشر اسمه ، وذاع صيته ، وعلا قدره ومقامه

ولم تخف هذه الاعتبارات على زعماء قريش وكانوا يرقبون حالة المسلمين عن كثب ، فاجتمعوا فى دار الندوة وبحثوا فى الخطة التى يسرون عليها ازاء الزيارة وهل يسمحون له بدخول مدينتهم فى موكب الفخم ، وبين رجاله الابطال ، فيتحدث بحديثه اهل مكة خاصة ، والعرب الذين يشهدون الموسم عامة ، ويقدرون بالالوف ويذكرون ما ادركه من نجاح وتوفيق بفضل اخلاصه فى دعوته ، وتجرده عن كل غرض دنيوى ، ام يابون السماح له ويقاومونه اذا اصر على الدخول ؟ وبعد اخذ ورد اتفقت كلمتهم على الاخذ بالشق الثانى واصدروا بالاجماع قرارا قالوا فيه « لا يدخلها علينا ابدا ولا نتحدث بذلك عنا العرب »

وعبأت قريش قواها ، وحشرت جندها ، واذاغت انها ستقاومه بالقوة اذا حاول الدخول وارسلت الفرسان فربطوا على طريقه فاما بلغه ذلك وكان فى عسفان وهى على مرحلتين من مكة وبينهما نحو ٨٠ كيلو مترا تقريبا ، عدل خطة سيره وسلك طريقا غير الذى اقاموا القوى عليه تأهبا للنضال وواصل تقدمه حتى بلغ الحديدية من اسفل مكة وتبعد عنها نحو ٣٠ كيلو مترا وهى من ناحية الغرب الشمالى وتسمى الشميسى فى الوقت الحاضر

ولاحظ قادة الجيش القرشى المرابطون بذى طوى (أول مدخل مكة من جهة المدينة) وكراع الغميم تأخر وصول المسلمين وادركوا انهم سلكوا طريقا آخر ففتحوا عن مراكزهم وساروا على عجل الى مكة فابلغوا قريشا ما وقع ودعوها الى ان تكون على تمام الاهبة والاستعداد

وضرب المسلمون خيامهم فى الحديدية « الشميسى » وقد كان فى استطاعتهم

دخول مكة لو ارادوا فالطريق اليها كانت مفتحة ولكنهم فضلوا النزول هنالك للراحة وللنظر في ما يكون بينهم وبين قريش فلا تكون « العمرة » وسيلة لحرب جديدة وما جاءوا لخوضها ولا لاضرامها

وعرفت قريش بوصول المسلمين الى الحديبية ونزلهم فيها فانتدبت بديل بن ورقاء الخزاعي لمقابلة الرسول وابلاغه قرار قريش بعدم السماح له بدخول مدينتها ولاقناعه بالرجوع ، فاستقبله ومن معه ، وقال له انه ماجاء يريد حربا وانما جاء البيت زائرا ومعظما . فرجع الوفد الى قريش وابلاغها ماسمع فلم يرضاها ذلك فانتدبت مكرز بن حفص بن الاخيف اخا بنى عامر لمقابلته واقناعه بالرجوع فلما وصل الى معسكر المسلمين استقبله النبي وكلمه بما كلم به بديلا فعاد الى قريش وابلاغها ما سمع

واستقر رأى قريش على ايفاد الحليس بن علقمة قائد الاحابيش (جيش قريش) لمقابلته ولاستطلاع حالة المسلمين فلما رآه الرسول ﷺ مقبلا قال ان هذا من القوم الذين يتألمون وأمر بأن يؤتى بالنياق السبعين التي جاء بها المسلمون للهدى فتعرض امامه فلما رآها وكانت سميئة بدينة أعجب بها وعاد الى مكة معظما لما رأى من دون أن يقابل الرسول ﷺ ووصف لقريش ماشاهده فقالوا له اجلس فأنت أعرابي لاشأن لك بالسياسة ، فغضب وقال لهم يامعشر قريش ما عاهدناكم على هذا ولا حالفناكم على أن تصدوا عن البيت من جاء له معظما ، ثم أقسم بانه لينفرن بالاحابيش (الجيش) نفرة رجل واحد (أى يخرجهم عن طاعتهم) اذا لم يسمحوا للمسلمين بزيرة الكعبة

وأوفدت قريش وفدا رابعا هو عروة بن مسعود الثقفي وكان من حكماء العرب واذ كياهم فجاء معسكر المسلمين وجلس بين يدي الرسول ﷺ فقال له « لقد جمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك تنقضها بهم » ثم هدده تلميحا وقال له ان قريشا حشدت قواها وانها لن تسمح له بدخول مكة ؛ فسألت الالهجة الشديدة التي استعمالها اقطاب المسلمين فأسمعه أبو بكر كلاما قارصا وأعاد الرسول ﷺ عليه ما قاله للذين تقدموه فرجع الى مكة يقص ماسمع ويقول « لقد جئت كسرى في ملكه ،

وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه ، لقد رأيت قوما لا يسمونه ابدا فروا رأيكم »
ورأى الرسول ﷺ بعد ما تعدت الرسل من قبل قريش ، ولم تتقدم المفاوضات التي دارت خطوة واحدة ، ان يرسل مندوبا فقد يوفق الى اقناع القوم بحسن نيته فيكون التفاهم على يده ، فدعا بعمر بن الخطاب واقترح عليه أن يقصد مكة لمفاوضة قريش فتردد وقال له « اننى أخاف قريشا على نفسى فقد عرفت عداوتى لها وغلظتى عليها وليس بمكة أحد من بنى عدى يمتنعى » وكان عمر من بنى عدى ، ثم اقترح عليه ارسال عثمان بن عفان الاموى في هذه المهمة لعصيته ومقامه فيهم فأجاز الاقتراح وانتدب هذا ، فسار الى مكة فلقية ابان بن سعيد بن العاص الاموى (اى ابن عمه) حين وصوله فأجاره حتى يؤدي رسالته ويخرج فذهب فقابل اباسفيان والوجوه وتكلم معهم وأطلعهم على حقيقة نيات المسلمين فقالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فافعل فأبى الا أن يطوف رسول الله ﷺ وابطأ عثمان في الرجوع الى المسلمين وتناقلت الألسن انه قتل واتصل ذلك بالرسول ﷺ فأعلن بانه لن يبرح مكانه حتى ينزل قريشا وينجزها ودعا المسلمين الى مبايعته على الحرب فبايعوه تحت شجرة كانت هنالك ثم قطعها عمر ولا يزال مكانها معروفا وقد أقاموا فيه مسجدا وتسمى تلك البيعة بيعة الرضوان وعاد عثمان بعد ذلك الى معسكر المسلمين وتبين انه لم يصب بأذى

وتبدل الموقف بعد زيارة عثمان و بعد الثبات الذى ثبته المسلمون حول مكة و بعد التصرف الحكيم الذى تصرفه فلم يخرجوا قريشا ولم يبدأوها بالقتال ، وجنحت هذه الى السلم فاتتدت سهيل بن عمرو لحل المشكلة فدارت بينهما محادثات ختمت بالاتفاق على القواعد الآتية :

- ١ - يرجع المسلمون عن مكة فلا يدخلونها في عامهم
- ٢ - للمسلمين أن يزوروا مكة في العام القابل فيقيموا فيها ثلاثة أيام فقط ومعهم سيوفهم في القرب

٣ - تجلو قريش عن مكة زمن نزول المسامين فيها
 ٤ - توضع الحرب بين الفريقين مدة عشر سنوات يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض

٥ - من جاء محمدا من قريش من غير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه

٦ - من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده فله ذلك ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فله ذلك

تلك هي القواعد التي تم الاتفاق عليها وقد أدمجت في الكتاب الآتي وهو أول عقد سياسي عقده المسامون مع قريش وهذا نصه :

« باسمك اللهم

«هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من آتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة ، وانه لا اسلال ولا اغلال ، وانه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها باصحابك واقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها»

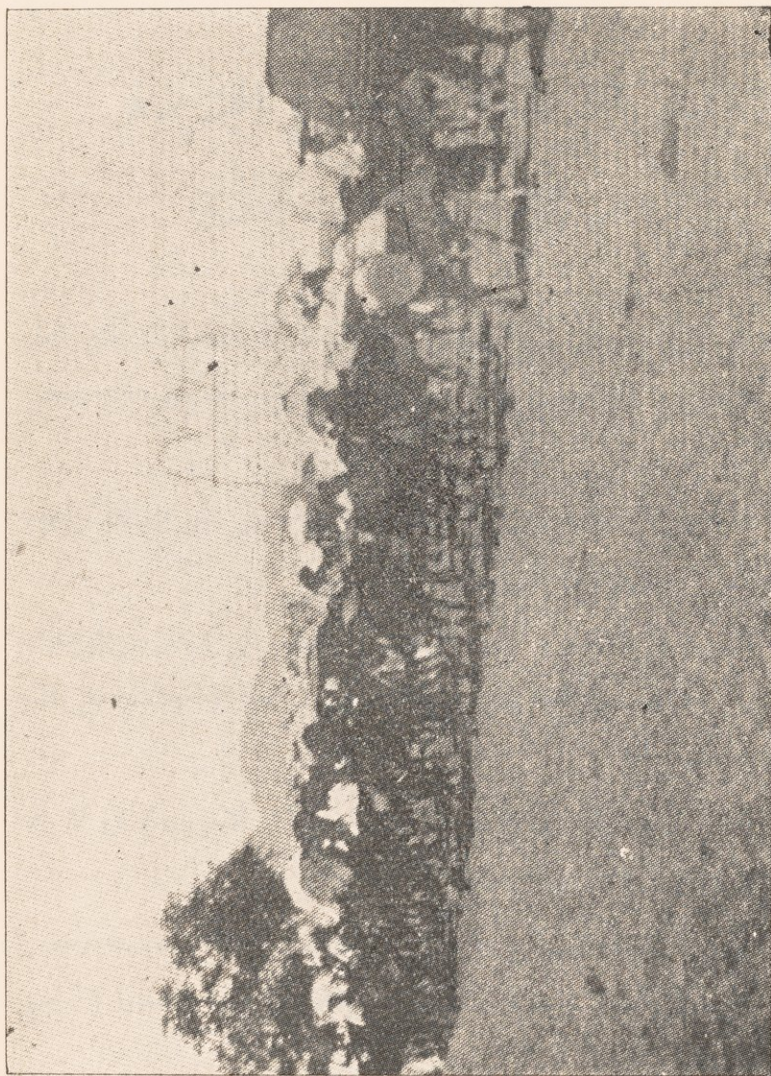
هذا هو نص عقد الحديبية وقد تولى كتابته على بن أبي طالب وختمه الرسول بخاتمه ووقعه سهل بن عمرو وشهد عليه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن ابى وقاص ومحمود ابن سلمة ومكزز بن حفص وعلى بن ابى طالب وحمله سهيل الى قريش فأجازته وبذلك تهادن المسامون وقريش

ولم يرق هذا الاتفاق في عين بعض المسامين وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب

وانتقدوا بعض شروطه ورأوا فيها غنبا للمسلمين ولا سيما المادة الخامسة القائلة بأن يرد محمد الى قريش من جاءه منها بغير اذن وليه ولا ترد قريش اليه من يجيء منه ، وسألوا الرسول كيف قبله فأجابهم بان مصلحة المسلمين تقضى بقبوله وبدأ فوراً بتنفيذه وذلك انه قام الى ناقته فنحزها ثم حلق رأسه (ولا يكون نحر الهدى الا بعد الانتهاء من العمرة) فكأنه أراد أن يشير الى انتهاء العمرة ثم أمر بالرحيل على الفور فرحل المسلمون الى المدينة

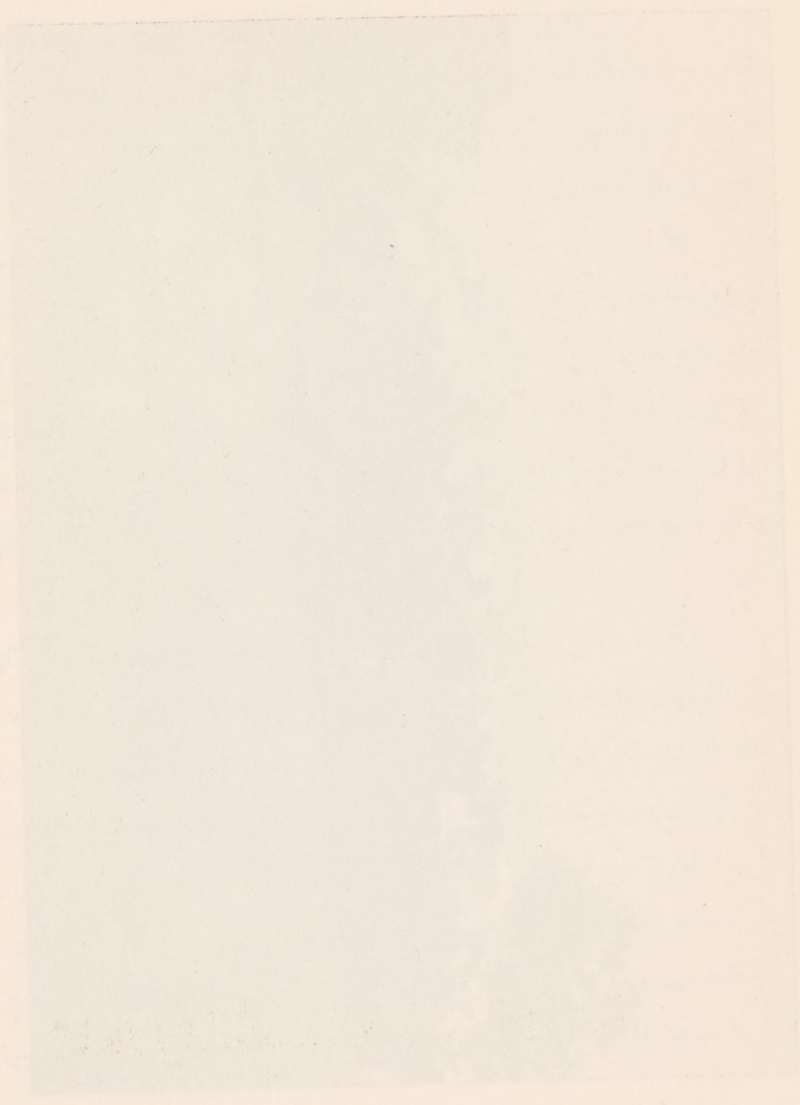
ولا ريب ان صلح الحديبية كان فوزا سياسيا للمسلمين فقد أراح يالهم من جهة قريش عدوتهم الكبرى ، وأطلق يدهم بالعمل في المناطق الأخرى كما ساعدتهم على نشر دعوتهم الدينية فدخل في دينهم كثيرون وزاد عددهم زيادة كبيرة ، ما كان يرجى لهم ان يبلغوها لو واصلوا الحرب والكفاح . ولا أدل على ذلك من زحفهم بعد سنتين أى في السنة الثامنة للهجرة الى مكة بجيش بلغ عدده عشرة آلاف مع ان عدد الذين جاءوا منهم للعمرة (يوم صلح الحديبية) ما كان يزيد على الف وأربعائة على أكبر تقدير

وقد كان من النتائج المباشرة للمادة الخامسة من اتفاق الحديبية وهي التي تقضى على المسلمين بأن يردوا الى قريش من يأتيهم منها بدون رغبة أولياء أموره ، ان زاد عدد الذين دخلوا في الاسلام من أبنائها وأبي المسلمون ايواهم في المدينة وفاء بعهدهم ، عن الستين ، وحيث ان هؤلاء يأنفون البقاء معها فقد ألفوا عصاية قوية منهم جعلت دأبها الغارة على قوافلها ، ومتاجرها ورجالها في أسفارهم فضايقوها وكادوا يعرقلون حركتها فلم تجد مناصا من الالتجاء الى الرسول ﷺ تسأله أن يؤوى هؤلاء ويستقدمهم ويكف اذاهم فأرسل اليهم فجاءوا وانضموا الى اخوانهم المسلمين فكان فوزا جديدا لهم كما أقاموا بعملهم هذا برهاناً على وفائهم بعهودهم وتمسكهم بها



مسجد الحديدية (الشميس) التي لاجياء ذكرى بيعة الرضوان

Faint, illegible text at the top of the page, possibly bleed-through from the reverse side.



Faint, illegible text on the left side of the page, possibly bleed-through from the reverse side.

التبشير بالاسلام في خارج الجزيرة

كتب النبي ﷺ الى رؤساء الدول المجاورة

أدرك المسلمون في خلال ست سنوات من النتائج المادية والأدبية مالم يكن يخطر لأحد ببال أن يدركوها يوم وصول مهاجريهم الى دار هجرتهم الجديدة ، فقد حققوا الاغراض الآتية :

١ - قضوا على النفوذ اليهودى في منطقة المدينة واستولوا على ممتلكات اليهود وأراضيمهم وغنموا أسلحتهم وأموالهم

٢ - ضربوا قريشا ضربة كبيرة في بدر واستولوا على عدد من قوافلها ، وحازوا جانبا من أموالها ، وعرفلوا تجارتها مع الشام وكانت تعول في معاشها على هذه التجارة وكادوا يقطعونها

٣ - وقفوا أمام أعظم جيش عرفه الحجاز (جيش الاحزاب) في تاريخه العسكرى مدة ٢٢ يوما فارتد خائبا مدحورا

٤ - نشروا نفوذهم السياسى والعسكرى في المناطق المحيطة بالمدينة وسيروا البعوث العسكرية الى الغرب والشرق والشمال ، ووصلوا الى دومة الجندل (أراضى الرومان) وأخضعوا بنى كلب

٥ - أنشأوا جيشا عسكريا قويا أثبت كفاءته في المعارك التى خاضها وبعد ما كان عدده لايتجاوز الستين في السنة الأولى للهجرة والثلاثمائة في السنة الثانية بلغ ثلاثة آلاف في السنة الخامسة

٦ - قصدوا مكة في السنة السادسة للهجرة وعددهم يقدر بالمئات ومعهم النياق للهدى والصدقة يقومون بمظاهرة سياسية كبيرة فضلا عن الغرض الديني ، ويهددون قريشا في عقر دارها ، ويستخفون بها ولم يرجعوا الا بعد أن اعترفت بهم وعقدتهم وعاملتهم على قاعدة المساواة ، لافاضل ولا مفضول ، ولا قوى ولا ضعيف

ورأى النبي ﷺ بعد أن أدرك هذه النتائج المادية العظيمة الشأن ، وبعد ما أمن جانب قريش ، وقضى على نفوذ اليهود - وقد اتحدت هاتان القوتان عليه ، وكان يخشى منهما على الاسلام ، ولم تبق في الحجاز قوة عسكرية ، أو كتلة سياسية يخشى بأسها ويرهب جانبها - ان يعمل على نشر الاسلام في انحاء جزيرة العرب وفي خارجها كما نشره في الحجاز وان يتصل برؤساء الدول والحكومات فيدعوهم الى الدخول في دينه ، واتباع طريقته ، والاهتداء بهديه ، لاعتقاده ان رسالته عامة لا تختص بقبيل دون قبيل ، ولا بأمة دون أمة

وهذه أسماء الدول والممالك التي كاتبها وخطب ملوكها وامراءها داعيا إياهم الى

الاسلام :

- ١ - قيصر الروم
- ٢ - كسرى الفرس
- ٣ - عظيم القبط
- ٤ - نجاشي الحبشة
- ٥ - ملك غسان
- ٦ - صاحب اليمامة (نجد)
- ٧ - صاحب البحرين

هؤلاء هم الملوك والامراء الذين كتب اليهم ونحن مثبتون نص الكتب المرسلة الى كل منهم ، وأسماء الرسل الذين حملوها والجواب الذي اجاب به كلا منهم ، وواصفون المعاملة التي عاملوا الرسل بها

ولا تملك ناصريحا أو قرينة قاطعة نستعين بها على ذكر اسم اليوم الذي أرسلت فيه هذه الكتب أو كتبت فيه على الأقل ، وكل ما لدينا من أقوال المؤرخين القدماء - ولم يكونوا يعنون باثبات مثل هذه التفاصيل - ان الرسول ﷺ بعد ما كتب الكتب الى ملوك البلاد المجاورة على أثر منصرفه من الحديبية ، وكان ذلك في أواخر السنة السادسة للهجرة ، كان ينادى المسلمين من منكم يذهب الى البلاد الفلانية ويذكر اسمها فيتطوع احدهم ، ويكون من الذين سبق لهم ان زاروا تلك البلاد وجاسوا خلالها ، فيحمل الكتاب ويمضى به ، مع العلم بانه اختار بنفسه عددا من الذين حملوا كتبه وابتدعهم لهذه المهمة لمؤهلات عرفها فيهم ولخبرتهم الزائدة في شؤون البلاد التي خصهم بالسفر اليها

١ - كتابه الى قيصر الروم

كان يجلس على عرش الروم (الرومان) حين ظهور الاسلام الامبراطور هرقلوس (Héraclius) ويسميه العرب هرقل ، وكان في الاصل من كبار قوادهم العسكريين ، وقد قهر الفرس في معارك شديدة دارت بينهم وبينه وردهم الى ما وراء حدودهم واسترد منهم خشبة الصليب المقدسة وقد انتزعوها من مكانها في بيت المقدس حينما استولوا عليه في سنة ٦١٤

وكان هرقلوس ، حين ارسال كتاب الرسول ، يقيم في حمص وقد جاءها من انطاكية ، عاصمة الروم السياسية والعسكرية في الشام يومئذ ، وكان معتزما السير على قدميه الى بيت المقدس شكرا لله على ما اولاه من نصر وتوفيق وحمل دحية بن خليفة الكلبي ، كتاب قيصر ، وكان من الخبيرين باحوال القوم ، وقد امر بان يقصد بصرى ويقابل الحارث بن أبي شمر الغساني (ملك غسان) ويوسطه في اصال الكتاب الى الامبراطور ، فقابله فانتدب عدى بن حاتم لمرافقته فسار معه الى القدس وقدمه الى قيصر فسامه الكتاب وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم
 « من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم
 « السلام على من اتبع الهدى . اما بعد فاسلم تسلم . واسلم يؤتكَ الله اجرِكَ
 مرتين وان تتول فان اثم الاكارين عليك » اى اثم شعبك الذى يطيعك
 ووضع هرقل الكتاب بين نَفْذِهِ وخاصرته واكرم الرسول واعاده من دون
 أن يرسل جوابا معه

٢ - كتاب الى كسرى

وحمل كتابه الى المداين (عاصمة الفرس يومئذ) عبد الله بن حذافة السهمي
 وكان يتردد على بلاد الفرس ، ويعرف شؤونهم فانطلق حتى بلغها وسامه الى الملك
 واسمه يومئذ خسرو ابرويز وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم
 « من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس
 « سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وانى
 رسول الله الى الناس كافة لينذر من كان حيا . اسلم تسلم فان ابيت فعليك اثم
 المحجوس »

فلما ترجم الكتاب له مزقه وصرف الرسول وكتب الى باذان عامله فى صنعاء
 بان يبعث رجلين اشداء من عنده الى المدينة فيأتیان به . فاسلما هذا مع كتاب
 الى الرسول يأمره بأن ينصرف معهما الى المداين فلما قدما عليه ابلاغاهما
 جاء ليذهبا به الى كسرى وطلب اليه ان يستعد للسفر معهما ، فاخبرهما انه قتل
 وان ابنه شيرويه هو الذى قتله واخذ الملك مكانه فعادا الى صاحبهما فى صنعاء فاخبراه
 بالخبر وبعد قليل جاءه كتاب من شيرويه يقول فيه « انظر الرجل الذى كتب فيه
 ابى اليك فلا تهجه حتى يأتيك امرى »

٣ - كتابه الى المقوقس

وحمل حاطب بن ابى بلتعة كتابه الى المقوقس عظيم القبط في مصر وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« من عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط

« سلام على من اتبع الهدى ، اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم

يُوتِكَ اللهُ اجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَانْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ اِثْمُ كُلِّ الْقَبْطِ ﴿ يَا هَلْ الْكِتَابِ تَعَالَوْا

إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٌ بَيْنِنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ

بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿

وسلم حاطب الكتاب الى المقوقس فى الاسكندرية فضمه الى صدره ودعا كاتباً

يكتب له بالعربية فارسل اليه - كما يقول بعض المؤرخين - كتاباً ودياً

واكرم المقوقس رسول النبي وقيل انه اجازته بمائة دينار وخمسة اثناب ، وارسل

معه الهدايا الآتية :

١ - مارية بنت شمعون وكانت امها رومية ويقال انها كانت من اجمل نساء

مصر

٢ - سيرين

٣ - قيسر

٤ - بريرة (جارية سوداء)

٥ - هابو (غلام اسود)

٦ - بغلة شهباء سميت دلال

٧ - فرس ملجم سمي ميمون

٨ - حمار اشهب سمي يعفور

٩ - مربعة فيها مكحلة ومرآة ومشط وقارورة دهن ومقص وسواك

١٠ - كمية من العسل

١١ - ألف مثقال من الذهب

١٢ - عشرون ثوبا من قباطي مصر

١٣ - كمية من العود والند والمسك

١٤ - قدح من قوارير

وقد أسلمت مارية قبل وصولها الى المدينة كما اسلمت سيرين فتزوج النبي الاولي
ووهب الثانية لحسان بن ثابت الشاعر وولدت مارية للنبي ابراهيم وهو الذكر الوحيد
الذي ولد له صلى الله عليه وسلم ولم يعيش طويلا

٤ - كتابه الى النجاشي

وحمل عمرو بن امية الضمري كتابه الى نجاشي الحبشة واسمه اصحمة فحاء
اكسوم عاصمة الاحباش القديمة وسامه الكتاب وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد رسول الله الى النجاشي الاصحم ملك الحبشة . سلم انت فاني احمد
اليك الله الملك القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، وأشهد ان عيسى بن مريم
روح الله و كلمته ، القاها الى مريم البتول ، الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى من روحه
ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاته
على طاعته ، وان تابعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله وقد بعثت اليك ابن
عمي جعفرنا ونفرا معه من المسامين فاذا جاءك فاقهرهم ودع التجبر فاني ادعوك
وجنودك الى الله فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى » (١)
وقد نشر بعض المؤرخين المسامين صورة كتاب زعم ان النجاشي اجاب به
على الكتاب المرسل اليه معلنا قبوله الدعوة ودخوله في الدين الاسلامي ، وليس هنالك

(١) يدل هذا الكتاب على انه كتب قبل هذا التاريخ اي في زمن هجرة جعفر
واحابه وكان ذلك قبل انتقال المسامين الى المدينة وهو ما يدعو الى الشك في صحته

دليل تاريخي او مادي يؤيد هذه الرواية ولذلك اغفلنا نشر الكتاب ولو كان
ما يروونه من اسلامه صحيحا لظهر اثره في قومه الاحباش وقد كانوا ولا يزالون على
دين النصرانية

٥ - كتابه الى ملك غسانه

وحمل شجاع بن وهب الاسدي كتابه الى الحارث بن ابي شمر الغساني وهذا
نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد رسول الله الى الحارث بن ابي شمر

« سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله فاني ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده

لا شريك له يبقى ملكك »

ولما تسلم الكتاب وقرأه رمى به وقال من ينتزع مني ملكي انا سائر اليه ولو
كان باليمن جئته . على بالناس ولم يزل جالسا حتى الليل ، وامر بالخيول ان تنعل . ثم
دعا بالرسول وقال اخبر صاحبك بما ترى

ويقال في رواية اخرى انه اراد غزو المدينة وكتب بذلك الى هرقلوس

يستأذنه فأجابه بعدم الموافقة

٦ - كتابه الى صاحب اليمامة (مجد)

وارسل سليط بن عمرو العامري الى هوزة بن علي الحنفي صاحب اليمامة يحمل

كتابه وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد رسول الله الى هوزة بن علي . سلام على من اتبع الهدى واعلم ان

ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم وأجعل لك ماتحت يدك »

واجاز هوزة الرسول بجائزة وكساه اثوابا ورده ردا لطيفا

٧ - كتابه الى صاحب البحر

و بعث العلاء بن الحضرمي بكتاب الى المنذر بن ساوى صاحب البحرين يدعوه الى الدخول فى الاسلام فاسلم
وهكذا اتصل بملوك زمانه وامرائه الذين يجاورون بلاد العرب وعمم دعوته ونشرها، واذاع خبرها، فتحدث بها الناس فى كل مكان وعرفها القريب والبعيد

لماذا لم تفتح الحبشة

ومما يستحق الذكر بوجه خاص ان بلاد جميع الملوك والامراء الذين كاتبهم واتصل بهم، خضعت للمسلمين ودخلت فى دينهم سالما أو حربا، ماعدا الحبشة، فقد فتح المسلمون بلاد كسرى وقيصر وهوران ومصر واليامة والبحرين - وهى البلاد التى كتب اليها، واستولوا عليها. والحبشة هى القطر الوحيد الذى كتب اليه داعيا الى الاسلام ولم يسلم ولم ينفر المسلمون اليه، ولم يحملوا عليه، ولم يفكروا فى فتحه مع انهم حملوا على جميع الممالك الاخرى وأخضعوها تدريجيا ويأوح لنا ان مصدر ذلك ما كان بين الاسلام والحبشة من علاقات ود وثيقة نشأت عن المعاملة الحسنة التى عامل بها الاحباش المهاجرين المسلمين الذين لجأوا اليهم قبل الهجرة هربا من اضطهاد قريش وظلمها، فقد آوهم وأكرموا مشواهم وأبوا أن يسلموهم الى اعدائهم، حينما جاء وفد لها يطالب بهم. يضاف الى هذا ما ذكره بعض الرواة وهو ان النجاشي نفسه (احممة) امهر أم حبيبة بنت أبى سفيان حينما عقد لها على رسول الله ﷺ فى اكسوم، وقد كانت من اللاجئات الى الحبشة، على أثر وفاة زوجها ثم نقلت الى المدينة بعد ذلك وبنى بها، وكانت فى عداد نسائه

وفضلا عن ذلك فقد صلى النبى على احممة نفسه صلاة الغائب حينما نعى اليه، أثبت ذلك البخارى فى صحيحه نقلا عن جابر بن عبد الله فروى ان النبى ﷺ نعى الى أصحابه احممة قائلا: « مات اليوم رجل صالح فقوموا فصاوا على اخيكم احممة »

ويقول جابر أيضا ان النبي صفهم وراءه حينما صلى عليه وانه كان في الصف الثاني
أو الثالث ، وكبر عليه اربعا

وحيث ان صلاة الغائب لا تجوز الا على المسلم فقد ذهب بعض المؤرخين الى
ان اصحمة هذا كان مساما بسبب الصلاة عليه ، وربما أراد النبي من صلاته
عليه ابداء عاطفة طيبة نحو هذا الملك الذي أضاف المسلمين وآواهم ووطأ لهم في بلاده
ومنع الأذى عنهم ، واتبعه خلقاؤه من بعده ، فلم يمدوا يدهم الى الحبشة بسوء بل
أبقوا لها استقلالها وصانوا وحدتها ، وكانوا يعاملون ابناءها معاملة حسنة ، ويكرمونها
ويبرونها ، مكافأة لهم على ما أسدوه من يد بيضاء لآخوانهم وليقيموا الدليل على ان
المسلمين يحفظون الجميل ويكافئون عليه . ولولا ذلك لاتنظمت مملكة اثيوبيا في عداد
الممالك الاسلامية الاخرى المجاورة لها ولدانت للمسلمين ولخضعت لهم كما خضع غيرها .
وما كان امرها ليعجزهم ، وما كانت قوتها لتقف في وجوههم ، بعد ما بسطوا نفوذهم
على مصر والسودان وافريقية وآسيا

فتح خيبر ووادى القرى

ازدادت نقمة اليهود الحجازيين على الاسلام بعد حادث بنى قريظة ، فنشطوا ولا سيما ابناء خيبر - والى خيبر لجأ كثير من بنى قينقاع والنضير - الى مقاومة الاسلام والكيد له والعمل على استنصاله ، بتأليب القوى وجمع الجموع كما فعلوا يوم الاحزاب ، ولم تكن اخبارهم مجهولة عند ولاة الامور فى المدينة ، ولذلك عولوا على ضربهم والتخلص منهم ، واقاموا يتحينون الفرص لتنفيذ خطتهم ، وما كان غزو خيبر بسيطاً ، لوفرة عدد رجالها ، وكثرة سلاحها ، ولمناعة الاراضى التى تنزلها ، ولتعدد حصونها وكانت هنالك سلسلة حصون منيعة احسن اليهود اعدادها وتنظيمها خوف الطوارئ والمفاجآت

ولم يطل المسلمون الاقامة فى المدينة بعد رجوعهم من مكة ، و بعد عقد هدنة الحديبية ، وقد امنوا بعقدها جانب قريش كما قدمنا فتجهزوا لفتح خيبر وهى واقعة فى شمالى المدينة الشرقى وفى طرف الحرة المعروفة باسمها ، فى شهر المحرم من السنة السادسة غادروا عاصمتهم يقودهم زعيمهم الاكبر وعددهم ١٦٠٠ مقاتل بينهم ٢٠٠ فارس

وبلغ الجيش الاسلامى خيبر ليلاً ، فنزل بقرىها ، وصدر الى رجاله الامر بان يناموا ويستريحوا حتى الصباح ، جرى كل هذا واهل خيبر غافلون عما يدبر لهم ، ويراد بهم ، ولذلك فوجئوا بوصول المسلمين وكان اول من شاهدتهم الفلاحون الذين اعتادوا الخروج فى البكور الى اعمالهم فى المزارع والغيطان فصاحوا بقومهم : محمد والخميس (أى الجيش)

وعبأ المسلمون قواهم تعبئة عسكرية منظمة وقسموها الى قسمين : قسم وهو

الاكبر أعد لمهاجمة حصون اليهود واشعال القتال. وقسم وهو الأقل أقيم على الطريق بين خيبر وغطفان لمقاومة هذه وصدها اذا حدثتها النفس - وكانت على عدااء مع المسلمين - بالانضمام الى اليهود وكان لليهود في خيبر سبعة حصون كبيرة مبنية بالحجارة للاعتصام بها والدفاع من ورائها اذا هاجمهم مهاجم . وهذه اسماؤها :

ناعم . القموص . ابى الحقيق . الشق . النطاة . السلام . الوطيح . الكتيبة واحتشد المقاتلة من اليهود حينما وصل المسلمون في داخل حصن النطاة ، وهو في مكان مرتفع وحوله مزارع النخل ، ووضعوا نساءهم واطفالهم في حصن الكتيبة وتقدم المسلمون من حصن النطاة ، فجاء الحباب بن المنذر - وهو الذى أشار يوم بدر بالعدول عن التعبئة الاولى (انظر ص ٥٠) الى النبي ﷺ يقترح عليه التحول من مكانه ويقول : « ان لى بأهل النطاة معرفة ، وليس قوم ابعد مدى منهم ولا اعدل رمية ، وهم مرتفعون علينا ولا نأمن من مفاجأة يفاجئوننا بها ، يأتوننا من بين النخل » ولم يتردد النبي في الأخذ برأيه فتحول وتحول الناس الى مكان اضلح واولق

وامر النبي ﷺ بقطع شجر النخيل المحيط بالنطاة لان كثرته تحول دون اجراء الحركات العسكرية فقطعوا نحو ٤٠٠ نخلة فخرج اليهود لقتالهم فدارت معركة عنيفة بين الفريقين اشترك فيها النبي ﷺ بالذات وقاتل أشد قتال واتتهت المعركة ولم ينل أحد من الفريقين منالا ، واستؤنف القتال في الغداة وتكرر في اليوم الثالث والرابع والخامس وأهل الحصن ثابتون يخرجون للقتال في النهار ويلجأون اليه في الليل

وجاء في جوف الليلة السادسة يهودى من اهل خيبر الى النبي ﷺ وقال له انه خرج من حصن النطاة وان رجال حاميته يتسللون منه في تلك الليلة ويذهبون الى حصن الشق فيجعلون فيه ذرارهم ويتهاون للقتال . ولم يشترك النبي ﷺ في القتال الذى دار في اليوم السادس لوجع اصابه في رأسه

ودعا في اليوم السابع بعلي بن ابي طالب وسامه الراية وامره ان يقاتلهم فقال
أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم
الى الاسلام فان لم يطيعوا لك فقاتلهم ء فوالله لئن يهدى الله بك رجلا خير لك من
حجر النعم

وخرج على حتى ركز الراية تحت حصن النطاة ، وكان الحارث اخو مرحب
وهو من كبار شجعان اليهود اول من خرج للقائه فقتله فخرج اليه اخو مرحب فقتله
ايضا ، وخرج ياسر اخوهما فخرج اليه الزبير بن العوام وقتله ثم حمل المسلمون على
الناعم ففتحوه ثم القموص وتتابع الفتح بعد ذلك فسقطت حصونهم الواحد بعد الآخر
ولم يبق سوى الوطيح والسلام وقد اقام المسلمون على حصارهما اربعة عشر يوما وارسل
اليهود الى النبي ﷺ بعد ذلك يعرضون عليه الصلح ، لانهم تبينوا عدم فائدة
المقاومة وعرفوا ان المسلمين يستعدون للقيام بهجوم عام عليهم ، فدارت مفاوضات بين
الفريقين انتهت بالاتفاق على القواعد الآتية :

١ - يحقن المسلمون دماء المقاتلة من اليهود ويتركون الذرية

٢ - يجلبوا اليهود عن خير وارضيا بذرارهم

٣ - لا يأخذ احدهم أكثر من ثوب واحد

٤ - تكون ذمة الله تعالى ورسوله محرمة منهم ان كتموا شيئا

وهكذا تم الصلح واستولى المسلمون على خير وجلا عنها اليهود الا بعضهم

وتركوها بين يدي الفاتحين وهذا بيان الغنائم التي غنموها :

١٠٠٠ رمح

١٠٠ درع

٤٠٠ سيف

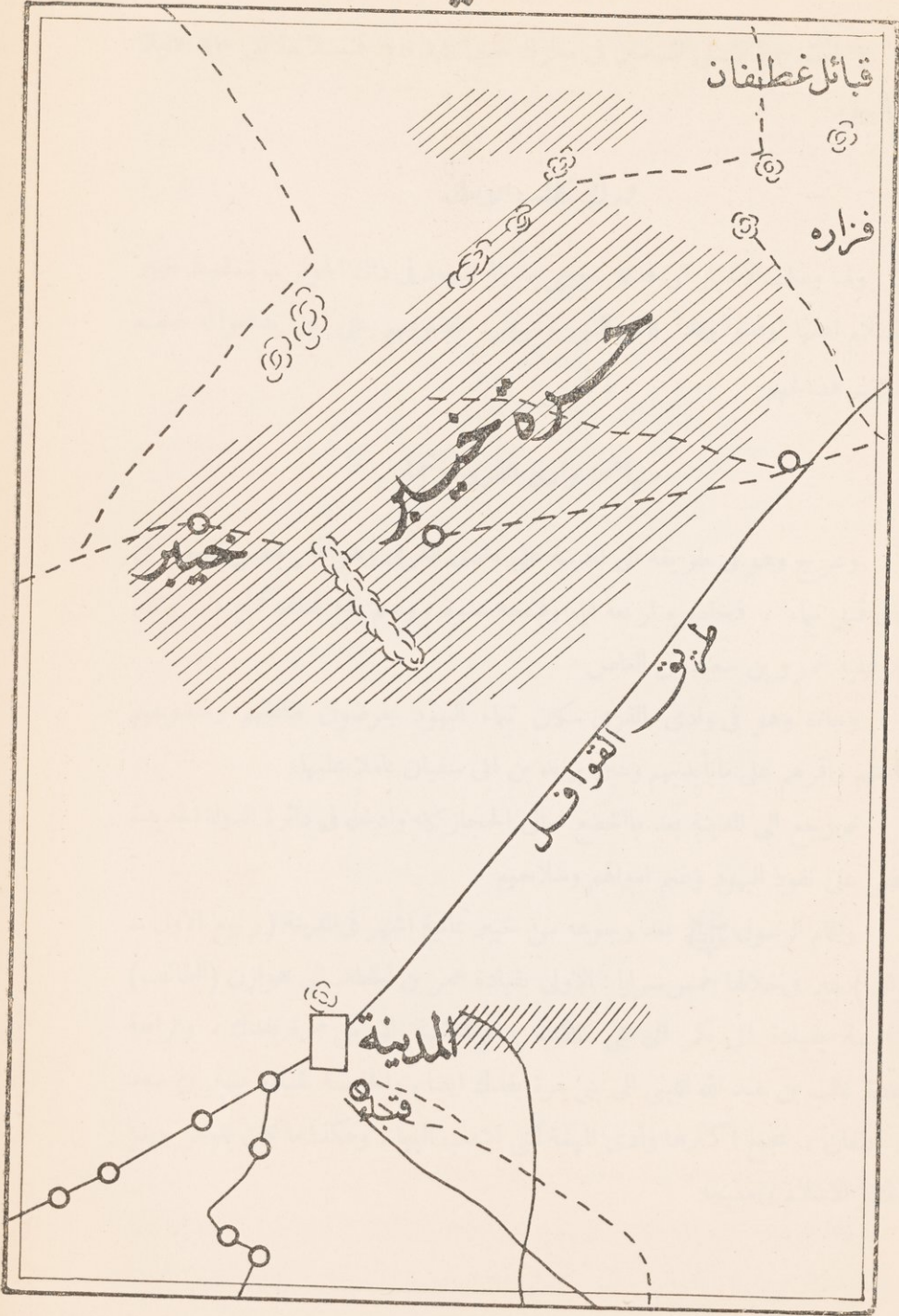
٥٠٠ قوس

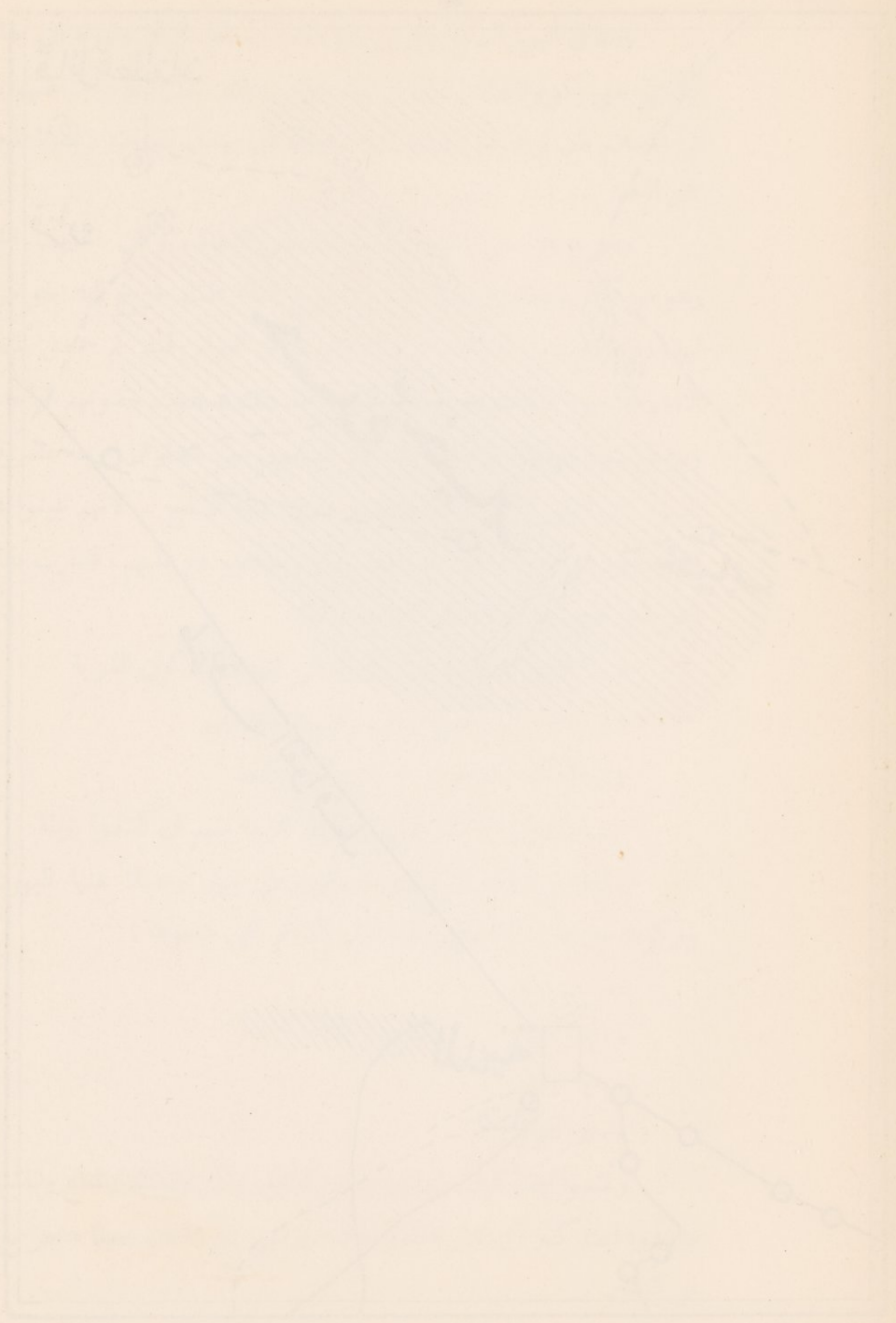
وغنموا ايضا كميات كبيرة من الشعير والتمر والودك والتناع والماشية وغيرها .

واخذوا ايضا كنز آل ابي الحقيق وقد حمه حي بن اخطب حينما هاجر مع قومه من

بني النضير

خيبر





و بلغت حملة قتلى المسلمين في معارك خيبر كلها ١٥ قتيلا مقابل ٩٣ قتيلا
من اليهود

فدك تطلب الرومان

ولما وصلت الاخبار الى فدك - وهي مدينة لليهود في ذاك الجوار - بسقوط خيبر
واستسلام اهلها اوفدوا وفدا قابل النبي وعرض خضوعهم على ان يدفعوا له نصف
حاصلاتهم فصالحهم

مرهاجمة وادي القرى وتبما

وعرج وهو في طريقه الى المدينة على وادي القرى وهو آخر حصن لليهود في
الشمال قبل تبما ، فحاصره اربعة ايام وفتحته عنوة ، وغنم منه غنائم كثيرة ، واقام
عاملا عليه عمرو بن سعيد بن العاص
وجاءه وهو في وادي القرى سكان تبما اليهود يعرضون طاعتهم وخضوعهم
فصالحهم واقربهم على ما بأيديهم وعين يزيد بن ابي سفيان عاملا عليها
ثم رجع الى المدينة بعد ما خضع شمالي الحجاز كله وادخله في دائرة الدولة الجديدة
وقضى على نفوذ اليهود وغنم اموالهم وسلاحهم
واقام الرسول ﷺ بعد رجوعه من خيبر ثمانية اشهر في المدينة (ربيع الاول -
شوال) سير في خلالها خمس سرايا : الاولى بقيادة عمر بن الخطاب الى هوازن (الطائف)
والثانية بقيادة ابي بكر الى بني كلاب ، والثالثة الى بني مرة بفدك ، والرابعة
بقيادة غالب بن عبد الله الليثي الى بني مرة بفدك ايضا . والخامسة بقيادة بشير بن سعد
الى غطفان ، نجح اكثرها وأدى المهمة التي اتتدب اليها . وهكذا ما كان يدخر جهدا
في نشر الاسلام وتعميمه

١٥ فتح مكة

انقضى العام الاول لصلح الحديبية او كاد ، وجاء زمن العمرة فامر الرسول
المسلمين ان يتهيؤوا لزيارة مكة وان لا يتخلف احد ممن شهد الحديبية وخرجوا
ومعه غيرهم حتى بلغ عددهم الالفين - كما قالوا وذلك في شهر ذى القعدة للسنة السابعة -
يسوقون ٦٠٠ ناقة للهدى ، وقد تسلح منهم ١٠٠ فارس ألفوا الطليعة ، وحملوا سلاحا
خوف غدر او خيانة واستعدادا للنضال اذا حدث ما يستوجبه

ولئن لم يعارض المكيون في دخول المسلمين الى مدينتهم كما فعلوا في المرة الاولى ،
فقد قاطعوهم مقاطعة اقتصادية واجتماعية فلم يبيعوهم ولم يشتروا منهم ولم يتصلوا بهم
وجلا بعض المكيين الى جبل قعيقعان كما لزم البعض الآخر منازلهم فلم يخرجوا
منها لثلا يتصاوا بالمسلمين او يحتكوا بهم ولعل زعماء قريش خافوا ان يؤثر القادمون
من المكيين في اخوانهم وابناء عمومهم وآلهم المتخلفين ويستميلوهم اليهم فارادوا
من هذا التدبير ان يقطعوا الطريق عليهم ويناموا مرتاحين فكان لهم ما ارادوا
ولم يشأ النبي ان يدخل مكة بكل من معه من الرجال خوف المفاجأة والغدر
فاقام ٢٠٠ منهم مسلحين بالسلاح الكامل في بطن يابجج (مكان قرب مكة)
وامرهم بان يكونوا على تمام الاهبة والاستعداد فيسرعوا الى نجدة اخوانهم اذا
حدث حادث

واصطف بعض المكيين من الزعماء والرؤساء عند دار الندوة (قرب الكعبة)
لرؤية المسلمين عن كثب حين طوافهم ، ودخل النبي مكة للمرة الاولى بعدما هجرها
يحيط به انصاره ورجاله ، وقد اخذ عبد الله بن رواحة شاعر الانصار بخطم ناقته
وبعد ما اتم هو واصحابه الطواف والسعي نحر هديه عند المروة وحلق ايذانا

باتمهء العمرة ثم امر مائتين من رجاله الذين قضوا مناسكهم بأن يذهبوا الى جروم
 (بطن ياجج) فيجلوا محل اخوانهم فيأتي هؤلاء لاداء مناسكهم ففعلوا
 وانقضت الايام الثلاثة التي سمح للمسلمين بان يقضوها في مكة عملا باحكام المادة
 الثالثة من اتفاق الحديبية ، فجاءه ظهر اليوم الرابع سهيل بن عمرو (بطل معاهدة
 الحديبية ومندوب قريش في عقدها وتوقيعها) وحويطب بن عبد العزى وناشده
 العهد بان يخرج من ارضهم عملا بالاتفاق ، فأمر رجاله بالرحيل فرحلوا وعادوا الى
 المدينة سالمين من دون أن يحدث لهم حادث . ولا ريب ان دخولهم على قريش في
 غيلها ، وظهورهم بما ظهر وا به من القوة اثر في نفوس الكثيرين من انبائها وعجل
 في خضوعها للمسلمين فانه لم يكده ينقضى عام على العمرة حتى كان كل شيء قد انتهى
 وحتى دخلت مكة في حوزة المسلمين وخضعت قريش لهم وعلت كلمتهم في الحجاز
 واصبحوا اصحاب الامر والنهي في ربوعه

و بيان ما حدث انه لما عقد اتفاق الحديبية ، وخيرت القبائل الضاربة حول مكة
 في الانضمام الى احدى الفئتين (انظر ص ١١٩) انحازت خزاعة الى المسلمين
 (وكانت تنزل باسفل مكة عند بئر يقال له الوثير) ودخلت في عقدهم وانحاز بنو
 بكر بن عبد مناة الى قريش ودخلوا في عقدها ، وكان بين هاتين القبيلتين خلاف
 قديم وثارات مطلوبة

واغتتم نوفل بن معاوية الديلي (من بنى ديل من بنى بكر) فرصة الهدنة وقعود
 الناس عن الحرب ، فأعد عدته لمهاجمة خزاعة طلبا لثأر قديم له عندها ، وباغتها
 ذات ليلة على بئر الوثير (اسفل مكة) فدار قتال بين الفريقين قتل فيه خزاعي واحد
 واستؤنف القتال في الغداة بين الفريقين فامدت قريش احلافها من بنى بكر بالسلاح
 والرجال ، ويقال ان بعض زعمائها اشترك في القتال متخفيا لئلا يتهم بنقض العهد
 وفقدت خزاعة في هذه المعارك ٣٠ قتيلا وقيل اكثر

ولما وصلت الحالة الى هذه الدرجة من الخطورة ، قصد عمرو بن سالم الخزاعي
 المدينة ومعه احد بنى كعب ، ليستنجد حلفاءه المسلمين وليذكروا لهم عمل قريش

ومهاجمتها اياهم ونقضها العهد وتبعه ايضا بديل بن ورقاء كبير بنى خزاعة مع وفد من قومه فقابلوا الرسول واطلعوه والمسلمين على ما حدث لهم بالتفصيل

ورأت قريش أن تتدارك الامر وان تزيل ما تركته زيارة الخزاعيين للمدينة من اثر في نفوس المسلمين فاتتبت ابا سفيان لزيارتها فيسعى لحل الخلاف ساءا، ولابقاء عهد الحديبية نافذا محترما ويمد مدته اذا امكن فقد ذاقت (قريش) بواسطته طعم الهدوء والراحة بعد ما حرمتها طويلا فعكفت على العناية بتجارها ومصالحها الاقتصادية ولا تنمو التجارة الا في ظل الهدوء والسكينة

ووصل ابوسفيان المدينة وقصد منزل كريمته ام حبيبة زوج النبي وقد تزوجها مدة اقامتها مهاجرة في الحبشة ثم دخل عليها بعد وصولها الى المدينة في جمادى الاولى من السنة السابعة للهجرة، فاستراح قليلا ثم اتى المسجد فزار النبي وكله فيما جاء لاجله وعرض عليه ان يمد اجل الهدنة واعتذر عما حدث من بكر وخزاعة فاعرض عنه وابى ان يجيبه ويناقشه فزار ابا بكر ورجاه ان يتوسط لاصلاح ذات البين فرفض فقصد عمر بن الخطاب مستشفعا فرفض التدخل وانكر عليه ان يزوره لمثل هذا الامر وهو المعروف بشدة عداوته لقريش وقال له والله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به فخرج حتى جاء على بن ابي طالب وكله كلاما رقيقا لينا لاثارة عاطفته وقال له انك امس القوم بي رحما وانى قد جئت في حاجة فلا ارجع كما جئت خائبا فاشفع لى عند محمد فاجابه معتذرا

والتفت ابوسفيان الى السيدة فاطمة وكانت تشهد المجلس وامامها ابنا الحسن وكان لا يزال طفلا يدب بين يديها ورجاها ان تأمر ابنا (الحسن) ان يجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فاعتذرت اليه وقالت ما يجير احد على رسول الله وسأل ابوسفيان عليا ان ينصحه في الخطة التي يسير عليها بعد ما أقفلت في وجهه الابواب وضقت عليه السبل، فأشار عليه أن يقوم بنفسه في المسجد فيجير بين الناس بصفته سيد كنانة وزعيمها. ثم يعود الى مكة. ففعل ما اشار به عليه ثم عاد الى قومه فقص عليهم ما وقع فادركوا انه فشل في مهمته وعرفوا ان المسلمين

لن يسكتوا عنهم، وقد جاءت الحوادث مؤيدة لما توقعوه فقد اصدر الرسول على أثر سفر
ابى سفيان امرا بالتعبئة العامة و اشار بان تكون « سرية » كما امر باقامة حراس على
الطرق المؤدية الى مكة فلا يفلت احد ولا يصل الى قريش خبر

الزحف على مكة

ولما اتم تعبئته غادر المدينة يوم ٨ وقيل ١٠ رمضان من السنة الثامنة للهجرة
يقود جيشا مسلحا منظما موحد القيادة والغاية يبلغ عدد رجاله سبعة آلاف مقاتل وقيل
عشرة آلاف وقيل اثني عشر الفا وهذا بيان عنهم مأخوذ من السيرة الحلبية :

٧٠٠ مهاجر

٤٠٠٠ انصارى

١٠٠٠ من مزينة

٤٠٠ من اسلم

٣٠٠ من جهينة

وكان في هذا الجيش ٩٨٠ فرسا موزعة كما يأتي : ٣٠٠ للمهاجرين و ٥٠٠
للانصار و ١٠٠ من مزينة و ٣٠ لاسلم و ٥٠ لجهينة . ويقول ابن هشام انه غادر المدينة
يقود عشرة آلاف ، ولا يدخل في هذا الاحصاء الذين انضموا اليه في اثناء الطريق من
اسلم وغفار واشجع وسليم ، وقد ارسل يستنفرهم ويقدرون عند بعض المؤرخين بالالفين
اى ان مجموع الجيش عند هؤلاء اثنا عشر الفا لعشرة كما ذهب اليه ابن هشام ولا
سنة آلاف وار بعامة كما اثبت صاحب السيرة الحلبية وسلك المسلمون الطريق السلطاني
المعروف في زحفهم

النزول بمر الظهران

وواصل هذا الجيش اللجب تقدمه وسار يطوى الفيافي والقفار والمسلمون صائمون
وهم جد حريصين على كتمان امرهم واخفاء خبر مسيرهم حتى وصل الى مر الظهران

(واد كبير تتجمع سيوله من جملة شعاب واودية شمالي وشرقي مكة وينحدر سيلاه غربا فيسقى جميع المزارع في وادي فاطمة ويبعد عن مكة ٣٠ كيلومترا) فاستقر فيه وضرب مخيمه استعدادا للعمل العظيم الذي ينتظره

تراير قريش

وغم على اقطاب قريش امر المسلمين وانقطعت اخبارهم عنهم - ولما كانوا واثقين من انهم لن يقعدوا عنهم وانه لا بد لهم من الانتقام منهم لغزوهم خزاعة فقد اقلقهم جهل ما يدبر في المدينة

وغادر ابو سفيان مكة في الليلة التي نزل فيها المسلمون مر الظهران ومعه حكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء لتجسس الاخبار وسؤال الركبان عن حالة المسلمين وقال لصاحبه وقد استوقفت نظره النيران التي اضرمتها المسلمون بمر الظهران انه مارأى نيرانا كالنيران المشبوبة الليلة فأجابه بديل لعلها نيران خزاعة - ان خزاعة اقل من ان تكون هذه نيرانها

وادركهم العباس بن عبد المطلب وقد ازمعوا الرجوع الى مكة ، وكان العباس قد خرج مهاجرا الى المدينة للانضمام الى ابن اخيه ، فالتقى به في الطريق وعاد معه ، فنادى ابا سفيان فوقف له وقال له ما وراؤك

- هذا رسول الله في الناس

- ما الحيلة ؟

- انصحك بان تركب عجز هذه البغلة ورائي (وكان يركب بغلة رسول الله)

فآتبه بك واستأمن لك

- موافق

واردف العباس ابا سفيان وجرت بهما البغلة حتى وصلا خيمة النبي فنزلا عنها واسرعا فدخلا عليه وكان عمر بن الخطاب يعدو وراءهما محاولا قتل ابي سفيان قبل ان يدخل خيمة الرسول فيجيره فلم يحصل ذلك بين عمر وبين اقتحام الخيمة

فأخذ العباس برأس ابى سفيان وقال يارسول الله اننى اجرته وهو فى جوارى
وطال الجدل بين العباس وعمر بن الخطاب هذا يلح فى قتله وذاك ينادى بانه
اجاره واخيرا امر الرسول العباس وكان يسمع ما يدور بينهما بان يبقيه عنده حتى الغداة
لبيت فى امره

وجاء العباس فى الغداة بأبى سفيان فلما دخل عليه بادره بقوله
- ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم انه لا اله الا الله ؟
- ما احملك وما اكرمك واوصلك والله لقد ظننت انه لو كان مع الله إله آخر
لاغنى عنى شيئا

- الم يأن لك ان تعلم انى رسول الله ؟
- اما هذه فوالله ان فى النفس منها شيئا حتى الآن
فتدخل العباس وقال له ويحك اسلم قبل ان تضرب عنقك فاسلم
واقترح العباس على ابى سفيان بعد ما دخل فى الاسلام و بعد ما تقرر زحف
المسلمين على مكة ان يسرع بالرجوع اليها فيتوسط لتستسلم من دون حرب ولا قتال
حقنا للدم ولانه لاطاقة لها بالمقاومة فانطلق فدخلها فصرخ بأعلى صوته قائلا :
يامعشر قريش : هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فاسلموا
فصاحت زوجته هند فى وجهه وشتمته ونادت بقومها قائلة :
اقتلوا الخبيث

فقال لهم « ويلكم لاتغرنكم هذه من انفسكم فانه قد جاءكم بما لا قبل لكم
به ، فادخلوا دار ابى سفيان فمن دخلها فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن
اغلق بابه فهو آمن »

فتفرق الناس على الفور وقد قذف فى قلوبهم الرعب وجنحوا الى التسليم فقصد
فريق المسجد (الكعبة) فلجأ اليه واعتصم آخرون فى بيت ابى سفيان وآوى
آخرون الى بيوتهم

كيف دخل المسلمون مكة

عبأ المسلمون جيشهم من الصباح تعبئة عسكرية، استعدادا لدخول مكة واعدوه على منوال جعلهم يحيطون بها من جميع الاطراف فقاد على بن ابي طالب الطليعة وتلقى امرا بان يدخل من كداء، وقاد الزبير بن العوام الجناح الايسر، وخالد بن الوليد الجناح الايمن وامر بان يدخل من الليط (اسفل مكة) وقاد عبيدة بن الجراح القلب. وقاد الرسول بنفسه الساقة (مؤخرة الجيش) وركز رايته على الحجون (اعلى مكة) وركب ناقته القصواء وتعمم بعمامة سوداء ولبس ملابس الاحرام

واصدر قبل الزحف، اوامره الى قادة الجيش وامرائه بان لا يقتاتوا الا من قاتلهم وان يعفوا عن من يستسلم اليهم واستثنى من ذلك احد عشر رجلا واربع نساء، امتازوا بعدائهم الشديد للاسلام فهدر دماءهم وامر ان يقتلوا ولو وجدوا متعلقين باستار الكعبة وهذه اسماء الرجال منهم:

عبد الله بن خطل وعبد الله بن ابي سرح بن الحارث العامري وعكرمة بن ابي جهل والحويرث بن نقيد ومقيس بن صبابه وهبار بن الاسود بن المطلب وكعب بن زهير بن ابي سلمى المزني والحارث بن هشام المخزومي وزهير بن ابي امية المخزومي وصفوان بن امية بن خلف الجمحي ووحشى بن حرب وهذه اسماء النساء:

سارة مولاة لبني المطلب بن عبد مناف وهند بنت عتبة زوج ابي سفيان ام معاوية وفرتنا وقريبة وهما قيتان لعبد الله بن خطل، وقد عفى عن اكثر هؤلاء بعد ذلك ولم يقتل منهم سوى الاول والرابع والخامس فقط وقتلت من النساء قريية فقط وعفى عن الباقيات

مقاومة بسيطة

وحاول فريق من قريش تجمعوها في الخندمة (اسفل مكة) بقيادة صفوان بن

امية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن ابى جهل المقاومة فصدتهم خالد بن الوليد وهزمهم
بعد ماقتل ١٢ منهم

ولما انتهت المقاومة وتم الاستيلاء على جميع الاطراف مشى النبي على ناقته
وانطلق حتى اتى الكعبة فطاف سبعة اشواط وصلى ركعتين شكرا لله على
ماؤلاه من نصر وتأيد . وبعد ماسلم مفاتيح البيت وقف على بابه ، وكانت قريش
مجمتعة فى الصفا فقال : لا إله الا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده
، وهزم الاحزاب وحده ، الا كل مأثرة اودم او مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا
سدانة البيت وسقاية الحاج

يامعشر قريش :

ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وادم
خلق من تراب . يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا

يامعشر قريش ويا اهل مكة ماترون انى فاعل بكم ؟

- خيرا ، اخ كريم وابن اخ كريم

- اذهبوا فاتم الطلقاء

وكان فتح مكة يوم ٢٠ رمضان للسنة الثامنة من الهجرة . وهكذا سقط آخر
معقل للوثنية فى الحجاز فانهارت بانهاره وتقلص ظلها

تأريخ فتح مكة

والواقع ان فتح مكة على هذا المنوال ، لم يك خاتمة النضال بين المسلمين وقريش
وحدهما وقد امتد ٢١ سنة تقريبا ١٣ قبل الهجرة و٨ بعدها بل كان خاتمة النضال فى
بلاد العرب ووسيلة لاتساع نطاق الاسلام وانتشاره فى داخل الجزيرة وفى خارجها ،
فلم يطل المطال على قبائل شرقى الحجاز - وكانت تلتزم الحياد فى العراك الدائر بين المدينة
ومكة - حتى اقبلت وفودها تتسابق الى المدينة ، تعلن اسلامها وانضمامها الى الدولة

الجديدة بمحض ارادتها واختيارها ومن دون ضغط او ارهاب ، لانها ادركت
عدم فائدة القعود والتردد

ويمكن القول ان فتح مكة انتج النتائج الآتية :

١ - قضى على الوثنية والشرك في جزيرة العرب وعلى نظم الجاهلية وتقاليدها
وعاداتها وابدلها بدين التوحيد وانشأ لها نظماً وعادات وتقاليد جديدة سعدت بها
وارتقت

٢ - قضى على الحكم الاقطاعى في جزيرة العرب واقام مقامه دولة موحدة
قادت العرب الى مواطن النصر والفخار وسودتهم على العالم

٣ - قضى على نظام العصبية وعلى روح القبيلة وسأوى بين الجميع فلا تفاضل
ولا تنافس بل الكل اخوان في ظل راية التوحيد

٤ - قضى على عهد الكفاح والنضال بين القبائل فانصرفت الى نشر
الاسلام وتعزيزه

٥ - اعاد الصلح بين البيوت والعائلات ، وقد انقسمت على بعضها فى زمن
الحرب فقاتل الابن اباه والاب اولاده فى سبيل الدين ونشره فالتأم الشمل وازيلت
الاختلافات

ويضيق بنا النطاق لو حاولنا وصف الثمرات العظيمة التى جناها المسلمون من
فتح مكة فهى كثيرة عميمة

غزوة حنين وعصار الطائف

انصرف النبي في خلال الايام الاولى للفتح الى قبول بيعة المكيين نساء ورجالا فدخلوا افواجا افواجا في دينه ، والى انشاء نظام حكم جديد ، يقوم مقام النظام الارستقراطي العائلي القديم وقد انهيار واندر ، فعين عاملا لمكة يحكمها باسم الدولة الاسلامية ويدير شؤونها واعاد الصلح والوثام بين العائلات وشمل بعفوه كثيرين من الذين حكم باعدامهم وارق دماءهم

وسير من مقامه في مكة سرايا الى الاطراف لاختضاع القبائل المجاورة وادخلها في الطاعة ولهدم الاصنام والاوثان في ديارها - بعد ما حطم الاصنام والاوثان في مكة ومحاسها - فارسل خالد بن الوليد الى « العزى » وهي شجرة كانت بنخلة (بين مكة والطائف) عندها وثن تعبده غطفان فقطع الشجرة وكسر الوثن وهدم البيت الذي كان فيه

وسير سرية اخرى بقيادة عمرو بن العاص الى سواع وهو اسم لصنم كانت تعبده هذيل فهدمه وعاد ولم يحدث له حادث . وارضى هذيل بين مكة والطائف وسير سعد بن زيد الاشهلي الى مناة وهو صنم كانت الاوس والخزرج تعظمه فهدمه وعاد سالما . وكان مناة بالمشلل وهو جبل على ساحل البحر الاحمر قرب قديد وبعث بعد ذلك خالد بن الوليد الى بني جذيمة من كنانة وكانوا باسفل مكة في ناحية ياملم ، يدعوهم الى الاسلام فوقع بينه وبينهم سوء تفاهم ادى الى قتل بعضهم مع انهم اعلنوا حين وصوله اليهم دخولهم في الاسلام ولما بلغ النبي ذلك تبرأ منه وارسل على بن ابى طالب الى بني جذيمة فدفع دية القتلى

تقيف وهوازن تجتمع

وجاءت الاخبار الى المسلمين في مكة بان قبائل الطائف وهى هوازن (قبيلة عتيبة الشهيرة في الحجاز ونجد وتنزل في نفس منازل هوازن القديمة) وثقيف وسعد تتجهز لقتالهم وتستعد للزحف عليهم فاصدر النبي ﷺ الاوامر بالتأهب للقائهم ، كما امر عبيد الله بن ابي حردر الاسلمى بان يذهب اليهم ويختلط بهم ويأتيه بخبرهم فذهب اليهم وكانوا في وادى حنين شرقي مكة في طريق الطائف بينه وبينها نحو ٤٠ كيلومترا من ابتداء الوادى وهو طويل ، فاختلط بهم ودرس حالتهم عن كسب ثم عاد واخبره بما شاهد ورأى فقرر ان يسير اليهم

قوة المساجين وتعبئتهم

غادر جيش المسلمين مكة ظهر يوم السبت ٦ شوال للسنة الثامنة قاصدا وادى حنين وعدته كما يقول المؤرخون ١٢ الف مقاتل منهم عشرة جاءوا معه من المدينة والقان من اهل مكة تطوعوا في صفوفه ، وفي مقدمتهم ابوسفيان بن حرب وغيره من زعماء قريش الذين اسلموا حديثا وعبأ النبي قواه حينما اقتربوا من اراضى العدو فكانت سليم في المقدمة وعليها خالد بن الوليد ووزع الرايات فكان لواء المهاجرين مع على بن ابي طالب ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الاوس مع اسيد بن حضير

قوة القبائل وترايرها

بين الرواة اختلاف في البواعث التي بعثت قبائل الطائف على التجمع لقتال المسلمين ، والذي عليه الاكثرون انهم تجهزوا للقائهم منذ ما علموا بخروجهم من المدينة لانهم ظنوا انهم قاصدوهم فارادوا ان يسيروا للقائهم وكذلك اختلف الرواة في عدد جيش القبائل المتحالفة ف قيل ان مجموعهم بلغ

١٥ الفا وقيل عشرين الفا ولا يخلو الرقم الاخير من مبالغة ظاهرة فجمع جيش يبلغ عدده ٢٠ الف مقاتل غير متمسك في منطقة صغيرة كمناطق الطائف مع العلم ان قريشا - وكانت اقوى منهم واكثر ثروة واعظم نفوذا - لم تستطع ان تجهز جيش الاحزاب ولم يزد على عشرة آلاف الا في عدة اشهر وقد اشركت فيه قبائل عدة يزيد عدد نفوسها على قبائل الطائف المتحالفة

واسلمت هذه القبائل زمامها الى مالك بن عوف وولته القيادة العليا ، لانها ادركت ان توحيدها في مقدمة الوسائل التي تضمن النجاح

وعملا بامر القائد العام - مالك بن عوف - سارت القبائل المتحالفة بالظعن (اى النساء والاطفال والماشية) والذراى والماشية (البنون والمال) هما اعز ما يملك ابن البادية واغلاه ومعنى ذلك ان هذه القبائل كانت تدرك خطورة المهمة التي اقدمت عليها وانها كانت موطنة النفس على القتال حتى النفس الاخير املا بان تنتصر على المسلمين بعدما انتصر وا على قريش ، فتفوز بالزعامة في جنوبي الحجاز وتحجى عبادة الاوثان بعد سقوطها

القبائل تباعث المسلمين

ومما يصح الاخذ به لتأييد هذه النظرية - نظرية استماتة هذه القبائل في قتالها وازماعها المضى في النضال حتى النهاية ورغبتها في احراز نصر حاسم على المسلمين - هوائها اخنتهم على غرة حين تقدمهم في وادى حنين ، والظاهر انهم اهملوا اتخاذ التدابير الاحتياطية التي تتخذها الجيوش عادة عند دخولها في اراضى عدوها ، لانهم كانوا يعتمدون على كثرتهم كما كانوا يستخفون بقوة عدوهم ، ولولا ذلك لاعدوا من العدة والتدابير ما يضمن لهم اجتياز الوادى سالمين

وذاق المسلمون عاقبة الاهمال ، وللإهمال مهما كان شكله عواقب وخيمة ، فقد وقع الذعر والاضطراب في صفوفهم ، حينما كرت عليهم القبائل المتحالفة واخنتهم على حين غرة في فجر اليوم الثالث لمسيرهم في مضيق وادى حنين ، ففرا اكثرهم لايالون

على شيء لانهم ما كانوا يتوقعون مثل هذه المفاجأة، وهي المرة الاولى التي اخذ بها الجيش الاسلامي على هذا النوال في خلال السنوات التي تولى النبي فيها قيادته و وقعت القبائل المتحالفة في نفس الخطأ الذي وقع فيه الرماة المسلمون يوم احد، فانها بدلا من المضي في مطاردة المنهزمين ، انصرفت الى الاشتغال بجمع الغنائم والاسلاب لاعتقادها ان المعركة انتهت ، وان النصر عقد لها ؛ والحصول على الكسب اول ما ينشده ابن الصحراء في حروبه

ورأى النبي الفرصة سانحة للعمل ، وللقيام بهجوم معا كس على العدو ، وضر به ضربة شديدة ، فوقف الى طرف الوادي وحوله خاصته وكبار هيئته اركان حربه : ابوبكر وعمر وعثمان وعلي والعباس ، وكانوا محيطين به على الدوام ، وغيرهم من كبار الانصار والمهاجرين ، يدعوا الناس الى الالتفاف حوله قائلا :

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

ولم يكتف بهذا النداء بل كرر على بقلته لاحقا بالمنهزمين وداعيا اياهم الى الوقوف والثبات ثم اوعز الى عمه العباس بان ينادى في الانصار - والانصار عمدة الجيش الاسلامي ودعامته - ويدعوهم الى الالتفاف حول النبي فناداهم قائلا :

يا اصحاب السمرة ، يا اصحاب سورة البقرة ، هاموا هذا رسول الله ، فأقبلوا على صوته، حتى اذا تكامل عددهم ، وانتظمت صفوفهم ، وكان النهار قد اشرق حملوا على اعدائهم ، وكانوا مشغولين بجمع الغنائم غير حاسبين للحوادث حسابا فأخذوهم على غرة وهزموهم هزيمة شنعاء ونكلوا بهم واستردوا منهم ماغنموه كما اخذوا ذراريهم ونساءهم وقتلوا عددا كثيرا من رجالهم وفي جملتهم دريد بن الصمة وجرح خالد بن الوليد في ذلك اليوم لكثرة ماقاتل

وواصل المسلمون تقدمهم نحو الطائف لمطاردة المنهزمين الذين لجأوا اليها وتبعه الطائف عن مكة ١٢٠ كيلو مترا وهي واقعة الى شرقها ، اى انهم لم يكتفوا بهزيمة المتحالفين بل لحقوا بهم في عاصمتهم لاحتلالها وادخالها في ادارة الدولة الجديدة وقبل ان يزحف الجيش على الطائف ، سير سرية بقيادة ابى عامر الاشعري

لمطاردة العدو وقد انقسم حين انسحابه الى قسمين : قسم لحق بالطائف وهو الاكبر وقسم قصد نخلة قرب مكة اى انه سار نحو الغرب ، فلحق بهم ابو عامر هذا وقتلهم وحل محله ابن اخيه ابو موسى الاشعري حينما قتل وواصل النبي تقدمه حتى نزل قريبا من سور الطائف ، وهي مشهورة بسورها ولا يزال قائما حتى الآن ، وكان المتحالفون قد سبقوا اليه وتحصنوا في داخله ، فلما قدم المسلمون رموهم بنبلهم فقتلوا منهم ١٢ رجلا وجرحوا كثيرين وفي مقدمة الذين جرحوا في خلال ذلك الحصار ابو سفيان بن حرب فقد فقمت عينه وضرب المسلمون الحصار حول الطائف ونصبوا المنجنيق وهي اول مرة يستعملونه في حروبهم ، كما قطعوا الشجر والكرم ، فعلاوا ذلك في بني النضير وقرية وخيبر من قبل اربابا لرجالهم وحملهم على الاستسلام ، فلم تجح ثقيف الى التسليم بل اصرت على المقاومة والنضال ، ورأى المسلمون بعد حصار ١٨ يوما ، انه ليس من مصلحتهم اطالة الاقامة حول السور او بذل ضحايا كبيرة لاحتلاله ، فتركوه وعادوا الى مكة

ونزل المسلمون في الجعرانة (وتبعد ٤٠ كيلومترا عن مكة) في طريق الطائف ، اى انهم لم يقصدوا مكة مباشرة وضرب النبي خيمه فيها ، واقام فيها ثلاثة عشر يوما ، وزرع فيها الغنائم التي غنموها في غزوتهم ويقولون انها بلغت ٢٤ الف بغير ٤٠ الف شاة واربعة آلاف اوقية من الفضة ، عدا النساء والذراري ، ولم يوزع هؤلاء رحمة بهم ، وجاءه في مقامه هنالك وفد هوزان وعددهم ١٤ من كبار رجالهم فأعلنوا اسلامهم وندمهم وسألوه ان يرد عليهم ما أخذه منهم فرد عليهم النساء والذرية واستبقى الابل والماشية والفضة ووزعها على الذين اسلموا حديثا من اهل مكة واشتركوا في تلك الغزوة وهي اول قتال يشتركون فيه دفاعا عن الاسلام . وجاءه وهو في الجعرانة ايضا مالك بن عوف قائد القبائل فاسلم واسلمت ثقيف بعده

ودخل مكة يوم ١٧ ذى القعدة محرما اى ان غزوة حنين استغرقت ٣٧ يوما فلم يقم فيها سوى يوم واحد ثم قصد المدينة عاصمته فاستقر بها

اشراء الاعمال العسكرية في الحجاز

وبيان عنها

كانت معركة حنين ، آخر معركة عسكرية ، ادار الرسول ﷺ رحاها ، وتولى قيادتها ، كما كانت آخر قتال شهده ، وبها انتهى فتح الحجاز عمليا ، وخضع للاسلام فلم يرتفع بعدها للوثنية رأس ، ولم ينبه لها ذكر ، واقبلت وفود القبائل من جميع انحاء بلاد العرب طائفة ، تعلن دخولها في الدين الاسلامي وخضوعها للدولة الجديدة التي انشأها المسلمون

ولقد استغرق فتح الحجاز كله - وفي جملة نجد ، ولم يشهر سيف في فتحها وكانت تعد جزءا من اراضي الحجاز - سبع سنين ، ابتدأت في شهر رمضان وهو الشهر السابع لنزول المسلمين المدينة بسرية حمزة وانتهت في شهر ذي القعدة من السنة الثامنة - ظلت بعوهم العسكرية تترى في خلالها ، وظلوا في نضال عنيف مع قريش واحلافها ، فلم يخلدوا الى الراحة حتى تم لهم الفوز والنصر ، فاختضعوا الحجاز لسلطانهم بفضل ثباتهم وتفانيهم والتفافهم حول نبينهم وقائدهم وهادهم وكانوا ينتقلون من نصر الى نصر ومن فوز الى فوز حتى علت كلمتهم وهزم الشرك وقضى على عبادة الاوثان ، ودخل العرب في دور جديد من الحياة والاستقرار لاعهد لهم به من قبل

واليانات المفصلة التي اثبتناها وهي مستقاة من اوثق المصادر التاريخية تدحض الزعم القائل بان الدين الاسلامي قام على السيف وانتشر به ، فعدد المعارك الحقيقية

التي خاضها المسلمون في خلال هذه الفترة الطويلة هي اربع معارك لا اكثر ولا اقل ،
وهذه اسمائها بحسب وقوعها :

١ - معركة بدر الكبرى

٢ - معركة احد

٣ - معركة خيبر

٤ - معركة حنين

تلك هي المعارك العسكرية الكبيرة التي خاضها النبي بالذات وقاتل فيها او ادار دفتها ، وقد كان المسلمون فيها مدافعين لامهاجمين ، تؤيد ذلك البيانات التاريخية الصحيحة التي او ردها . ونعود هنا الى بسطها بايجاز تاما للفائدة فنقول :

١ - معركة بدر - خرج المسلمون يوم بدر لمهاجمة قافلة قريش لا ليحاربوها ولا ليعتدوا عليها ، فاما سامت القافلة ولم يعد في الامكان الحصول عليها استشار النبي اصحابه على عادته - وكان لا يبت في امر من الامور الخطيرة الا برأيهم ، عملا بمبدأ الشورى الذي جاء به - وسألهم هل يعود الى المدينة أم يصمد لقريش وكانت في طريقها الى بدر للقائه ففوضوا اليه بان يعمل ما يراه موافقا للمصلحة وقالوا له انهم يتبعونه من غير قيد ولا شرط وينفذون اوامره

وماخطر ببال المسلمين في موقفهم ذلك ان يهاجموا قريشا او يقتلوا لانهم كانوا يعرفون انها تفوقهم عددا وعددا ولورجعت الى مدينتها طبقا لاقتراح ابي سفيان لما وجدت من يطاردها ، وقد رجع فعلا بنو سهم حينما وصلت الاخبار اليهم بوصول القافلة سالمة - وكانت الغاية من خروجهم انقاذها - فلم يلحق بهم احد من المسلمين ولم يطاردهم ، بيد ان اصرار ابي جهل على القتال وموالاته الاكثرية وتأييدها له في خطته رغم نصيحة عتبة بن ربيعة وغيره من اصحاب الرأي لهم بالرجوع ، جعل الحرب واقعة ، فقد استهان ابو جهل ومن شايعه بالمسلمين وكانوا قوة قليلة ضئيلة بالنسبة لهم ، وظنوا ان في استطاعتهم القضاء عليهم والتخلص منهم ، فلم يجد هؤلاء بدا من الدفاع عن انفسهم ، اى انهم كانوا في حالة الدفاع المشروع ، وفي حالة رد الاعتداء ،

وقد صدقوا الحملة واحسنوا اختيار مواقعهم واحكموا تنظيم صفوفهم فكان النصر في جانبهم ودارت الدائرة على قريش الباغية ، وعلى الباغي تدور الدوائر

٢ - معركة احد - ووقع يوم احد ماوقع في بدر ايضا فقد سارت قريش بقضها وقضيضها ، ونسائها ، ورجالها للانتقام لقتلها في بدر وللثأر من المسلمين الذين كانوا يدافعون عن كيانتهم ، ومع ان الغلبة كانت في جانب هؤلاء لانهم احسنوا تعبئة جيشهم وتنظيم صفوفهم ، الا ان الخطأ الكبير الذي ارتكبه الرماة المسلمون - وقد ظنوا ان المعركة انتهت وان النصر تم لقومهم - غير الموقف وصير الانتصار انكسارا ، فقد اغتتم خالد بن الوليد - وكان على خيالة قريش في ذلك اليوم - فرصة انكشاف جناح المسلمين الايسر فكر عليهم وقطع خطر رجعتهم فوقع الذعر في صفوفهم وقد قاتل النبي بالذات في ذلك اليوم وجرح ، ولم يقاتل يوم بدر ، وانتهت المعركة بانكسار المسلمين ، بسبب خطأ الرماة (وقد استشهد اكثرهم) ومن تحصيل الحاصل القول بان المسلمين كانوا يوم احد في حالة الدفاع المشروع عن النفس وعن الكيان .

٣ - معركة خيبر - والمعركة الثالثة التي شهدها النبي وتولى قيادة المسلمين فيها هي معركة خيبر وقد اسهبنا في الكلام عن مقدماتها و وصف اسبابها وعواملها من قبل وخلاصة مايقال فيها هو انه بعد ان وقع ما وقع بين المسلمين واليهود في المدينة وحولها ، لجأ كبار هؤلاء الى خيبر ، وكانت اعظم مراكزهم في الحجاز واكبرها شأننا وعكفوا على دس الدسائس للاسلام والعمل للانتقام منه ، وصدور هذا العمل منهم غير مستنكر وهو مما تقره شريعة ذلك العصر ، وادرك المسلمون ان ما يدبر لهم في خيبر ويطبخ في مطبخها ، يهددهم باعظم خطر في حاضرهم ومستقبلهم ، فقصدها بجموعهم ودعوا اهلها الى الاسلام والدخول فيه والانضمام الى هيئتهم الجديدة ، فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم ، وتلك كانت الوسيلة الوحيدة في نظرهم لحل الخلاف بعد الذي جرى ، لانهم لم يعودوا يثقون بعهود اليهود واتفاقاتهم ، بعد يوم بنى قريظة ، فرفض الخيبريون ما عرض عليهم ، وابتوا الدخول في الاسلام وحشدوا قواهم للنضال فلم ير

المسلمون بدأ من منازلهم فقاتلوهم وادرك هؤلاء ان لافائدة ترجى من المقاومة فطلبوا الصلح فتفاوضوا فتم الاتفاق على الصلح ، فغادروا البلاد من دون ان يمس احد منهم بسوء او يعتدى عليهم او تخرق حرمة الميثاق الجديد ، مما يؤيد مذهبنا اليه وهو ان المسلمين ما ارادوا الحرب لذاتها ولا مشوا اليها وانما اضطروا اليها اضطرارا لانهم كانوا بين شرين : شر ترك الخبيريين ، وشأتهم ولا يأمنون ان يؤتوا من جانبهم ويؤلبوا عليهم القبائل كما فعلوا في المرة الاولى يوم الاحزاب ؛ وشر قتالهم واجلائهم وهو الاخف والافضل بالنسبة اليهم ، ولم يقدموا على هذا اعتباطا ، ولكنهم دعوا اليهود الى الدخول في دينهم والاشترك في الهيئة الاجتماعية الجديدة التي انشأوها والمساهمة في اسواقها فابوا ؛ ولما لم يبق مناص من القتال اقدموا عليه بعد ما استنفدوا الجهد في بلوغ السلام والوفاق ، وغايتهم دفع الخطر الذي كان يهددهم من ناحية خيبر لا مهاجمتها بالذات

ولا بد لنا من الكلام بهذه المناسبة عن حادث بنى قريظة وهو ايضا حادث فذ في تاريخ الاسلام والباحث المنصف يسلم بان المسلمين لم يقدموا على معاملة القرظيين تلك المعاملة الشاذة القاسية ، وتاريخ النبي في جميع ادوار حياته شاهد بحبه للعفو والصفح وعدم ميله للانتقام والعقوبة الا لضرورة قصوى ، فقد عفا عن كثيرين من اعدائه الشخصيين ومن الذين آذوه يوم فتح مكة مما دل على انه من ابعد الناس عن الانتقام ، ولا يتفق مع ما امتاز به من اخلاق عالية سامية ، بوأته ارفع مقام ، ورفعته الى اعلى ذروة من ذرى المجد والخلود

هذا من جهة ، اما من الجهة الاخرى فان النبي لم يعامل احدا من يهود الحجاز - وكانوا يبلغون بضعة عشر الفا كما قدرناهم - بما عامل به القرظيين ، لاقبل هؤلاء ولا بعدهم فقد اکتفی باجلاء بنى قينقاع وبنى النضير حين ادرك انه لم يعد في الاستطاعة السكوت عن دسائسهم واکتفی منهم بالرحيل مع العلم انهم لم يستسلموا اليه ولم ينزلوا على حكمه الا مضطرين لانه اقوى منهم ، ومعنى ذلك ان فوزه عليهم كان في حقيقته فوزا عسكريا ومع ان الشرائع النافذة في تلك الايام تطلق يد الغالب في معاملة المغلوب اطلاقا

تاما فله ان يقتله أو يسترقه ويستخدمه في جميع شؤونه ومرافقه مدى الحياة مع اهله وولده من دون قيد ولا شرط فان النبي قد ترفع عن معاملتهم بمقتضى الشرائع التي كان الناس يخضعون لها ولا يرون فيها ما ينكر ، وعاملهم بالرفق والاحسان وتركهم يذهبون اني شاءوا فجلوا حاملين متاعهم واموالهم ، يغنون وينشدون ويرقصون . ولا نظن ان غالبا في ذلك العصر عامل مغلوبه بافضل مما عامل به النبي ﷺ بنى قينقاع

وكانت جريمة بنى النضير افظع واشد ، فقد قعدوا عن الدفاع عن المدينة حينما هاجمتها قريش يوم احد ، ولم يشتركوا في القتال خلافا للعهود المعقودة بينهم وبين المسلمين ، وتآمروا على النبي حينما زارهم يريدون اغتياله والتخلص منه ، كما نظم بعض شعرائهم القصائد في تمجيد قتلى قريش يوم بدر وفي الطعن بالمسلمين ، يضاف الى هذا اتصاهم بقريش ، عدوة المسلمين يومئذ ووصل حبلهم بحبلها وتردد زعمائهم على مكة واثارتهم الاحقاد على المسلمين واغراء قريش بهم ، مما جعل التغاضي عنهم لا يطاق ولا يحتمل ، فسار المسلمون اليهم واحاطوا بحصونهم ، ولما ادرك هؤلاء انه لا قبل لهم بالمقاومة والثبات ، جنحوا الى السلام فصالحهم على شروط اثقل من شروط أولئك لان جريمتهم كانت اعظم فنزع منهم السلاح والميرة والماشية وبعض المتاع ولم يسمح لهم الا بنقل ما استقلت به الابل

وصالح اهل خيبر بعد ماغلبهم على الجلاء فقط وصالح وادى القرى وفدك وتيما على شروط غاية في الاعتدال فاقرهم في بيوتهم ومنازلهم ولم يعتد عليهم ولم يسلب منهم شيئا مكتفيا بالطاعة والانقياد وارسل الى بلادهم العمال والحكام يسوسونهم ويجبون منهم الجزية (الضرائب) كالرعايا الآخرين مما يدل على انه ما كان واجدا على اليهود لانهم يهود ، ولا متعمدا الاساءة اليهم ، وانه في اجلائه بنى قينقاع ثم بنى النضير وقتكه بقريلة ثم محاربه خيبر ثم في صلحه مع سكان وادى القرى وفدك وتيما لم يك معتديا ولا جائرا وانما فعل ما اعتقد ان مصلحة جماعته تقضى به حرصا على مستقبلها وكيانها ، ولا نشك في ان اليهود لو انصفوه وعاملوه بما كان يعاملهم به من الرعاية

والحرمة ، في ابتداء امره لما اريق دم من دمهم ولكن ما قدر كان
 ٤ - غزوة حنين - وكان شأن المسلمين يوم حنين شأنهم يوم بدر ويوم احد
 بالضبط اى انهم كانوا يحاربون دفاعا عن انفسهم وعن كيانهم فقد تجمعت قبائل ثقيف
 وهوازن وسعد وسارت اليهم من دون اى باعث يوجب ذلك ، ورأى المسلمون انهم
 امام خطر عظيم ، فخرجوا للقاء القبائل المتحالفة ومهاجتها قبل ان تهاجمهم فاعتنمت
 فرصة غفلتهم وعدم اتخاذهم من التدابير ما تقتضى القواعد الحربية باتخاذهم فباغتتهم
 وهزمتهم ، ولولا اشغال القبائل المنتصرة بجمع الغنائم والاسلاب ، وثبات النبي ومعه
 بعض الصحابة ومناداتهم الانصار والتفاف هؤلاء حول الرسول ثم كرههم على القبائل
 المشغولة بجمع الغنائم وتغلبهم عليها ، لكانت النكبة شديدة ومما لا ريب فيه انهم كانوا
 في حالة الدفاع المشروع عن النفس ، ولا نظن منصفاً يمارى في هذا او يشك فيه
 تلك هى المعارك الكبرى التى شهدتها النبي بنفسه وتولى قيادتها وادار حركة
 القتال فيها وما كان المسلمون فيها بمعتمدين او باغين او ظالمين بل كانوا فى حالة الدفاع
 المشروع عن النفس
 بقيت هنالك غزوات اخرى غزاها او سرايا سيرها فى خلال تلك المدة الطويلة
 فقد بلغ عدد غزواته مع الغزوات الاربع التى تقدم الكلام عليها ٢٤ غزوة هذا
 بيان عنها وعن عدد قتلها :

بيان عمه الغزوات

ملاحظات	اسم الغزوة	قتلى خصومهم	قتلى المساميين
لاقتال فيها	١ - ودان او الابواء		
» » »	٢ - بواط		
» » »	٣ - بدر الاولى		
» » »	٤ - العشيرة		
	٥ - بدر الكبرى	٧٠	٨
لاقتال فيها	٦ - بنو سليم		
» » »	٧ - بنو قينقاع		
	٨ - السويق		٢
لاقتال فيها	٩ - امرأوغطفان		
	١٠ - احد	٢٣	٧٠
لاقتال فيها	١١ - حمراء الاسد		
» » »	١٢ - بنو النضير		
» » »	١٣ - ذات الرقاع		
» » »	١٤ - بدر الثالثة		
» » »	١٥ - دومة الجندل		
» » »	١٦ - المريسيع		
	١٧ - الخندق	٣	٦
قتل كل رجالها لليهود	١٨ - بنو قريظة		١
لاقتال فيها	١٩ - بنو لحيان		
	٢٠ - ذو قرد		١
	٢١ - خيبر و وادي القرى	٩٣	١٥
	٢٢ - فتح مكة	٢٨	٢
	٢٣ - حنين والطائف	مجهول	١٢
لاقتال فيها	٢٤ - تبوك		
		٢١٧	١١٧

بيان عن السرايا

وهذا بيان آخر باسماء السرايا التي سيرها وعددها وعدد القتلى فيها :

ملاحظات	اسم السرية	قتلى خصومهم	قتلى المسلمين
لاقتال	١ - سرية حمزة		
» »	٢ - سرية عبيدة بن الحارث		
» »	٣ - سرية سعد بن ابي وقاص		
	٤ - سرية عبد الله بن جحش	١	
لاقتال	٥ - سرية زيد بن حارثة		
تبشير بالدين	٦ - سرية الرجيع		٥
» »	٧ - سرية بئر معونة		٦٩
لاقتال	٨ - سرية عكاشة بن محصن الاسدي		
» »	٩ - سرية محمد بن مسامة الى ذى القصة		٩
لاقتال	١٠ - سرية ابي عبيدة الى غطفان		
» »	١١ - سرية زيد بن حارثة الى بنى سليم		
» »	١٢ - » » » » العيص		
» »	١٣ - » » » » الى جنام	٢	
» »	١٤ - » عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل		
» »	١٥ - » على بن ابي طالب الى بنى سعد		
» »	١٦ - » عمر بن الخطاب الى هوازن		
	١٧ - » ابي بكر الى بنى كلاب		مجهول العدد
لاقتال	١٨ - » بشير بن سعد الى بنى مرة		

ملاحظات	اسم السرية	قتلى خصومهم	قتلى المسلمين
لاقتال	١٩ - سرية غالب الليثي الى نجد	مجهول	
لاقتال	٢٠ - « بشير بن سعد الى غطفان		
	٢١ - « الاجزم الى بنى سليم		٤٩
لاقتال	٢٢ - « غالب الليثي الى كديد		
	٢٣ - « » » الى بنى مرة	مجهول	
لاقتال	٢٤ - « شجاع بن وهب الى هوازن		
	٢٥ - « كعب الغفاري الى ذات اطلاق		١٤
	٢٦ - سرية مؤتة	مجهول	١٢
لاقتال	٢٧ - « عمرو بن العاص الى ذات السلاسل		
لاقتال	٢٨ - « ابي عبيدة الى سيف البحر		
قتال	٢٩ - « ابي قتادة الى نجد	مجهول	مجهول
لاقتال	٣٠ - « » » الى اضم		
قتال	٣١ - « خالد بن الوليد الى جذيمة	مجهول	
لاقتال	٣٢ - « عينية بن حصن الى تميم		
لاقتال	٣٣ - « خالد بن الوليد الى نجران		
لاقتال	٣٤ - « اسامة بن زيد الى فلسطين		

هذا هو بيان السرايا وعددها ٣٤ وهنالك من يضيف اليها سرايا ارسلت
 لاغراض خاصة كهدم الاوثان والاصنام فيجعلها ٣٨ كما ان هنالك من يزيد في الغزوات
 ويجعلها ٢٧ او ينقصها الى ٢٦

عدد قتلى المسلمين في جميع المعارك

فمن هذا الاحصاء يتبين ان عدد الذين قتلوا من المسلمين في جميع الغزوات التي غزاها النبي وبعدها ٢٥ غزوة لم يزد عن ١١٨ قتيلا كما ان عدد قتلى السرايا بلغ ٢١٧ يخرج منهم ٧٤ وهم قتلى الرجيع وبئر معونة وقد ارسلوا للتبشير لا لغزو ولا لفتح فلا يبقى سوى ١٤٣ قتيلا وباضافتهم الى مجموع قتلى الغزوات يبلغون ٢٥٨ قتيلا وهم كل ما فقدته المسلمون في ٥٨ بعثا عسكريا سيروها في خلال ٩ سنوات واثموا فيها فتح الحجاز واليمن وجانبا من الشام

عدد قتلى غير المسلمين

ويدل هذا البيان على ان قتلى خصوم المسلمين ومنافسيهم لم يزد فيما وصل اليه عن ٢٢٠ منهم ٢١٧ في الغزوات و ٣ في السرايا يخرج منهم قتلى اليهود في خبير وعددهم ٩٣ فلا يبقى سوى ١٢٠ قتيلا يضاف اليهم مثلهم في المعارك التي لم يذكر عدد القتلى فيها وهو اكبر تقدير فيبلغ المجموع ٢٤٠ قتيلا سقطوا في خلال تسع سنوات . ولا يدخل في هذا الاحصاء قتلى بني قريظة اليهود

ويسلم الباحث المنصف بعد اطلاعه على هذا البيان وبعده اطلاعه على عدد الغزوات والسرايا والبعوث وعدد قتلى الفريقين بانه لم يكن هنالك قتال بالمعنى المقصود من هذه الكلمة ولا ارباب ولا ارباق وان السيف لم يكن العامل الوحيد في فتح الحجاز واليمن وبعض اطراف الشام ، وانما هو تضامن المسلمين واتحادهم والتفافهم حول نبينهم ، واتباعهم تعاليمه ، وحسن نظامهم الداخلي ، وشدة ايمانهم ، وسمو الغاية التي يعملون لأجلها ، ويستمتتون في سبيلها ، يقابل هذا تفرق كلمة خصومهم وتشتتهم وعدم وجود روابط متينة تربطهم واعتقاد اكثرهم بعدم صحة العقيدة التي كانوا يدافعون عنها وشتان ما بين الفريقين

وجملة القول ان الاسلام لم يوطد ولم ينتشر ويعظم الا بفضل سمو
 تعاليمه ، واخلاص رجاله الاولين ، وتضامنهم وتفانيهم في سبيل تأييده واقتحامهم
 الاهوال والمخاطر لرفع كلمته وشأنه ، ولا بد من انتصار قوم هذه حالهم وفوزهم
 ونجاحهم

[Faint bleed-through text from the reverse side of the page]

[Faint bleed-through text from the reverse side of the page]

فتح نخب

Faint, illegible text at the top of the page, possibly bleed-through from the reverse side.

سیدنی

نجد

معلومات جغرافية موجزة عنها

يطلقون اسم نجد في الوقت الحاضر على هذه المنطقة الواسعة في قلب جزيرة العرب ، وكانوا يعدونها من اجزاء الحجاز غير انهم اصطلاحوا على الاسم الجديد واعتبروا نجدا مقاطعة مستقلة

وتقع نجد في شرقي الحجاز وتبدؤ حدودها في الوقت الحاضر من ذات عرق وهو مكان يبعد عن وادي السيل المعروف في الحجاز ، وتمتد حدودها نحو الدهناء في الشرق

ويشمل هذا التحديد الارض التي يحدها جبل شمر ومنطقة الهضاب الحجازية شرقي سلسلة جبال الحجاز وعسير في الغرب والصحراء الكبرى من الجنوب والدهناء وتفصل بين نجد والحسا من الشرق

وكانت نجد في العهد العثماني خاضعة لتركيا وفيها امارتان مستقلتان استقلالاً ادارياً داخلياً : امارة آل السعود في العارض (السهل) و امارة آل الرشيد في شمر (الجبل) ثم تغلب السعوديون فاكسحوا نجدا كلها وبسطوا نفوذهم على الحجاز كما تقدم

وفود نجد في المدينة

كانت معركة حنين آخر معركة عسكرية تولى قيادتها النبي بالذات وادار رحاها، كما كانت آخر قتال شهده، وبها انتهى فتح الحجاز عمليا، فلم يرتفع بعد ذلك للوثنية رأس، ولم تقع بعدها معركة خطيرة الشأن، فأقبلت قبائل جزيرة العرب كلها الى المدينة تقدم خضوعها للمسلمين، وتدخل في دينهم وكانت قبائل الشرق او قبائل نجد، كما نسميها الآن، تنتظر نتيجة العراك الدائر بين مكة والمدينة فلما خضعت هذه وانتشر الاسلام في ربوعها وعلت كلمة المسلمين، هرع رؤساؤها وزعمائها الى المدينة معلنين اسلامهم وكان وفد بني تميم في المقدمة وتقع بلادهم في منتهى الشرق من القصيم ولا تزال هذه القبيلة في نجد واكثر المدن والقرى النجدية تضم عناصر من تميم وقد تحضر جانب منها وتنقسم تميم في نجد اليوم الى ثلاثة بطون وهي :

١ - بطن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة

٢ - بطن سعد بن زيد بن مناة بن تميم

٣ - بطن عمرو بن تميم

وفي العراق ايضا قبائل تنسب الى هذه القبيلة وتزل في اطراف بغداد

١ - وفد بني تميم

وتألف وفد بني تميم برئاسة عطار بن حاجب بن زرارة بن عدى التميمي

وقصد المدينة يمثل تيمما بانفاذها وقبائلها وهذه اسماء رجاله :

الاقرع بن حابس التميمي والزبرقان بن بدر من بني سعد وعمرو بن الاهتم

والحتمات بن يزيد ونعيم بن يزيد وقيس بن الحرث وقيس بن عاصم اخو بني سعد
وثابت بن قيس وجاء معهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري وقد شهد فتح
مكة وحنين مع المسلمين فألقوا الخطب والقصائد ودخلوا في الاسلام

٢ - وفد بني هنيقة

وقدم بعد ذلك وفد بني حنيقة (اليمامة في نجد) فأسلموا ايضا وجاء معهم مسيلمة
ابن حبيب الحنفي ويكنى ابا ثمامة وهو الذي ادعى النبوة في اليمامة وقاتل المسلمين بعد
ذلك

٣ - وفد طيء

وجاء وفد طيء (نجد) فأسلموا وعادوا الى بلادهم

وفود اخرى

وتتابعت الوفود من جميع اطراف نجد وخضعت هذه البلاد للمسلمين ولا تزال
على ذلك حتى الآن

تبرخون بیاتی

اليمن

معلومات جغرافية عامة

اليمن قطر عربي واقع في جنوبي جزيرة العرب الغربي ، وطوله من الشمال الى الجنوب (ماعدا عسيرا وتهامة) ٧٥٥ كيلومترا ومن الغرب الى الشرق نحو ٤٠٠ كيلومتر

وتنقسم بلاد اليمن الى قسمين : سهلي وجبلي ، ويطلقون على السهلي اسم تهامة وتتصل حدوده الشمالية بالحجاز ، وكانت بعض قبائل تهامة مرتبطة برابطة التحالف مع قریش

وحدود اليمن الحاضرة كما يأتي : شرقا الاحقاف وغربا البحر الاحمر وشمالا الحجاز وجنوبا النواحي التسع وعدن . وفيه حكومة عربية مستقلة

اما حضرموت فقطر عربي في جنوبي الجزيرة ايضا ، ويعده بعض الجغرافيين من مخاليف اليمن ، وكان منه في الاصل ، اما الآن فهو مستقل استقلال تاما ، ويحده من الشرق شعب وادي الزهور ، ومن الغرب عين باسعيد ومن الشمال رمال نجد والربع الخالي ، ومن الجنوب البحر العربي ، ومساحته السطحية نحو ١٢٠ الف كيلومتر مربع

وفي حضرموت حكومتان عربيتان : حكومة القعيطيين في الساحل وحكومة الكثيرين في الداخل وهما مشمولتان بالحماية البريطانية

دولة التباينة في اليمن

اليمن اقرب الاقطار العربية الى الحجاز فهو جارها الادنى ويتصل بها من الشمال اتصالا وثيقا وجبال السراة التي تشقه بتبديء من شمالي الحجاز فليس هناك فاصل طبيعي يفصل بينهما ، ولا اختلاف عادات يفرق بينهما ، ولا حكومة اجنبية قوية كما كان الحال في الشام والعراق عند ظهور الاسلام، تحول دون اتصالها وما كانت حالة اليمن الاجتماعية عند ظهور الاسلام تختلف كثيرا عن حالة الحجاز ، فكانت في اليمن كما كانت في الحجاز ، قبائل مشتتة الشمل ، مفككة العقد لانظام ينظم امورها ، ولا حكومة تشرف على شؤونها

واول دولة عربية نشأت في اليمن ووصلت اليها اخبارها دولة سبأ الاولى وكانت مأرب عاصمتها . وسبأ هذا هو والد قحطان ، وقد نزع من شمالي الجزيرة (اى من العراق) في القرن الثامن قبل الميلاد ، بعد فوز الاشوريين ، فتغلب برجاله على اليمن وانشأوا فيها دولتهم « دولة سبأ » وقد اشتهرت بتأسيسها سد مأرب لاتقاء السيول وكانت تنزل في واد يسمونه وادى الميزاب يرتفع الف ومئة متر عن سطح البحر وتحيط به الجبال من كل ناحية ، ويضيق من جهتيه الشرقية والشمالية وينحصر بين جبلين يسمونهما بلق الايمن وبلق الايسر في مسافة يقال انها ٦٠٠ خطوة

وكان طول السد الذي بناه السبئيون ٨٠٠ ذراع وعرضه ١٥٠ ذراعا وكان على مسافة قليلة من مضيق الوادى فكون مع جانبي البلقين الخارجيين مجرى عموديا على المضيق حول الماء من مجراه الاصلى وكان ذلك في القرن السادس قبل الميلاد وفي عهد الملك يشعم ، وزاد خلفاؤه فيه من بعده ، وبنوا له الفتحات فصير البلاد جنانا ، ونظم

الزراعة ورقاها ، وجنوا منه اطيب الثمرات ، وظلوا على ذلك حتى انفجر السد وانهدم
ويقال ان ذلك كان في القرن الثالث للميلاد ، جُلو عن اليمن وتفرقوا في الحجاز ونجد
والعراق والشام فكانت منهم كندة في نجد والمناذرة في العراق والغساسنة في الشام
وقضاة والايوس والحزرج في شمالي الحجاز

وانفرد عقد الوحدة الادارية في اليمن بعد سقوط دولة سبأ الاولى ، وقام في كل
مدينة او قبيلة متغلب لقب بلقب « ذو » واستمروا في ذلك حتى اواخر القرن الاول
لميلاد فتغلب ذو عليان صاحب ظفار على جملة مخاليف (مقاطعات) وكون منها دولة سبأ
الثانية فبسطت نفوذها على اليمن في اواخر القرن الثالث للميلاد ثم حلت محلها دولة
التبابعة اسمها شمر برعش سنة ٢٧٥ للميلاد كما يقولون

وهذا جدول باسماء ملوك هذه الدولة ويلقب ملكها بتبع ومعناه ملك الملوك
اي انه معادل للفظ امبراطور في هذا العهد

شمر برعش	من سنة ٢٧٥	الى سنة ٣٠٠ م
ذو القرنين الصعب	« « ٣٠٠	« « ٣٢٠
عمر و زوج بلقيس	« « ٣٢٠	« « ٣٣٠
بلقيس (غير بلقيس سليمان)	« « ٣٣٠	« « ٣٤٥
الهدهداد ابو بلقيس	« « ٣٤٥	« « ٣٧٤
مليكيرب ينعم	« « ٣٧٤	« « ٣٨٥
ابو كرب اسعد	« « ٣٨٥	« « ٤٢٠
حسان بن اسعد	« « ٤٢٠	« « ٤٢٥
شرحبيل بن يعمر بن اسعد	« « ٤٢٥	« « ٤٥٥
« « ينوف	« « ٤٥٥	« « ٤٧٠
معدى كرب ينعم وابنه لحيعة	« « ٤٧٠	« « ٤٩٥
مرشد اللات ينوف	« « ٤٩٥	« « ٥١٥
ذو نواس	« « ٥١٥	« « ٥٢٥
ذو جدن	« « ٥٢٥	« « ٥٣٥

وبين المؤرخين من يورد قائمة أطول ملوك هذه الدولة والارجح ماوردناه
وتعد دولة التبابعة هذه من اعظم الدول العربية التي نشأت في جنوبي الجزيرة
وما كانت حضارتها لتقل عن حضارة دول العرب في شماليها ، وكانت الزراعة والصناعة
والتجارة نامية في عهدها ، وقد شمل نفوذها بعض الاقطار العربية المجاورة لها
ويقال في اسباب سقوطها ان ذويزن - وهو آخر ملوكها - اذا استئينا ذو جدن
وقد نهض بعد انقراضها - جار على نصارى نجران من رعاياه - ونجران مخلاف
يماني كبير يقع في شمالي اليمن بينها وبين عسير ونجد - فقتلهم واحرقهم ظاماً وعدواناً
ويقال انهم اصحاب الاخود الوارد ذكره في القرآن فاستنجدوا بقيصر الروم - وكان
يومئذ جوستنيان - ولما كانت بلاد القياصرة بعيدة عن اليمن وكانت جيوشهم لاتبلغها
الالبشق الانفس لصعوبة المواصلات في ذلك العهد ، كتب هذا الى نجاشي الحبشة وهو
مسيحي مجاور لليمن ، وبينهما البحر الاحمر ، يرجوه ان يسير لنجدة ابناء دينه
فجهز على اليمن جيشاً بقيادة ارباط احد قواده ، فقاتلهم ذو نواس عند نزولهم ثم تحاذل
وخاف ففر ، ومات غريقاً ، فانهارت بموته دولة التبابعة وبسط الاحباش نفوذهم على
اليمن واستصفوها ، ثم مدوا بنظرهم الى الحجاز وحاولوا ضمه الى اليمن فسار ابرهة
(احد قوادهم) في جيش لجب (جيش اصحاب الفيل) وظل يتقدم ، والظاهر انه جاء
بطريق صنعاء - ابها - الطائف - وهو اقصر الطرق واقربها حتى بلغ ابواب مكة من
دون مقاومة ، وقد قعدت قريش لانها ادركت عجزها عن مقاومة جيش الحبشة القوى
المنظم ، والمسلح بالاسلحة الكاملة ، فاستسلمت الى حكم القضاء وتركت الامر لله قائلة
« ان للبيت رباً يحميه » وحدث ماحدث بعد ذلك من ارتداد هذا الجيش وانسحابه
وعجزه عن القيام باى عمل وقد فسر بعض مفسرى القرآن لفظ « حجارة سجيل »
وقد جاء في القرآن ان طير الابابيل ألقته عليهم فهزمتهم ، بانها جرائم الامراض
والاو بئة انتشرت بينهم ، ولم تقم لهم بعدها قائمة فعادوا الى صنعاء بالحبيبة والفشل
واعتم احد امراء التبابعة وهو ذو جدن فرصة النزاع الذى اشتد في
اوائل القرن السابع بين الروم والفرس او بين الزردشتية والمسيحية ، فقصد

المداين مستنصرًا بالفرس على الروم ، وعاملا على اقناع هؤلاء بمساعدته للتغلب على النصرانية فلقى منهم ارتياحا وهوى ، وكانت الحروب بين الفريقين على اشدها في ميدان الشام ، فارسل كسرى معه جيش المسجونين بقيادة احد رجاله وقال ان فتحوا اليمن فهى لنا وان هلكوا استرحنا منهم ، ويؤخذ مما رواه المؤرخون انهم جاءوا الى اليمن من طريق البحر اى انهم ركبوا السفن من الخليج الفارسى فاجتازت بهم المحيط الهندى حتى البحر الاحمر وانزلتهم فى الشاطىء اليمنى ، فنازلوا الاحباش وهزموهم وقضوا على الحكم الحبشى وولوا ذا جدن الملك ، ويقال ان عبد المطلب جد النبى قصد صنعاء ليهنىء الملك التبعى الجديد بما ادركه من نجاح وفوز فاكرم وفادته

ووثب الحجاب - وكانوا من الاحباش - على ذى جدن فقتلوه فاعتنم الفرس الفرصة ووضعوا يدهم على البلاد ، وتدل الدلائل على ان العامل الفارسى فى صنعاء كان يتمتع باستقلال واسع النطاق لبعده اليمن عن المداين وصعوبة المواصلات

واراد كسرى ابرويز استغلال صلته باليمن ، حين ما وصل اليه كتاب الرسول فكتب الى باذان عامله فى اليمن (انظر ص ١٢٤) يأمره بان يرسل رجلين من قبله الى المدينة يأتیان به الى المداين . فلما جاء اخبرهما الرسول بقتل الملك صاحب الامر واعادها الى صنعاء فقضا على صاحبهما ما وقع فاسلم ، فكان اسلامه مقدمة لانتشار الاسلام فى تلك الربوع ودخولها فى طاعته

٢

اول بعث اسلامي الى اليمن

شغل المسلمون بامر الحجاز في السنوات الاولى فأهملوا كل ما عداه عاملين
بالقاعدة القائلة بتقديم الأهم ، ففتح الحجاز واخضاع قبائله ، كان في نظرهم مقدما
على اى عمل في الاقطار العربية المجاورة لهم

واذا صح مارواه المؤرخون فيكون اليمن اول قطر عربي عمل المسلمون على
نشر دينهم في ربوعه ، بعد فتح الحجاز وخضوع نجد وكانت تعد يومئذ جزءا منه .

١ - بعث علي بن ابي طالب

ارسل النبي ﷺ على اثر فتح مكة اى في السنة الثامنة للهجرة ، بعثا الى اليمن
بقيادة علي بن ابي طالب ، فسارت بطريق الطائف - اها - حتى صنعاء ، ويقول
مؤرخ يمانى ان عليا لم يلق مقاومة في طريقه ، وانه نزل حين وصوله الى صنعاء عند
ام سعيد البرزخية وكانت اول امرأة اسلمت من اهل اليمن ، فتعلمت القرآن ، وقد
حول بيتها بعد ذلك الى مسجد لايزال قائما حتى اليوم في صنعاء واسمه مسجد علي
عليه السلام

واسلمت قبيلة همدان على يده وهى من قبائل اليمن الكبرى وتنزل حول صنعاء
وفى جوارها ولا تزال فى ديرتها القديمة حتى اليوم ، فكتب الى النبي من صنعاء يبشره
بدخولها فى الاسلام فخر ساجدا شكرا لله ، وبذلك تكون همدان اول قبيلة يمانية
دانت للاسلام

وفود اليمانيين في المدينة

واستقبل النبي أيضا وفودا عديدة جاءت من اليمن بعد فتح مكة و بعد ما اعترفت
المسلمون فتح ذاك القطر العظيم هذا بيان عنها :

١ - وفد صداء

وكان وفد الصدائيين اول وفد يمانى قدم المدينة فقد جاء مع الحارث بن
ابى زياد الصدائى كما تقدم واعلن دخول قومه فى الاسلام و بايع باسمه واسمهم

٢ - وفد همدان

وقدم بعد ذلك وفد همدان الى المدينة فى السنة التاسعة بعد رجوع النبي
من غزوة تبوك ، وكان يتألف من مالك بن نمط و ابى ثور وهو ذو المشعار
ومالك بن ايفع وضام بن مالك السامانى وعميرة بن مالك الحارفى فلقوا النبي واعلنوا
اسلامهم و بايعوه على السمع والطاعة فكتب لهم الكتاب الآتى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من رسول الله محمد لمخلاف خارف واهل جناب الهضب وحقاف
الرملى مع وافدها ذى المشعار لمالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها
ووهاطها ما اقاموا على الصلاة و آتوا الزكاة يا كلون علافها ، و يرعون عافيتها ، لهم
بذلك عهد الله و ذمام رسوله وشاهدتهم المهاجرون والانصار »

٣ - وفد صمير

ووفد على المدينة في الوقت نفسه ، اى بعد رجوع النبي من غزوة تبوك ،
وفد يتألف من الحرث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذو رعين
ومعافر وهمدان ، يحمل اليها كتب ملوك حمير باسلامهم وانضمامهم الى الدولة الاسلامية
الجديدة فكتب الرسول اليهم الكتاب الآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله النبي الى الحرث بن عبد كلال والى نعيم بن عبد كلال والى
النعمان قيل ذى رعين ومعافر وهمدان : اما بعد ذلكم فانى احمد اليكم الله الذى لا اله
الا هو

اما بعد فقد وقع بنا رسولكم منقلبا من ارض الروم فلقينا بالمدينة فبلغ
ما ارسلتم به وخبر ما قبلكم وانبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم
بهدها ، ان اصلحتم واطعتم الله ورسوله واقتم الصلاة وآتيتم الزكاة واعطيتم المعام خمس
الله وسهم النبي وما كتبه على المؤمنين من الصدقة : من العقار عشر ما سقت العين
وسقت السماء ، وعلى ماسق الغرب نصف العشر ، ان فى الابل الاربعين ابنة لبون وفى
ثلاثين من الابل ابن لبون ذكر ، وفى كل خمس من الابل شاة ، وفى كل عشرة من
الابل شاتان ، وفى كل اربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع جذع
او جذعة ، وفى كل اربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، وانها فريضة الله التى فرض على
المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيرا له ومن ادى ذلك واشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين
على المشركين فانه المؤمن له ما لهم وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله وانه من
اسلم من يهودى او نصرانى فانه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على
يهوديته او نصرانيته فانه لا يرد عنها وعليه الجزية ، على كل حالم : ذكر او اثنى ، حر
او عبد ، دينار واف من قيمة المعافر أو عوضه ثيابا ، فمن ادى ذلك الى رسول الله فان
له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فانه عدو لله ولرسوله «

٤ — وفد زرعة ذي يزن

وجاء مع هذا الوفد ايضا مالك بن مرة الرهاوي يحمل كتاب زرعة ذي يزن
 معلنا دخوله في الاسلام فكتب اليه كتابا هذا نصه : **بسم الله الرحمن الرحيم**
 اما بعد فان محمدا يشهد ان لا اله الا الله وانه عبده ورسوله ثم ان مالكا بن
 الرهاوي قد حدثني انك اسلمت من اول حمير وقتلت المشركين فابشر بخير وامرك
 بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تحاذلوا فان رسول الله هو ولي غنيكم وفقيركم وان الصدقة
 لاتحل لمحمد ولا لأهل بيته وانما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل
 وان مالكا قد بلغ الخبر ، وحفظ الغيب وامركم به خيرا . واني قد ارسلت اليكم من
 صالحى اهلى واولى دينهم واولى علمهم وامركم بهم خيرا فانهم منظور اليهم والسلام
 عليكم ورحمة الله وبركاته »

٥ — وفد اهزرى

وجاء الى المدينة ايضا وفد بنى زبيد برئاسة عمرو بن معديكرب الزبيدى
 ووفد بنى خولان ووفد الاشعريين وينسبون الى اشعر بن ادد وغامد وغيرها وكان
 وفد النخع آخر وفد قدم المدينة فى حياته وكانوا بايعوا معاذ بن جبل من قبل فكتب
 لهم الكتب يبين فيها شرائع الاسلام على مثال الكتب التى ائتمناها ويقال انه قال فى
 وفد الاشعريين حينما جاءوه : « اناكم اهل اليمن كانوا السحاب وهم خيار من فى
 الارض »
 وهكذا انتشر الاسلام فى اليمن وحضرموت ودخل هذا القطر العظيم فى الدين
 الاسلامى



المسجد العمري الكبير في صنعاء (اليمن)

Washington

Handwritten notes in the left margin, including the word "Washington" and other illegible text.



U.S. Capitol Building

وفود المسلمين الى اليمن

١ - وفد معاذ بن جبل

كان معاذ بن جبل الانصارى رئيس اول وفد اوفده المسلمون الى اليمن فقد اتدبه النبي على رأس بعثة قوامها عبد الله بن زيد ومالك بن عباد وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وامرهم بان يسافروا اليها ليعلموا أهلها الاسلام وقيموا الصلاة ويجبوا الزكاة والصدقات وهذا نص الكتاب الذى وجهه الى زرعة ذى يزن فى هذا الشأن :

« بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان رسول الله محمدا النبي ارسل الى زرعة ذى يزن انه اذا اتاكم رسلى فاصيكم بهم خيرا ، معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عباد وعقبة بن نمر ومالك بن مرة واحبابهم ، وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم وابلغوها رسلى وان اميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلب الارضيا »

ولما ازمع معاذ السفر مع اخوانه اوصاه النبي بالوصايا الآتية :

« يسر ولا تعسر ، و بشر ولا تنفر ، وانك ستقدم على قوم من اهل الكتاب يسألونك مامفتاح الجنة فقل شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له »

٢ - وفد عمرو بن هزائم الى نجران

وفى شهر ربيع الاول من السنة العاشرة اى بعد رجوع النبي من تبوك وكانت فى شهر رجب من السنة التاسعة ، جهز المسلمون سرية عددها ٤٠٠ مقاتل بقيادة

(م - ١٢)

خالد بن الوليد للزحف على بني الحرث بن كعب من نجران ، وكانت لم تسلم ولم توفد
وفدا الى المدينة

ونجران مخلاف (مقاطعة) يمانية كبيرة . واقعة في شمالي اليمن بينها وبين نجد
وعسير

وكان اهل نجران يدينون بالمسيحية بعكس جيرانهم الوثنيين ، وقد اوصى النبي
خالدا حينما سيره ، بان يدعوهم الى الاسلام قبل القتال ثلاث مرات ، فان دخلوا فيه
وقبلوه فيقيم بينهم يعلمهم الاسلام والكتاب وان ابوا فليقاتلهم

ووصل خالد الى نجران فنزل فيها وارسل الرسل في المدن والقرى يدعون
الناس الى دخول الاسلام ، ويقولون لهم اساموا تساموا فدخلوا في الدين فاقام خالد
بينهم يعلمهم ويرشدهم وارسل الى النبي من مقره هنالك الكتاب الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى محمد النبي رسول الله من خالد بن الوليد

السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا
هو . اما بعد يا رسول الله صلى الله عليك فانك بعثتني الى بني الحرث بن كعب وامرتني
اذا اتيتهم الا اقاتلهم ثلاثة ايام وان ادعوهم الى الاسلام فان اساموا قبلت منهم وعلمتهم
معالم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه وان لم يساموا قاتلتهم . واني قدمت عليهم فدعوتهم
الى الاسلام ثلاثة ايام كما امرني رسول الله وبعثت فيهم ركبانا قالوا يا بني الحرث اساموا
تساموا ، فاساموا ولم يقاتلوا وانا مقيم بين اظهريهم وامرهم بما امرهم به الله وانهاهم عما
نهاهم الله عنه واعلمهم معالم الاسلام وسنة النبي حتى يكتب الى رسول الله والسلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته

وعلى اثر وصول هذا الكتاب ارسل النبي الى خالد الرد الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي رسول الله الى خالد بن الوليد :

سلام عليك ، فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو : اما بعد فان كتابك

جاءني مع رسلك بنجران بان بنى الحرث قد اساموا قبل ان يقاتلوا واجابوا مادعوتهم اليه من الاسلام وشهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله وان قد هداهم الله بهداه فبشرهم وانذرهم واقبل وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

بيانه نبوى الى أهل اليمن

وعاد خالد على الأثر الى المدينة مع وفد منهم يعلن اسلامهم ودخولهم في الدين فلم يكتبوا طويلا في المدينة بل عادوا الى اوطانهم ، وارسل النبي معهم عمرو بن حزام يفتقهم في الدين ويعلمهم السنة و يأخذ صدقاتهم وزوده بالبيان الآتي وهو منشور عام الى اهل اليمن :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا بيان من الله ورسوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾

« عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه الى اليمن ، امره بتقوى الله في امره كله فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وامره ان يأخذ بالحق ، كما امره ان يبشر بين الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه ، وينهى فلا يمس القرآن انسان الا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ، ويشدد عليهم في الظلم ، فان الله كره الظلم ونهى عنه فقال : الا لعنة الله على الظالمين ، ويبشر الناس بالجنة ويعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويتألف الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسننه وفرائضه ، وما امر الله به ، والحج الاكبر هو الحج ، والحج الاصغر هو العمرة ، وينهى الناس ان يصلى احد في ثوب واحد صغير الا ان يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه ، وينهى الناس ان يحتبي احد في ثوب واحد يفضى بفرجه الى السماء ، وينهى ان يعقص احد شعر رأسه في قفاه ، وينهى اذا كان بين الناس هيج ، عن الدعاء الى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم الى الله عز وجل وحده لا شريك له ، فمن

لم يدع الى الله ودعا الى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى تكون دعواهم الى الله وحده لا شريك له

« ويأمر الناس باسباغ الوضوء وجوههم وايديهم الى المرافق وارجلهم الى الكعبين ويمسحون رؤوسهم كما امرهم الله ، ويأمر بالصلاة لوقتها، واتمام الركوع والسجود والخشوع ويغسل بالصبح، ويهجر المهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الارض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء اول الليل ، وامر بالسعي الى الجمعة اذا نودى لها والغسل عند الراح اليها »
 «وامره ان يأخذ من المغنم خمس الله، وما كتب على المؤمنين في الصدقة : من العقار عشر ماسقت العين وسقت السماء وعلى ماسق الغرب نصف العشر . وفي كل عشر من الابل شاتان وفي كل عشرين اربع شياه ، وفي كل اربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقرة تباع جذع او جذعة ، وفي كل اربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فانها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له
 «وان من اسلم من يهودى او نصرانى اسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الاسلام فانه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانته او يهوديته فانه لا يرد عنها، وعلى كل حالم، ذكر او اثنى، حر او عبد، دينار واف او عوضه ثيابا ، فمن ادى ذلك فان له ذمة الله وذمة رسوله ومن وضع ذلك فانه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا ، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته »

٣ - سرية على بن ابي طالب الثانية

وفي السنة العاشرة ايضا جهز المسلمون سرية عددها ٣٠٠ مقاتل للسير الى اليمن بقيادة على بن ابي طالب فاما وصلت الى هنالك فرق على اصحابه فأتوا بغنائم ثم لقي جمعا من الجاهليين فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج منهم رجل من مذحج يدعى الى المبارزة فبرز اليه الاسود بن خزاعي فقتله وصف على اصحابه وتهدى للقتال ثم هاجمهم وقتل منهم ٢٠ ففرقوا وانهمزمو

فف عن طلبهم قليلا ثم دعاهم ثانية الى الاسلام فاساموا وعاد بعد ذلك الى مكة بطريق المدينة

هذا مجمل ما أورده كتاب السير والمغازي عن هذه السرية ، وقد اغفلوا اسم الناحية التي قصدتها واسم المكان الذي دار فيه القتال ، واسم القبيلة التي نازلت المسامين . وي لوح لنا ان السرية هاجت قبيلة بنى مذحج وهي قبيلة من كندة وتجتمع مع قبيلة الاشعريين في ادد وكانت تنزل في شمالي اليمن بقرب حدود الحجاز ولم نعر على اسم لهذه القبيلة في جداول اسماء القبائل الموجودة بأيدينا مما يدل على انها انقرضت او اندمجت في غيرها وانما عثرنا على اسماء منازلها القديمة وعلى كل حال فقد كانت هذه السرية آخر سرية وجهها المسلمون الى اليمن ، كما كان القتال الذي يقولون انه دار بين رجالها واليمنيين هو القتال الوحيد الذي دار في سبيل الاستيلاء على هذا القطر العربي الكبير ومعنى ذلك انه لم يرق دم مسلم في سبيل فتحه بعكس الاقطار الاخرى ، ولو استشهد مسلم لما امسك المؤرخون عن تسجيل اسمه . وعاد على من غزوته تلك ، وكان النبي يحج حجة الوداع في شهر ذي الحجة من السنة العاشرة فشهدا معه

حضرموت تدخل في الاسلام

واصل الدعوة الاسلاميون الذين ارسلوا الى اليمن لنشر الدعوة الاسلامية عملهم وجابوا ذلك القطر تقريبا ، وكانت حضرموت في جملة البلاد التي دخلوها ونشروا الاسلام في ربوعها ، وكانت تعد يومئذ من مخاليف اليمن ، فدخلت بذلك في الاسلام وانقادت اليه ، ولم يشهر المسلمون في سبيل فتحها سيفا

وفود حضرموت في المدينة

وجاءت الى المدينة في السنة العاشرة وفود حضرموت وفي مقدمتها وفد كندة وعلى رأسه الأشعث بن قيس ، وكان عدد رجاله ثمانين ، فاستقبلهم النبي بعد عودته من تبوك ، ودخلوا عليه وقد تكلموا وعليهم جيب الخبز وقد كففوها بالحرير فسأل ألم يساموا ؟

— بلى

— فما بال هذا الحرير في اعناقهم ؟ شقوه منها فشقوه والقوه

وجاءت وفود اخرى من حضرموت

البحرين وعمان

معلومات جغرافية موجزة

فتح البحرين وعمان

مضمون مدخل في الاسلام

وهو من كتب الاسلاميين الذين ارسلوا الى اليمن ليشرك الدعوة الاسلامية عليهم
السلام في تلك البلاد التي سماها وكانت مضمون في حمة البلاد التي دخلوها وتشرى
الاسلام في زعمها ، وكانت بعد موت من مخالفاه اليمن ، فدخلت بذلك في الاسلام
والله اعلم بالصواب في بيان فضلها

من الامم التي جلا عنها

عاش في اليمن في السنة الفارسية وهو من مضمون من مخلصها بعد كذا
وهو من الامم التي جلا عنها ، وكان من مضمون في كتابه ، فاستعمله التي
سودت من اليمن ، وذلك في سنة الفارسية ، وكانوا عليهم حب الجاهل وقد كتبوا في التاريخ
في الامم التي جلا عنها

في كتابه في التاريخ في السنة الفارسية ، وكانوا عليهم حب الجاهل وقد كتبوا في التاريخ
في الامم التي جلا عنها

البحرين وعمان

معلومات جغرافية موجزة

البحرين ، او جزر اوال ، اسم لمجموع جزر متجاورة ، في خليج فارس هي المنامة ، والمحرق ، والرقاع ، ولحد ، والبديع تبلغ مساحتها السطحية ٥٥٢ كيلومترا وعاصمتها السياسية المحرق ، وفيها مقر شيخها ، وسكانها عرب ، وهي مشمولة بالحماية البريطانية في الوقت الحاضر

عمان ، مقاطعة عربية واسعة تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من جزيرة العرب وتمتد حدودها من ظفار في حضرموت حتى قطر على الخليج الفارسي ، ومن البحر العربي حتى الربع الخالي

وفي عمان اليوم حكومتان : حكومة مسقط وعاصمتها مسقط ، وحكومة عمان وعاصمتها نزوى وهي مقر الامامة الاباضية

ومساحة مسقط وعمان مجتمعين ١٤٠ ألف كيلومترا مربعا وطول ساحلها ٤٠٠ كيلومتر مربع وسكانهما عرب مسلمون . والاولى مشمولة بالحماية البريطانية ويشمل نفوذها الساحل والثانية مستقلة استقلالاً تاماً وتحكم داخلية البلاد

كيف اسلمت البحرين

كانت البحرين خاضعة خضوعا اسميا لدولة المناذرة في جنوبي العراق عند ظهور الاسلام ء فلما بدأ المسلمون بنشر دعوتهم ارسل النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى صاحب البحرين يدعو به الى الدخول في الاسلام فأسلم
وقدم في السنة التاسعة الى المدينة وفد عبد القيس من البحرين وعلى رأسه الجارود بن عمرو بن حنش احد بنى القيس فقابل النبي ﷺ فدعاه الى الاسلام فدخل فيه

كيف اسلمت عمان

كانت عمان تابعة للتبابعة في اليمن ثم انفصلت عنهم حينما ضعف امرهم ، ولما ظهر الاسلام وانتشرت دعوته قدم المدينة في السنة التاسعة وفد من الازد سكان عمان وعلى رأسهم صرد بن عبد الله الازدي فأسلموا وعادوا الى بلادهم

عروب الردة

أثر وفاة النبي في جزيرة العرب

عروب الردة

قوله النبوة

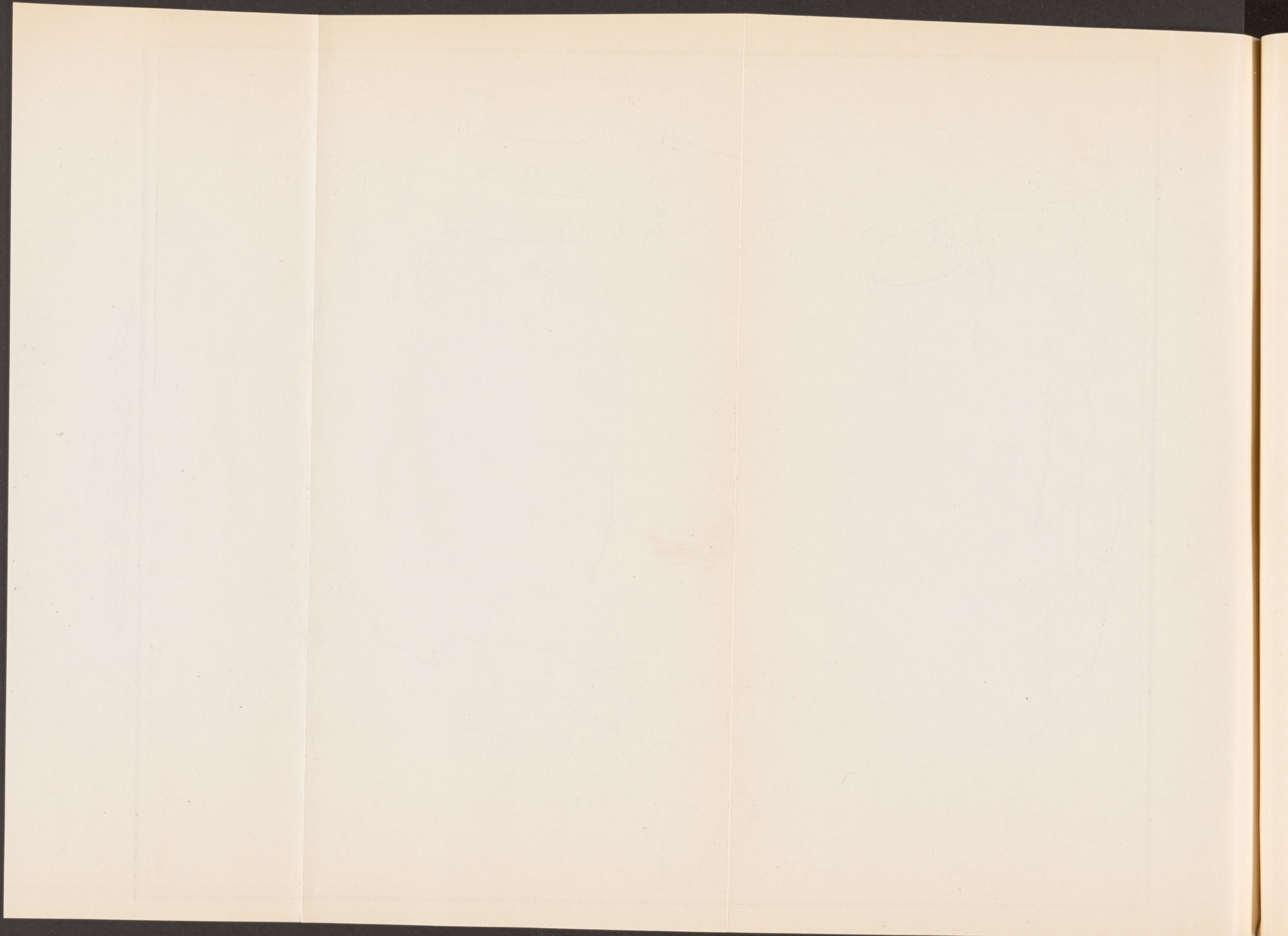
امر وفاة النبي في جزيرة العرب

في صباح يوم الاثنين ١٣ ربيع الاول سنة ١١ للهجرة (٨ مايو سنة ٦٣٣) قبض رسول الله ﷺ الى رحمة ربه وهو في الثالثة والستين من العمر ، قضى منها ٣٣ سنة يجاهد في تبليغ رسالته ، ونشر دعوته ، فأدرك من التوفيق والنجاح ماقرت به عينه وعين البشرية ، ورجعت نفسه الى ربها راضية مرضية

لقد جاء بدين هو افضل الاديان واكملها واسماها ، لم يلبث ان انتشر في اربعة اقطار المعمور فدخل فيه الناس افواجا افواجا ، وسن شريعة اجمع الباحثون على انها ارقى شريعة سماوية عرفها البشر في تاريخهم ، وأسس هيئة اجتماعية جديدة على دعائم ثابتة من الاخاء والمساواة والحرية ، كانت ارقى هيئة اجتماعية عرفتها جزيرة العرب فسادت العالم واكتسحت الامبراطوريات ، واقام حكومة عادلة ، تنصر الدين الحق وتؤيده ، وتوزع العدل وتضمنه ، وتحارب نظام الطبقات وتمقته ، وتنكر البدع والخرافات وتحاربها ، لا فضل لأحد فيها على أحد الا بالتقوى والاخلاص ، ولا كبير في عرفها ولا صغير ، فالكل سواسية امام شرعها ، واخضع اقطارا واسعة لم يسبق لعربي غيره ان اخضعها ، فكانت حدود الدولة الاسلامية حين وفاته تمتد من تبوك (اول حدود بلاد الروم) شمالا حتى بادية حضرموت جنوبا ومن البحر الاحمر غربا حتى خليج فارس شرقا وتنتظم الحجاز ونجدا وعسيرا واليمن وحضرموت والبحرين ولم يسجل التاريخ من قبله ان دولة عربية امتلكت هذه الاقطار وضمت مثل هذا الملك الضخم

ولم يستخلف احدا ولم يوص لأحد بالخلافة بل ترك الامر شورى بين المساميين
منفذا بذلك مبدأ من اجل المبادئ التي جاء بها

واحدثت وفاته ذعرا واضطرابا في صفوف المساميين ، وكانوا يحبونه اكثر مما
يحبون انفسهم ، ويعظمونه وييجلونهم ويحترمونه لسيرته الحسنة فيهم ، ولسمو
اخلاقه ، وتواضعه ولينه ، وانسه وبشاشته ، ولا يسه منصفيا يدرس سيرته حق
دراستها ، ويحيط بأخباره وما أوتي من الخلق العظيم الا الاعجاب به والتسليم بانه ليس
في استطاعة بشر مهما أوتي من المواهب والصفات ان يعمل ماعمله اذا لم تكن
هنالك قوى سماوية تؤيده ، وتمده ، وتنصره ، وتأخذ بيده ، وتيسر عمله



اول اجتماع سياسي في الاسلام

دل سير الحوادث على ان بعض خواص المسلمين لم يفاجاوا بموت النبي وان فوجيء به عامتهم وانتقض على رؤوسهم انقراض الصواعق ، يؤيد ذلك اجتماع جمهور من الانصار في سقيفة بني ساعدة ، لمبايعة سعد بن عبادة بالخلافة ، ولم تنقض ساعات على وفاته ، واعتزامهم البت فيها ، وجعل جمهور المسلمين امام حالة مبرمة ، ولو لم يسرع اليهم ابو بكر وعمر وابو عبيدة ويشتركوا في الاجتماع ويقنعوهم بعدم ملائمة الخطة التي اتبعوها لمصلحة المسلمين العليا ، لآتموا البيعة ولنادوا بمرشحهم خليفة

ويمكن القول ان مسامى المدينة انقسموا حين وفاته الى ثلاثة اقسام :

١ - فريق آل هاشم وهم آل وذووه وعصبته ، وكانوا يرون انهم احق بالخلافة عن سواهم ، وكان عمه العباس يخطبها لنفسه لانه وريثه الشرعى ومثل ذلك ابن عمه وصهره على بن ابى طالب فقد شهد معه المشاهد كلها ، وابى في نصرة الاسلام وتأييده وكان من السابقين الاولين . ومن اقطاب هذا الحزب الزبير بن العوام وابناء العباس وقليل من المهاجرين والانصار

٢ - فريق المهاجرين من قريش وكان يؤيد ابا بكر لما امتاز به من ميراث ولما نزلته من رسول الله ، ولانه اختاره للصلاة في مرض موته

٣ - فريق الانصار وكان يضم اكثريتهم المطلقة ويرى بان الخلافة يجب ان تكون فيهم لانهم نصروا الاسلام وايدوه ، ومرشحهم سعد بن عبادة زعيم الحزب وكبيرهم

ولا بد لنا من الاعتراف بان اقطاب الحزب الهاشمي شغلوا بغسل الرسول
وتجهيزه وتكفينه عن كل امر فلم يتسن لاحد منهم حضور اجتماع السقيفة وادلاء
دلوهم في الدلاء ولذلك اقتصر الامر على اقطاب الفريقين الكبيرين : فريق
المهاجرين وفريق الانصار وقد كتب الفوز للاولين فتم انتخاب مرشحهم وفازوا
فيما ارادوه

وبيان ما وقع ان فريقا كبيرا من الانصار اجتمع في سقيفة بني ساعدة - وكانت
قرب سوق المدينة - للبت في قضية الخلافة على اثر وفاة الرسول . ولم يشركوا احدا
من المهاجرين

ووصلت اخبار هذا الاجتماع الى ابي بكر وعمر وابي عبيدة وكانوا يشهدون
المآثم في المسجد فاسرعوا ومعهم بعض المهاجرين ، لشهوده وبدأ ابو بكر الكلام
نظمت خطبة طويلة تناول فيها تاريخ الاسلام من بدء ظهوره ، ونوه بمابذله المهاجرون
والانصار على السواء في سبيل تأييده ثم استطرد الى البحث في قضية الخلافة وابلان
ضرورة وجودها في قريش وخطب سعدا زعيم الاجتماع قائلا : « ولقد علمت يا سعد
ان رسول الله قال وانت قاعد ، قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم
تبع لفاجرهم » فقال صدقت
واستطرد ابو بكر فقال :

نحن الامراء واتم الوزراء لاتفتنون بمشورة ، ولا تفض دونكم الامور

الدعوة الى اميرين

وخطب الحباب بن المنذر وهو من بني جشم من الخزرج فدعى الانصار الى
الاتحاد والاتفاق وقال لهم « انتم اهل الغز والثروة واولو العدد والنعمة والتجربة ، وذوو
البأس والنجدة ، وانما ينظر الناس الى ما تصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم امركم »
وختم خطبته مقترحا ان يكون هنالك امير من المهاجرين وآخر من الانصار
جمعا للشمل وتوحيدا للكلمة

عمر بعارض في هذا الاقتراح

وعارض عمر بن الخطاب معارضة شديدة في تنفيذ هذه الفكرة - ففكرة تقسيم الخلافة بين اميرين - وقاوم فكرة انتقالها الى الانصار في خطبة طويلة خطبها فرد عليه الحباب بخطبة تمسك فيها برأيه ودعا الانصار الى الاتفاق والتمسك بالامارة وقال لهم « املكوا على ايديكم ولا تسمعوا مقالة هذا واحبابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر » فانبرى له عمر بن الخطاب ثانية وفند اقواله

ابو عبيدة يخطب

وخطب ابو عبيدة بن الجراح فنصح الانصار بالتزام الهدوء وقال لهم « انكم اول من نصر وآزر ، فلا تكونوا اول من بدل وغير » واسهب واطال

الانصار يعزلون خطبهم

واثرت هذه المناقشة في نفوس بعض الانصار الحاضرين فوقف بشير بن سعد وهو من بني زيد بن مالك الخزرجي فناشد قومه العدول عما اعتموا عليه وقال لهم « لئن كنا اولى فضيلة وجهاد وسابقة في هذا الدين فما اردنا بذلك الا رضاء ربنا ، وطاعة نبينا ، والفلاح لانفسنا ، فما يدبغى لنا ان نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبغى به من الدنيا عرضا . الا ان محمدا من قريش وقومه احق به واولى ، وايم الله لا يرانى الله انازعهم هذا الامر ابداء ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم »

الاوس تنضم الى المهاجرين

وانضمت الاوس الى المهاجرين والى بشير بن سعد ومن قال بقوله من الخزرج لانها رأت ان بقاء الخلافة في قريش قد يكون افضل لمصلحتها الخاصة ففشل الاجتماع وقضى على الفكرة التي اوحى به فد ابو بكر يده لمبايعة عمر فابى

ودعا عمر وابو عبيدة الناس الى بيعة ابى بكر لانه افضل المهاجرين و « ثانى
 اثنين اذ هما فى الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة اهم اركان الاسلام »
 وبدأ فبايعاه وتلاههما الناس فبايعه الانصار كما بايعه المهاجرون ولم يتخلف سوى على
 ابن ابى طالب ومن معه من بنى هاشم ولم يحضروا اجتماع السقيفة ، على ان عليا
 لم يبايعه الى ما بعد انقضاء ستة اشهر على بيعته ؛ وجرى الزبير سيفه وكان من الحزب
 الهاشمى واقسم ان لا يغمده حتى يبايع عليا فقال عمر خذوه منه واضربوا به الحجر
 برا يمينه ، وما زال به حتى حملاه على بيعة ابى بكر

ابو بكر الصديق

هو عبد الله بن ابي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن فهر بن مالك القرشي وامه ام الخير سامى بنت صخر بن عامر ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وهى بنت عم ابيه
كان من رجال قريش المعروفين فى الجاهلية ، وكان محببا فيهم ، وكان اليه الاشناق (الديات) وكان اذا حمل شيئا صدقته قريش ، وامضوا حمالته وحمالة من معه وكان من اعرفها بالانساب

كان يشتغل بالتجارة قبل الاسلام ، وقد نشأت بينه وبين الرسول صداقة قبل ان يبعث ، فلما بعث كان اول من آمن به من الرجال الاحرار واسلم على يديه كثيرون ، وروى بن اسحاق عن النبي انه قال « مادعوت احدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة وتنظر الا ما كان من ابى بكر ، ما علم عنه حين ذكرته له » اى انه بادر اليه

ولما اشتد اذى قريش على المسلمين فى مكة ، وهاجر اكثرهم ، بقى ابو بكر مع النبي حتى هاجر معه الى المدينة وحديث الهجرة معروف مشهور وكان ابو بكر يملك ثروة واسعة فى الجاهلية قدرت باربعين الف درهم انفقها كلها فى سبيل الاسلام ، وقيل انه كنى بابى بكر لابتكاره الخصال الحميدة ، ولقب بالصدىق بعد الاسلام لقبه به الرسول لانه صدق ما رواه عن حديث المعراج بدون تردد او تلغثم ، وسمى عتيقا لان رسول الله قال له « انت عتيق من النار » وكان الرسول يكرمه ويبيحله ويثني عليه وكان يقول « لو كنت متخذنا خليلا

لاتخذت ابا بكر خليلا» ودفع عقبة بن معيط عن النبي حينما حاول قتله عند الكعبة وهو يصلى وقال : يا قوم اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» وامره النبي على الحج في السنة التاسعة ، وشهد معه المشاهد ولم يتخلف عن واحدة منها واستخلفه عنه في الصلاة في مرضه الاخير

ومما يؤثر عنه انه كان يحلب لأهل الحى قبل الخلافة ، فلما بويع بالخلافة ، قالت جارية : ومن يحلب لنا الآن ؟ فسمعها فقال « بلى لعمرى لأحلبها لكم ، وانى لأرجو الا يغيرنى مادخلت فيه عن خلق كنت عليه » فكان يحلب لهم الشاء ، وربما قال للجارية تحبين ان ارغى لك او اصرح فأى الامرين احبت فعله

توفى يوم الجمعة ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣ اى بعد النبي بستين وثلاثة اشهر و ١٢ يوما وكان في الثالثة والستين

وتزوج في الجاهلية قتيبة بنت عبدالعزيز من بنى عامر بن لؤى فولدت له عبدالله واسماء ؛ وتزوج ايضا ام رومان بنت عامر من بنى غنم بن مالك فولدت له عبد الرحمن وعائشة وتزوج في الاسلام اسماء بنت عميس من خشم بعد ماقتل زوجها جعفر بن ابى طالب فولدت له محمدا وتزوج حبيبة بنت خارجة بن زيد من الخزرج فولدت له ام كلثوم فذكور اولاده ثلاثة ومثلهم الاناث

خليفة ابي بكر

كان اختيار ابي بكر لمقام الخلافة فوزا للفكرة الدينية الصحيحة التي جاء بها الاسلام ، فهو وان كان من قريش ، الا انه ليس منها في النروة ، ولا يعادل سعد بن عباد زعيم الخزرج عصبية ونفوذاً ، فاختياره دون المرشحين الهاشميين - وقد كان العباس طامعا فيها ومثله على ، ويرى ان انهما احق بها ، والانصارى وقد رأيت كيف جمع الانصار حوله - دل على رسوخ الفكرة الدينية في نفوس جمهور المسلمين الذين التفوا حول ابن ابي قحافة وناصروه لما امتاز به من صفات في الجاهلية والاسلام ولسبقه في الايمان ولقربه من رسول الله فقد كان ألصق الناس به واعرفهم باخلاقه واكثرهم تشربا بمبادئه فقد صحبه قبل البعثة وبعدها ، ولم يتركه لافى زمن الشدة ولا في زمن الرخاء ، فتشبع بروح الاسلام وعرف حقيقته وجوهره

وفضلا عن ذلك فاختيار ابي بكر للخلافة صان لقريش مقامها باعتبارها احد البناءها الاوفياء ورجالها الاصفياء وحفظ لها الزعامة السياسية والدينية وكانت تحرص عليهما ولا تتنازل بسهولة عنهما . ولا بد لنا من القول ان قريشا اقبلت بعد فتح مكة على تأييد الاسلام ونصرته لانها ادركت ان عزها في فوزها في فوزه

وكيفما كان الحال فان انتخاب ابي بكر كان موفقا من جميع نواحيه وقد اكسب الاسلام قوة ومنعة وكان من العوامل الكبيرة في انتشاره ونموه

اول بيان سياسى فى الاسلام

صعد ابو بكر المنبر غداة انتخابه ، فخطب المسلمين خطبة لاتزال يرن صداها فى اذن التاريخ ، ولا يزال الناس يتدارسونها من اربعة عشر قرناً ويعجبون بما انطوت عليه من مبادئ سامية وروح شريفة عالية ، قال :

« ايها الناس : لقد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينونى وان صدقت فقومونى

الصدق امانة والكذب خيانة

الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله

لا يدع احد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل

اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم »

تلك هى خطبة ابى بكر وهى على اختصارها برنامج سياسى ودينى واخلاقى جامع فقد انطوت على المبادئ الآتية :

١ - اعترف فى الفقرة الاولى بانه من عامة الشعب فليس له ميزة على احد ولا فضل ، ودعا الناس الى نصحه وشدازره ومساعدته اذا صنع مايرضيهم وعمل صالحا ، والى انتقاده وتقويمه اذا اخطأ وحاد عن جادة الصواب ، ولا تنطوى المبادئ الديمقراطية الحديثة على مبدأ افضل من هذا المبدأ واسمى منه

٢ - دعا المسلمين الى نبذ الكذب واتخاذ الصدق شعارا لهم ، ووصف الكذب بانه خيانة كما وصف الصدق بانه امانة ، والصدق من المبادئ الاخلاقية السامية

فأثبت انه يعنى بالاخلاق ويدرك منزلتها فى الأمم . وما تمسك بالصدق قوم الافازوا
ونجوا

٣ - اعان مبدأ المساواة المطلقة فى حكومته فقال : ان الضعيف قوى عنده حتى
يأخذله حقه وبالعكس ، ومعنى ذلك انه لا محاباة ولا مراعاة ولا تفاضل . والمساواة المطلقة
من القواعد الجوهرية التى جاء بها الاسلام

٤ - دعا المسلمين الى مواصلة الجهاد فى سبيل الله وقال لهم انه لا يدعه قوم الا
ضربهم الله بالذل ، ومعنى الجهاد الشرعى فى الاسلام الدفاع المشروع عن النفس
فكان ابا بكر يدعوهم الى تعزيز الدفاع الوطنى وعدم اهماله فتضرب عليهم الذلة .
وتسير الأمم كلها فى عصرنا هذا على هذا المبدأ : مبدأ تعزيز الدفاع الوطنى وتبذل كل
مرتخص وغال فى سبيله فلا يضرب عليها الذل ، ولا تذلل الا الشعوب الجاهلة الخاملة

٥ - دعا الناس الى طاعته مادام مطيعا لله ورسوله اى مخلصا للدستور (كما يقال
فى اصطلاح هذا العصر) والقرآن كان ولا يزال الدستور الصحيح للمسلمين يرجعون
اليه ويردون منه العذب الصافى ، كما دعاهم الى نبذ طاعته اذا خرج عن هذه الدائرة
اى خالف بتصرفاته ما نص عليه فى الدستور الاسلامى . ولا يقول بمثل هذا القول
اعظم ملك دستورى فى هذا العصر

وغنى عن البيان ان هذه المبادئ التى ضمنها ابو بكر خطبته تعد برنامجا سياسيا
من افضل البرامج الحكومية فى عصرنا الحاضر ولا تتعارض مع احدث النظريات
الدستورية والبرلمانية

الردة

رج موت النبي المدينة رجا ، واقام سكانها واقعدهم ، واثر في نفوس خاصتهم وعامتهم ، ولا سيما في نفوس الصحابة من المهاجرين والانصار فصعق بعضهم واغشى على البعض الآخر ، وامتاز ابو بكر عنهم - والرجال تعرف عند الشدائد - بما ابداه من رباطة جأش ، وقوه عزيمة ، وصبر وتحمل ، فهدأ روعهم ، وبرد لوعتهم وتلا عليهم قوله تعالى « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل »

وسرى مفعول هذا التأثير في جزيرة العرب ، فكان له رد فعل عظيم ، ووظن بعض اصحاب المطامع ان وفاته تساعدهم على تحقيق احلامهم بما تحدثه من اضطراب في بنيان الدولة الاسلامية الجديدة وبما تلقيه من زعر في نفوس المسلمين

وكانت مشكلة الخلافة في مقدمة المشاكل التي واجهت المسلمين بعد وفاة نبيهم ، فقد كاد يجر عدم استخلافه احدا ، الى خلاف داخلي بين المهاجرين والانصار لولا ان تداركه أقطاب الفريقين وحلوه على منوال صينت به الوحدة العامة وارتضته الكافة

ومشكلة جيش اسامة اول مشكلة واجهت حكومة ابي بكر . وخلاصة مايقال في صدها ان النبي امر - قبل ان يمرض مرضه الاخير - بتجهيز جيش يزحف الى الشام لاستطلاع حالة الروم ومهاجمة الاطراف (سنفصلها تفصيلا في الجزء الثاني حين الكلام على فتح الشام) فتجهز هذا الجيش وعدد رجاله ثلاثة آلاف وفيه عدد من كبار الصحابة وعيونهم ، وعهد بقيادته الى اسامة بن زيد بن حارثة وقد استشهد والده في غزوة مؤتة

وضرب الجيش مخيمه في الجرف (شمالي المدينة وعلى ٥ كيلومترات منها) وبينما هو يعد معدات السفر ، اشتد المرض على النبي ففضل رجاله الانتظار فلما ادركته الوفاة واستخلف ابو بكر ، راجت في دوائر المدينة فكرة تقول بوجود العدول عن تسيير هذا الجيش ، خوف الطوارئ ، واذا لم يكن ذلك في الامكان ، فتبديل قائده على الاقل ، وما كان عمره يزيد على العشرين مع ان تحت امرته عدد من شيوخ الصحابة واقطابهم كعمر بن الخطاب وغيره من السابقين الاولين الذين تجهزوا للمسير تحت لوائه ، طبقا للاوامر الصادرة ولم يحل دون ذلك سوى اشتداد المرض على رسول الله ، فرغبة رجال الجيش في الاطمئنان على صحته قبل سفرهم

وقاوم ابو بكر فكرة العدول عن تسييره بشدة ، كما انكر الاقتراح القائل بابدال قائده بمن هو اكبر سنا ، واكثر حنكة وغضب على مقترحه وقال له « يوليه رسول الله واعزله » ويروى انه امسك بلحية عمر بن الخطاب حينما كمله في هذا الشأن وقال له « عدمتك امك وشككتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله وتامرني ان انزعه » ويلوح لنا ان بعض بعيدى النظر من الصحابة خاف ان يؤدي زحف هذا الجيش الى البلقاء - ولا تقل المسافة بينها وبين المدينة عن الف كيلو متر لا تقطع في اقل من ٣٠ يوما ذهابا ومثلها ايابا - الى اضعاف قوة المساميين العسكرية في المدينة ، لانه كان يضم نخبة ابطالهم ورجالهم المجريين ، ويعمرى بعض القبائل بهم ، سيما وهم قريبو العهد بوفاة رسول الله مؤسس الدولة الجديدة وركنها الركين ، فاقترح على ابى بكر ما اقترحه من باب الاحتياط ، لانه ما كان يجهل نفسية رجال البادية ، فإخلاء المدينة من قوة عسكرية كبيرة يطمع هؤلاء وقد يحملهم على مهاجمتها ، وهو ما وقع فعلا ، ومع ما في هذا الرأي من وجهة فقد ابى بكر ان يأخذ به ، لاعتبارات جوهرية ربما كان في مقدمتها اعتقاده بانه ليس من حقه ان ينقض امرا ابرمه الرسول لما في ذلك من الجرأة ولانه قد يعد سابقة يجرى عليها الخلفاء من بعده ، فينتقض كل منهم ما ابرمه سلفه فتقع الفوضى والاضطراب ، وكان ابو بكر عدوا لهما .
وفضلا عن ذلك فان عدول المساميين عن تسيير هذا الجيش بعد ما تموا اعداد

معداته ، و بعد ما عرفت الغاية من تسييره ، قد يحمل في نظر القبائل على محمل الضعف والجن فيزيد في جرأتها على المسلمين ، اذا كانت تفكر في احداث حدث ، بدلا من ان يخيفها وي رهبها لانها تقول انه لولا ضعفهم لما استبقوه فتمنض للعمل اذا كانت لاتزال مترددة

وهكذا رجح رأى ابى بكر الآراء الاخرى وتقرر ان يسير الجيش لاتمام مهمته التي انتدبه لها رسول الله . واستأذن الخليفة ، قائده اسامة في ان يبقى عمر بن الخطاب لديه ليساعده في بعض المهام ؛ وكان عمر جنديا في جيش اسامة فسمح له ، وفي هذا الاستئذان ما يدل على حب ابى بكر للنظام وشدة احترامه له ، فقد كان في استطاعته ان يستبقى عمر لديه من دون طلب الاجازة ولكنه فضل ان يطلبها من القائد ، رعاية « لقاعدة التسلسل » وهي من القواعد المحترمة في الجيوش . ومع انه يتولى بحكم رئاسته منصب القيادة العليا للجيش الاسلامى فلم يشأ ان يطلب ما طلبه بصفة الامر بل بصفة الاستئذان وفي ذلك منتهى التواضع والمجاملة

وصية ابى بكر لاول جيشه بسيره

وخرج ابو بكر الى الجرف ، مكان مخيم الجيش ، ليشيع الجند حين سفرهم ، وخرج معه اسامة ، وكان هذا يركب فرسه ، فاراد النزول عنها فيركبها الخليفة ، وهو الشيخ الطاعن في السن ، فابى عليه ذلك مع انه اصغر من اولاده ، وقال له : ماذا على ابى بكر ان يغبر قدمه في سبيل الله . وهكذا ظل اسامة راكبا وابو بكر ماشيا ولاشك انه اراد بعمله هذا ان يضرب مثلا لرجال الجيش في وجوب احترام قائدهم وتعظيمه وتوقيره وذلك من أشد الضروريات لادراك الفوز والنجاح ولما ازف الرحيل ودع ابو بكر الراحلين وخطبهم خطبة طويلة في فضائل الجهاد واوصاهم بالوصية الآتية وهي من الوصايا الخالدة في التاريخ ولا تزال تكرر في كل عصر وزمان للعتة والاعتبار وهي تدل على سمو روح ابى بكر وعلى تشبعه بتعاليم الدين الاسلامى الصحيحة قال :

« لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تعدوا ، ولا تمثوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ، ولا بعيرا الا لما كلة

» وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا

انفسهم له

» وسوف تقدمون على قوم يأتونكم با نية فيها ألوان الطعام فاذا اكتم منها

شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها

» وتلقون اقواما قد فحصوا اوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصاب

فاخفقوهم بالسيف خفقا »

تلك هي وصية ابي بكر لجنده وقواده وهي تنطوي على اشرف المبادئ الانسانية واسماها ، وتختلف اختلافا كبيرا عن نظم الحرب وشرائعها التي كانت نافذة في ذلك الزمن ، زمن الروم ، وكانوا يعاملون سكان البلاد التي يغزونها ويفتحونها معاملة العبيد الارقاء فلمهم ان يقتلوهم او يبيعوهم او يستخدموهم كيفما شاءوا وارادوا ، ولا تنطوي شرائع الحرب الحديثة - وقد وضعتها الدول الاوربية في مؤتمر الهاي سنة ١٨٩٩ وتعدت باحترامها - على مبادئ افضل من هذه المبادئ رغم انقضاء ١٤ قرنا على هذه الوصية التي ارتجلها ابو بكر ارتجالا

القبائل التي ارتدت

ما كاد جيش اسامة يتعد عن المدينة في طريقه الى الشمال ، حتى وقع ماخافه بعيدو النظر من الصحابة فارتد بعض القبائل وظهرت بوادر الفتنة في المنطقة الشرقية خاصة وفي بعض المناطق الاخرى

وقد تجلت هذه الحركة في ثلاثة اشكال :

١ - في تجهز بنى عبس وذيبيان - وينزلون في شرقي المدينة - لمهاجمتها ونهب اموالها وما فيها اعتقادا منهم بان امر المسلمين قد انتهى بعد وفاة الرسول فلن تقوم لهم قائمة

٢ - في امتناع بعض قبائل اليمامة وغيرها من قبائل الشرق - وهي لم تسلم الا بعد فتح مكة - عن دفع الزكاة ، وطردها الجباة ومحصلى الاموال من ديارها

٣ - في انتشار صيت بعض مدعى النبوة في نجد واتساع نفوذهم وانشاء كل واحد منهم - وعددهم اربعة - دينا جديدا وانضمام بعض العامة والغوغاء اليهم وقتالهم معهم

ولا بد لنا من القول ان مفعول الردة او الانتقاض لم يكن واحدا في القبائل بل كان يختلف باختلاف الديار والنازل والبعد عن المدينة والقرب منها ، وصلة القبيلة نفسها بالاسلام والطريقة التي بها دخلت فيه ، وهل اعتنقته طائعة او اكرهت عليه ، ومقدار تأثيره في نفوس رجالها وابنائها ، وهل تشربوا تعاليمه ام لم يتشربوها لقرب عهدهم بها ، وهل كان بينها مدع يدعى النبوة ام لا ؟ فان لذلك اثرا لا ينكر في دراسة هذه المشكلة الخطيرة وهي أعظم مشكلة استهدفت لها الاسلام بعد وفاة مؤسسه ونجا منها بفضل اخلاص خليفته ، وقوة عزيمته ، وشدة بأسه

و بين الباحثين اختلاف في البواعث التي بعثت على الردة والعوامل التي عملت في تكوينها ، ومع ان بعض المستشرقين يرى ان للعوامل الاقتصادية المقام الاول في ظهور الردة وان تأثيرها كان اكثر ظهورا في القبائل التي دخلت حديثا في الاسلام او اعلنت اسلامها بواسطة الوفود التي اوفدها الى المدينة بعد فتح مكة وبعد انتشار الاسلام وظهوره بمظهر القوة ، الا اننا مع تسليمنا بوجاهة هذه الاعتبارات نرى في حركة الردة هذه حركة رجعية Reactionaire وتظهر هذه الحركة في الغالب عقب كل انقلاب سياسى يحدث في بلد من البلدان او قطر من الاقطار فيغير نظامه وشرائعه ، ويراد بها الرجوع الى النظام القديم وحيائه والتخلص من النظام الجديد والقضاء عليه ، و اى انقلاب سياسى او اجتماعى اعظم من هذا الانقلاب الذى جاء به الاسلام فبث في جزيرة العرب روحا جديدة ونشر فيها دينا جديدا لم تكن تعرفه ولا عهد لها بمثله قط

فالغاية من حركة الردة في نظرنا هي الرجوع الى النظام القديم وحيائه والتخلص من الاسلام وما يتطلبه من واجبات ثقل بعضها على نفوس بعض القبائل فقام يطالب بتعديلها آملا بان يعود الى ما كان عليه في الجاهلية حيث كان يعيش مطلق السراح لا يعرف منطقة اوسع من دائرة قبيلته ولا يعد نفسه مكلفا بشيء الا في داخل دائرتها الضيقة

وهذا بيان باسماء القبائل التي ارتدت وقاتلت المسلمين :

اسم القبيلة	منازلها	ملاحظات
فزارة وعبس	شرقى المدينة على طريق نجد	قاتلت فزارة وعبس واسد المسلمين تحت راية طليحة الاسدى مدعى النبوة
اسد	شرقى المدينة بجوار فزارة	قاتلت المسلمين تحت راية مسيلمة الكذاب
حنيفة (الجمامة نجد)	شرقى المدينة	

ملاحظات	منازلها	اسم القبيلة
		البحرين
		اليمين
		حضر موت
		عمان
		مهرة
		تهامة
		قضاة
	شمالى المدينة على ساحل البحر الاحمر	
خضعت بسهولة		
انقسمت الى		
قسمين قسم اقام	شرقى المدينة	سليم
على الولاة وقسم		
ارتد بيدانه مالمبث		
ان عاد نخضع	شرقى مكة	هوازن

تلك هي اسماء القبائل والاقطار التى ظهرت فيها حركة الردة ، والواقع ان المسلمين لم يلقوا من العناء فى اخضاع القبائل المرتدة ما لقوه فى اخضاع بنى اسد وحلفائهم من غطفان وكان يقودهم طليحة الاسدى ، وبنى حنيفة وكان يقودهم مسيلمة الكذاب ، مما يدل على تأثير دعوة هذين الدعيين فى نفوس قومهما واتباعهما فلولاها لم يك قتل يذكر يؤيد ذلك ما حدث فى المناطق المرتدة الاخرى ، فانه لم تكد تظهر خيول المسلمين ، او يشيع بين القبائل ان هؤلاء انتصروا فى بزاحة او عقرباء حتى عادوا الى خضوعهم وطاعتهم . وتختلف حركة اليمن عن حركة طليحة ومسيلمة لان مدعى النبوة فيها قتل قبل موت النبى ، ولذلك كان تأثير حركة الردة فيها ضعيفا بالنسبة لما جرى فى بنى اسد واليمامة

ويذكر المؤرخون أسماء قبائل يقولون انها تأثرت بحركة الردة ، ولكنها لم
تشر على المسلمين سيفاً ، وفي مقدمتها قبيلة طيء الكبرى ، فقد انضم بعض بطونها
اليهم غير انه ما لبث ان انسحب منهم وعاد الى صفوف المسلمين ، ومثل ذلك قبيلة
تميم فانها اسرعت فانضمت الى خالد حينما وصل الى بلادها ، وقد شهد بعض كبار
الصحابة بان بنى يربوع من تميم اذنوا عند وصولهم اليهم اعلاناً بتمسكهم بالاسلام ،
وقد اتفقوا على خالد بن الوليد تصرفاته معهم . وكذلك كان شأن قبيلة بنى عامر
فانها قدمت الطاعة لخالد عند ما جاء بلادها

وظلت القبائل الاخرى النازلة غربى المدينة وجنوبها و بعض قبائل الشمال
والقبائل الضاربة بين الحرمين ومعظم القبائل النازلة حول مكة وشرقيها وفي مقدمتها
ثقيف وهذيل ولحيان على الطاعة وقد انضم بعضها الى المسلمين وقاتل معهم ودافع عن
المدينة حينما هوجمت

مدعو النبوة وهركة الردة

طليحة الاسدى - مسيامة بن حبيب - الاسود العنسى - سجاح بنت الحارث

اطمع الفوز العظيم الذى ادركه صاحب الشريعة الاسلامية بعض قصيرى النظر من ابناء القبائل الضاربة فى نجد واليمن ، فظنوا ان استطاعتهم ان يبلغوا مبلغه ، وينالوا مكاتته بعبارات ينمقونها ، وسجع يرسلونه ، فظهر اربعة منهم فى وقت يكاد يكون واحدا ، فلاقت دعوتهم هوى من نفوس قبائلهم وكان بعضها يحسد قريشا على منزلتها ، فانضمت اليهم ووالتهم ، املا بان تنال على يدهم ما نالته قريش على يد محمد ابن عبد الله

واول هؤلاء الادعياء واعظهم شأنًا مسيامة بن حبيب الحنفى من بنى حنيفة (نجد) وثانيهم الاسود العنسى من بنى عنس (اليمن) وثالثهم طليحة الاسدى من بنى اسد (الحجاز) ورابعهم سجاح بنت الحارث وهى تغلبية (العراق) ويقال ان اصلها من بنى يربوع من تميم النجديين

واعتمت بعض هؤلاء فرصة الاضطراب الذى شمل الجزيرة على اثر وفاة النبي ، والجزع الذى استولى على النفوس فنشطوا واستمالوا كثيرين من الانصار والمؤيدين الذين طمعوا فى الفوز على يدهم

على انه ما كاد خالد يضرب طليحة ضربته الكبرى فى بزاحة حتى تفرق انصاره

وعدوا الى حظيرة الدين الاسلامي ، وكان كذلك شأن بني حنيفة انصار مسيامة ،
اما القبائل الاخرى التي لم يقيم فيها نبي ولم يظهر بينها دعي فلم تقاوم مقاومة تذكر بل
اسرعت الى الخضوع وتقديم الطاعة حينما طلعت عليها خيل المسامين وحينما تبين لها
انهم لا يزالون اقوياء يحطمون رأس كل من تحدته النفس بالانتقاض عليهم او
الخروج على جماعتهم

لئن كان ظهور طليحة متأخرا عن ظهور زملائه الثلاثة وهم مسيامة بن حبيب والاسود العنسي وسجاح الا ان وقوع بلاده على مقربة من المدينة ، ومهاجمة بعض انصاره لها وبدء المسامين بقتاله ، يجعلنا نقدم « ترتيبه » ونبدأ في الكلام عليه ثم نفصل بعد ذلك حديث زميله الآخر مسيامة وقد ثنى به خالد بن الوليد بعد انتصاره على بني اسد في بزاخته وتذكر بين ذلك حديث سجاح ، فشأنها دون شأنهما ، وان كان يدل على ان المرأة لاتقتأ في كل عصر وزمان تقلد الرجل وتحرص على ان تحذو حذوه في كل عمل يعمله ، ثم تذكر حديث الاسود العنسي وامره بسيط بالنسبة الى امر صاحبيه

مه هو طليحة الاسدى

اذا صح مايقال وهو ان اسدا من تميم ، فيكون اثنان من مدعى النبوة من نجد ، واذا الحقنا بهما سجاح ويقولون انها من بنى يربوع التميميين فيكون الثلاثة الذين ادعوا النبوة واوقدوا تلك الفتنة الكبرى نجديين ولم تسلم قبيلة بنى اسد الا بعد فتح مكة ، فقد قدم وفد لها المدينة في سنة تسع فاساموا وقالوا يارسول الله اسامنا ولم نقاتلك كما قاتلتك العرب فزلت في حقهم هذه الآية ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وبعد ما اقاموا في المدينة اياما يتعلمون الفرائض عادوا الى بلادهم

اما طليحة الاسدى نفسه فقد اجمع الرواة على انه شهد حجة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة فأثر فى نفسه ما رآه من عظمة مقام النبوة ، فلم يتالك ان نهض يدعيها فى قومه حينما وصلت الاخبار بوفاة النبي

وينزل بنو اسد على منتصف الطريق بين الحجاز ونجد الى جنوبى جبل شمر وتبعد منازلهم عن المدينة نحو ٣٠٠ كيلومتر . ويقال فى بعض المصادر انهم اجتمعوا بعد الردة فى السمراء ، ولا يزال هذا المكان موجودا ويظهر فى الخريطة ، ويقدر عدد مقاتليهم بأربعة آلاف ، عدا الذين انضموا اليهم من الاحلاف

ولقد كانت قبيلة غطفان وتتألف من فزارة وعبس وذبيان - وتنزل فى شرقى المدينة على بعد ١٢٠ كيلو مترا فى الربدة (الحناكية) - اول قبيلة انضمت الى بنى أسد ومالاتهم على المسلمين

ولغطفان - جارة المدينة فى الشرق - مواقف معروفة ازاء المسلمين فقد اسرفت فى عدائهم وكانت مع الذين انضموا الى الاحزاب يوم الخندق ، فرحفت على المدينة واشتركت فى حصارها ، ولم تسلم الا بعد فتح مكة ، مع ان عينه بن حصن كان فى جيش الفتح وورد اسمه فى قائمة قواده ، ولعل ذلك كان قبل ان تسلم قبيلته كلها وقدمت غطفان لطيحة ٧٠٠ فارس اشتركوا فى المعركة التى دارت بينه وبين المسلمين وكانت تطمع ان تتغلب بواسطته على قريش وتنتزع منها الزعامة والنفوذ ، ولعل هذا هو العامل الاول - بعد الحقد الشخصى - فى ابرامها الحلف مع جيرانها الشرقيين (بنى اسد) وانضمامها اليهم

وبيان ما وقع ، ان خارجه بن حصن ، اخا عينه سيد غطفان ، اوقف جابى الزكاة غب وفاة النبي ، وسلبه ما جمعه من صدقات بنى فزارة واعاده الى المدينة صفر اليدى . ولعل ذلك حدث قبل ان يجهر طليحة بدعوته ، فلما جهر بها اسرعت غطفان فانضمت اليه وحالفته لانها كانت فى حاجة الى حلفاء بعد ما آذنت المسلمين

بالحرب وانتقضت عليهم ، لمعرفتها انها عاجزة عن مقاومتهم والتغلب عليهم
وقصد عيينة بن حصن نفسه والاقرع بن حابس ومعهم عدد من وجوه القوم
المدينة ، على اثر حادث سلب المال ، فقابل الخليفة الجديد ابا بكر ، وخطبه طالبا اعفاء
غطفان من الزكاة (الضرائب) لفقرها على ان تقيم الصلاة وتؤدى الفرائض الاخرى
التي فرضها الاسلام ، فلم يتردد الخليفة في رفض الاقتراح وابتى الدخول في اى
مساومة ، وقال كلمته المأثورة « والله لو منعونى عقاب بغير كانوا يؤدونه رسول الله
لقاتلتهم عليه » حينما خطبه بعض الصحابة مقترحا عليه التساهل واللين لضعف حالة
المسلمين

وما كان ابو بكر يجهل سوء نية غطفان وكونها تنشد الشر وتسعى اليه وتطمع
في غزو المدينة واستباحتها ، ولم يخف عليه انها ارادت من ارسال وفدها ان تعجز
عود المسلمين ، وتعرف عدد قواهم ، وما يملكونه من معدات فتهاجمهم وتصيب منهم
غرة ، يؤيد ذلك دعوته الصحابة الى اجتماع عقده في المسجد على اثر سفر الوفد
العطفانى ، فقد تكلم عن خطورة الموقف واقترح انشاء حرس عسكري لحماية المدينة
يتناوب رجاله العمل في الليل والنهار خوف مفاجأة العدو وقال لهم في ما قاله « انكم
لا تدرن ائليلا تؤتون ام نهرا وادناهم منكم على بريد »

وزيادة في الاحتياط اقام رجالا في الابراج لمراقبة طرق البادية ورصد حركات
القبائل ، وأعد قوة عسكرية حول المسجد (مركز الحكم والقيادة العليا)
استعدادا للطوارئ ولاستخدامها عند الحاجة ، اى انه جعل المدينة في شكل منطقة
عسكرية وأعد عدته للحوادث واقام يرقب سيرها فلا تباغته ولا تأخذه على غفلة ،
وكتب الى القبائل القريبة والموالية فلبته وانجده ، ويقال ان جهينة وحدها ارسلت
اليه ٤٠٠ مقاتل

الهجوم على المدينة

ولقد جاء سير الحوادث مؤيدا لرأى ابى بكر ودالا على بعد نظره فانه لم تنقض

ثلاثة ايام على رجوع الوفد الغطفاني الى قومه حتى اسرعوا فأغاروا على المدينة ليلا ينشدون فرصة للسلب والنهب ، فاكتشفت امرهم العيون التي اقامها ابو بكر ، كما بادر حينما وصل اليه الخبر الى لقاءهم ، وسار حتى ذى القصة (مكان في شرقي المدينة على طريق الربدة (الحناكية) ولا يعرف مكانه بالضبط وإنما يرجح ان يكون غير بعيد من المدينة)

وحاول بعض الصحابة صده عن الخروج بالنفس وناشده الله الا يفعل فمقامه في المدينة اشد خطرا على العدو فأبى ذلك واقسم ليسيرن اليهم وقال انه لا يرى لنفسه ادنى ميزة على المسلمين ، وبر بقسمه فسار حتى التقى بفريق المرتدين من غطفان ، فقاتلهم وهزمهم ، وذلك قبل وصول جيش اسامة ، وشاع ذلك بين القبائل وعرف رجالها ان المسلمين فازوا في اول معركة دارت فاسرع الأكترون الى ارسال صدقاتهم بعد ما ترددوا في اول الامر ولا تزال هذه طبيعة القبائل العربية حتى اليوم في داخل الجزيرة فيلتزم معظمها الحياد غالبا في كل نضال ينشب حتى اذا ما كتب الفوز لأحد القريريين بادر الى الانضمام اليه وتقديم الطاعة له

واستقرت الامور بعض استقرار بعد انتصار ذى القصة او البقعة - وكلاهما اسم لمسمى واحد - وزال الخطر الذي كان يهدد العاصمة ، ووصل جيش اسامة عائدا من غزوته من الشمال ، وي لوح لنا انه لم يبلغ البلقاء بل اكتفى بغزو قضاة ، ودليلنا على ذلك ما رواه المؤرخون وهو ان مدة غيابه عن المدينة لم تزد على اربعين يوما ، وهي مدة قصيرة لا تكفي لبلوغ البلقاء والرجوع منها ، ويرى بعضهم ان اقطاب الجيش رأوا ان لا يوغلوا في زحفهم نحو الشمال بعد ما وصلت اليهم الاخبار بوقوع الاضطراب وبارتداد بعض القبائل فأسرعوا بالعودة بعد ما ضربوا قضاة ، وعادوا سالمين فقرت بوصولهم عيون المسلمين واصبحوا يملكون من القوى المنظمة المدربة ، التي اعتادت خوض القتال ، ما يضمن لهم الغلبة والانتصار على القبائل المرتدة واعادتها

الى حظيرة الطاعة ، فشتان بين حالة الجيش الاسلامى فى ذلك الحين - وقد كان مستكمل المعدات ، موحد القيادة - وبين حالة القبائل المرتدة فلا قيادة عامة توحد بينها ولا حكومة تؤيدها وتجمع لها القوى والانصار

وجاءت الاخبار الى المدينة بان قوة من المرتدين تجمعت فى الابرق (وهو مكان لبنى ذبيان فى شرقى المدينة) نفرج ابو بكر بالقوة التى سار بها الى ذى القصة بعد ان انضم اليه فريق من جيش اسامة فباعثهم وكانوا من قبائل عبس وذبيان وكلاب وهزمهم شرهزيمة فارتدوا الى السميراء وانضموا الى المرتدين من بنى اسد وهم جيرانهم اى انهم اوغلاوا فى الارتداد نحو الشرق ليعبدوا المسلمين عن مركز تجمعهم ، فعاد ابو بكر برجاله الى ذى القصة ولم يطل المقام فيها بل ابقى فيها قوة كافية لمقاومة المرتدين وصددهم اذا حدثهم انفسهم بمواصلة القتال ، وعهد بقيادة هذه القوة الى خالد ابن الوليد وكان بين رجاله وعاد هو الى المدينة

واصدر اوامره الى المسلمين بان يقصدوا ذى القصة فتكون مركز احتشادهم فى هذه المرحلة ، فقصدتها جموعهم فلما تكاملوا سار اليهم بنفسه وقسمهم الى احد عشر لواء وعين لكل لواء قائدا وهذه اسماء القواد والمناطق التى اتسبوا للعمل فيها :

- ١ - خالد بن الوليد وقد وجهه الى طليحة الاسدى ببزاحة فاذا فرغ منه قصد مالك بن نويرة بالبطاح
- ٢ - عكرمة بن ابى جهل الى اليمامة لمقاتلة مسيلمة الكذاب
- ٣ - شرحبيل بن حسنة الى اليمامة ايضا فيكون بمثابة قوة احتياطية لعكرمة
- ٤ - المهاجر بن امية الى صنعاء
- ٥ - حذيفة بن محصن الى عمان
- ٦ - عرفة بن هرثمة الى اهل مهرة (خليج فارس)
- ٧ - سويد بن مقرن الى تهامة
- ٨ - العلاء بن الحضرمى الى البحرين

٩ - حذيفة بن حجاز الى بنى سليم ومن معهم من هوازن

١٠ - عمرو بن العاص الى قضاة

١١ - خالد بن سعيد الى مشارف الشام

مفسور ابى بكر الى المرتبة

وقيل ان يتفرق الناس ويسير الجند ، كتب ابو بكر الى اهل كل قطر تردد
او ارتد كتابا يحذرهم فيه من التورط ويقول بعد البسملة والمقدمة :

« وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد ما اقر بالاسلام وعمل به
اغترارا بالله وجهالة بأمره ، واجابة للشيطان قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ
فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ وقال ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ
لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

« ولقد انفذت اليكم فلانا » ويذكر اسمه « في جيش من المهاجرين والانصار
والتابعين باحسان وامرته ان لا يقاتل احدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله فمن
استجاب له واقرب وكف وعمل عملا صالحا قبل منه واعانه عليه ، ومن ابى امرته ان يقاتله
على ذلك ثم لا يبق على احد منهم قدر عليه ، وان يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة وان
يسبى النساء والذراري ولا يقبل من احد الا الاسلام فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه
فلن يعجز الله . وقد امرت رسولى ان يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم والداعية
الاذان فاذا اذن المسلمون فأذنوا كف عنهم وان اقروا قبل منهم وحملهم على
ما ينبغي لهم »

عهد الى قواده

و بعد ان سير الرسل بالكتب الى الامصار كتب الى قواد جنده الكتاب الآتى وقد ضمنه تعليمات صريحة لهم فى الخطة التى يسرون عليها ويتبعونها قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد من ابى بكر خليفة رسول الله الى القائد (و ذكر اسمه) حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام وعهد اليه ان يتقى الله ما استطاع فى امره كله سره وعلانيته ، امره بالجد فى امر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام الى امانى الشيطان ، بعد ان يعذر اليهم فيدعوهم بداعية الاسلام فان اجابوه امسك عنهم وان لم يجيبوه شن غارته عليهم ، حتى يقروا له ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذى لهم لا ينظرهم ولا يرد المسامين عن قتال عدوهم ، فمن اجاب الى امر الله عز وجل واقرله قبل ذلك واعانه عليه بالمعروف وانما يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله فاذا اجاب الى الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسربه

« ومن لم يجب داعى الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه ، لا يقبل من احد شيئاً اعطاه الا الاسلام فمن اجابه واقر عليه قبل منه وعلمه ومن ابى قاتله فان اظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما افاء الله عليهم الا الخمس فانه يبلغاه

« وان يمنع اصحابه العجلة والفساد وان لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لا يكونوا عوناً ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم ، وان يقتصد بالمسامين ويرفق بهم فى السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصى بالمسامين فى حسن الصحبة ولين القول »

عدد الجيش الاسلامى

ويقدر عدد الجيش الاسلامى الذى اجتمع فى ذى القعدة بعشرة آلاف مقاتل ،
 ظل عددهم يزداد تدريجاً بما كان الخليفة يرسله اليهم من نجدات و بمن انضم اليهم
 من ابناء القبائل الاخرى التى لم يطل امد تردها حتى انضمت اليهم وقاتلت فى صفوفهم
 حينما رأت ان كفتهم الراجحة حتى قدر عدده عند انتهاء حرب الردة وقد امتدت
 نحو سنة تقريباً بعشرين الف مقاتل ، احتشد الجانب الاكبر منهم فى نجد وهم
 الذين اتدبوا بعد ذلك لغزو فارس وفتح العراق فأدوا مهمتهم على الوجه الأكمل
 ودكوا ملك الاكاسرة واستولوا على ممالكهم واستقرأ كل ذلك مفصلاً

خالد في هروب الردة

كانت المهمة التي عهد بها الى خالد بن الوليد في حروب الردة من اشق المهمات واصعبها ، فقد كان عليه ان ينازل المرتدين من بني اسد وخطفان وفزارة وكان موقف جارتهم طيء مبهما حتى ذلك الوقت ، وتعد من القبائل الكبرى في نجد والذي عليه الاكثر ان جيش خالد ما كان يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل في اول امره اما قوة بني اسد فما كانت تقل عن أربعة آلاف انضم اليهم الفان من بني فزارة بينهم ٧٠٠ فارس ، ومعنى ذلك انه كان عليه ان ينازل قوات يبلغ عددها ضعف عدد رجاله في منطقة واسعة تحدها من الشرق الدهناء وهي الساحة الرملية الممتدة من الشمال الغربي الى الشرق الجنوبي في شرقي القصيم ، ومن الشمال جبل شمر (بلاد طيء) وتمتد جبالها من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، وفيها اودية كثيرة من جملتها وادي حایل ويبتدىء من بزاخة طيء ويقصل بين جبلي اجا وسامى ، ويحده من الغرب حرة خيبر ومن الجنوب هضبة وادي الرمة وينزل بنو سليم في شماليها وبنو عامر في جنوبيها

وينزل بنو اسد في الساحة الواسعة الى شمالي وادي الرمة وجنوبي فيد واطابة وغربي السميراء والظهران والسليبة وراية الغمر وهي من اراضيهم وتشرف على وادي الغمر وينبع ماؤه من سفح جبل الوشم الشمالي ويصب في الكهنة ، وتقع بقربه بزاخة وقد دارت فيها المعركة الفاصلة بين خالد المرتدين

وكان مصير نجد - لامصير بنى اسد - يتوقف على نتائج هذه المعركة فاذا تغلب خالد عليهم وهزمهم انضمت اليه قبائل طيء الكبرى وتنزل على مقربة من

بنى اسد ، ولم تكن حالتها على مايرام . ويؤكد بعض الرواة انه لولا تدخل عدى بن حاتم الطائي وسعيه الخبيث عند قومه لانضموا من اول الامر الى المرتدين فهو لم يوفق الى اقناعهم بالتزام الحياض ترقبا لنتيجة المعارك الاولى الابشق الانفس ، وكذلك كان شأن تميم تقريبا فكانت مترددة مضطربة ، منقسمة على نفسها ، فمنها من كان يؤيد المسلمين ظاهرا ، ومنها من كان يتردد و ينتظر النتيجة

وسلك خالد في طريقه من ذى القصة الى بزاحة طريق الربرة و وادى الركة ثم انحدر الى وادى الرمة وقبل أن يصل الى منتصف الطريق مال الى اليسار متظاهرا بأنه يقصد اراضى طيء ، وما كان يريد ان يذهب بالذات وإنما كان يريد ان يقوم بمظاهرة عسكرية في ديرتهم فيرهبهم ويمنعهم من الانضمام الى المرتدين ، وقد اثرت مظهرته هذه تأثيرا حسنا وحملت طيئا على الخضوع لانها اقترنت بالجهود الكبرى التي بذلها عدى بن حاتم سيد طيء فقد حذر قومه من عاقبة التورط فى العداة فطلبوا اليه ان يؤخر تقدم خالد حتى يسترجعوا من لحق بغطفان من رجالهم فقابل عدى خالدا فى السبيح وطلب اليه ان لا يغادر مكانه حتى يعود الطائيون من بزاحة الى منازلهم ، وارسل الى هؤلاء قومهم يقولون لهم ان خالدا يستعد للهجوم على منازلهم فيجب ان يعودوا اليها ، وتلك طريقة ابتكروها لتلايدعوا وسيلة لطليحة فيحملهم على البقاء ، فلما وصلهم الخبر عادوا الى منازلهم فكان ذلك اول فوز عسكري ادركه خالد ولم يباشر حربا . ويؤكد بعض الرواة ان بنى طيء قدموا لخالد الف مقاتل انضموا الى جيشه قبل رحيله الى بزاحة

تدابير خالد العسكرية

قدم خالد على طليعته حينما زحف على بزاحة ، عكاشة بن محصن وثابت بن اقرم فباغت المرتدون الطليعة وقتلوا قائديها ، مما يدل على تأهبهم واستعدادهم ، وكان حبال وسامة اخوا طليحة يقودان جناحى بنى اسد وقاد عينته بنى فزارة قومه حين المعركة ووقف طليحة فى القلب وحوله ٤٠ من فتيان بنى اسد يقاتلون دونه

وعبأ خالد جيشه فجعل رجال القبائل في الجناح الايمن والمهاجرين والانصار في الجناح الايسر وتولى هو قيادة القلب وفيه فريق من رجال القبائل ايضا وصدق طليحة وانصاره الحملة في ابتداء القتال فتغلبوا على جناح المساميين الايمن وضعوه فانسحب الى الورا وزلزل الجناح الايسر فأسرع خالد فحمل بمن كان معه في القلب وهو ينادى يا انصار الله فأقبل المتراجعون على ندائه وكرروا معه فاشد القتال واستبسل الفريقان واستقتلوا وترجل خالد عن ظهر جواده وقتل راجلا وحاول بعض رجاله ان يحمله على الخروج من صف القتال فابى وواصل النضال حتى دارت الدائرة على المرتدين وانهمزم جناحهم وبقى طليحة في القلب وحوله فتيانه فقتلوا جميعا فانسحب الى الورا يتحين الفرص للهرب وقد التف بردائه وجاءه عيينة بن حصن حينما ظهر تفوق المساميين يسأله هل اتاه الوحي ؟

- نعم

- بماذا

- انه يقول « ان لك رحي كرحاه ، وحديثا لا تنساه » فنادى عيينة في قومه « يا بني فزاره انصرفوا فهذا والله كذاب » وسقط عيينة نفسه اسيرا في يد خالد فكبله بالحديد وارسله الى المدينة ليحكم ابو بكر في امره ، ونجا طليحة على فرس اعداها من قبل واخذ معه امرأته وقال لقومه « من استطاع منكم ان يفعل مثل ما فعلت و ينجو بأهله فليفعل » فتفرقوا وانهمزوا

وما كادت الحرب تضع اوزارها حتى اقبل الكثير من بني اسد وغطفان الى خالد يجددون اسلامهم و يعلنون ندمهم ، و يظهر ون حسرتهم على ما فرطوا وغنم خالد مغنم كثيرة من بني اسد ، ونزع سلاح هذه القبيلة كلها

وبث من مقامه في بزاحة السرايا لمطاردة المنهمزين فالتقى بعضها بفريق منهم في جبل رمان جنوبي جبل سامي فهزمتهم واسرت كثيرين منهم وغنمت اسلحتهم والتقى غيرها بغيرهم في الابان الابيض والابان الاسود وهما رايتان على جانبي وادي الرمة فقالتهم واسرت عددا منهم وغنمت اسلحتهم وخيلهم

وغازر خالد بزاخته وسار حتى نزل بين اكناف جبل سامى واجا ، ولعله اراد من ذلك تهديد بنى عامر وكانوا ينزلون فى تلك الديره وان يفعل معهم مايفعل بنى طيىء ولم يتردد هؤلاء فى ارسال وفودهم اليه لتجديد اسلامهم فقبل ذلك منهم بعد ما فرض عليهم كمية من السلاح قدموها الى الجيش ، جزاء ترددهم فى اول الامر وبذلك خضعت هذه القبيلة للمسلمين

وجاءت الاخبار الى خالد بان فريقا من المرتدين اجتمع فى ظفر وهى مكان بالقرب من حوآب على الطريق بين البصرة والمدينة ويقع الى شرقى بزاخته جمعهم ام زمل سامى وشجعهم على المقاومة فسار اليهم وقتلهم وهزمهم وقتلت ام زمل نفسها فى المعركة . ولما انجز امر بنى اسد وغطفان وطيىء وعامر واعادها الى الطاعة وتعد من اقوى القبائل واعظمها شأننا اتجه نحو بنى تميم ، وكانت قوة كبرى يخشى بأسها فى الشرق

كان لانتصار خالد العظيم في بزاخة وانضمام طيء وبنى عامر اليه وخضوع غطفان واسد واظهارها الندم ، دوى كبير بين قبائل الجزيرة ، اخافها وارعبها ، فعاد معظمها الى الاسلام ، وقدم الخضوع والطاعة والجند والمال والسلاح فاستعاد المسلمون هيبتهم ومقامهم وعكفوا على انجاز عملهم العسكري لاختضاع القبائل الباقية التي ظلت في خارج الحظيرة وفي جملتها بنو تميم

وتختلف حالة بنى تميم عن حالة بنى اسد وغطفان فقد كانوا منقسمين الى بطون وقبائل استحكمت بينها الخلافات ، وتمت الحزازات ففرقت كلتها والقت العداوة والبغضاء بينها وتنقسم تميم في الاصل الى اربعة انفاذ :

١ - الرباب وهم من ضبة وعبد مناف وزعيمهم الزبرقان بن بدر

٢ - عوف والانباء ومقاعش وهم من شعب سعد بن زيد بن مناة وزعيمهم

قيس بن عاصم

٣ - مهدي وخثعم وزعيم الاولى صفوان بن صفوان وزعيم الثانية سبرة

ابن عمرو

٤ - حنظلة ويربوع وهم من بنى مالك وزعيم حنظلة وكيع بن مالك وزعيم

بنى يربوع مالك بن نويرة

وقدم وفد بنى تميم على المدينة (انظر ص ١٦٢) وفي جملته الزبرقان بن بدر

وقيس بن عاصم ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة فدخلوا في الاسلام فعينهم النبي

على صدقات قومهم واعادهم الى منازلهم ، فلما توفي ، ارتد بعض القبائل واقام بعضها

على الوفاء للإسلام وفي مقدمتهم الزبرقان بن بدر سيد الرباب وارسل الزكاة ومنهم من تردد وبين هؤلاء مالك بن نويرة سيد بني يربوع وكان العدا مستحكما بينه وبين الزبرقان وكان كل منهما يتربص بصاحبه دوائر السوء

سجاح في نجد

واقبلت على نجد في تلك الاثناء سجاح بنت الحارث - واصلها من بني يربوع في تميم غادرت بلادها ونزلت مع ابها عند بني تغلب في الجزيرة وادعت النبوة في السنة العاشرة للهجرة فأمن بها عدد من نصارى تغلب ، فزحفت بهم وبآخرين من بني شيبان واياهم تريد الحجاز ويقال انها كانت تحاول من زحفها ذلك بلوغ المدينة والاستيلاء عليها ، لما رسخ في ذهنها من تشتت المسلمين واضطراب حالهم بسبب حوادث الردة

واتصلت حين مرورها في نجد بمالك بن نويرة سيد بني يربوع وكانوا يقطنون ارض الحزن غربي الدهناء. ودعته وقومه الى الانضمام اليها وتأييدها ، فرأى الفرصة سانحة للتنكيل بخصمه الزبرقان بن بدر ، فاقنعه بالعدول عن مهاجمة المدينة وبان تغير على بعض احياء تميم الاخرى ، وهو يقصد بذلك الزبرقان وقبيله فانصاعت اليه . واتصلت بعد ذلك بوكيع بن مالك زعيم بني حنظلة فتظاهر بتأييدها فضمنت تأييد حنظلة ويربوع من بني مالك

وغادرت سجاح اراضي بني تميم من دون ان تعمل عملا يذكر الى اليمامة ومعها عدد من أنصارها ، نخاف قدومها مسيامة الحنفي مدعى النبوة في اليمامة فاستمالها ثم تزوجها فانصرفت الى الجزيرة من ارض اليمامة واتتهى امرها

خالد عند بني تميم

ولما وردت الاخبار الى بني تميم بانتصار خالد في بزاخة و بزحفه عليهم وعلى
اليمامة ، خاف الذين منعوا الزكاة كمالك بن نويرة ومن حدا حدوه وبادروا فأخرجوها
وارسلوها اليه ، قبل ان يصل اليهم

ومشى خالد بقواه الكبرى حتى بلغ البطاح من اراضي بني يربوع لأنهم سبق
فتظاهروا بتأييد سجاح وموالاتها وامر مالك رجاله بان يشترقوا وبان لا يقوموا باى
حركة عداة ضد المسلمين .

وضرب خالد خيامه فى البطاح (بطاح بنى تميم) واستقر فيها و بث سراياه فى
اطرافها فجاءت تميم مستسلمة وفى جملتها مالك بن نويرة مع بعض قومه فأمر بهم خالد
فحبسوا ثم قتلوا .

ورأى بعض رجال الجيش وفى مقدمتهم بعض الصحابة ان خالدا خالف بقتلهم
اوامر ابى بكر وتعليماته وتقضى بان لا يقتل من يؤذن وقد اذنوا عند وصول الجيش
سيما وقد اقترن القتل بتصرف آخر وهو زواجه بزوجة مالك بعد قتله ورفعوا الأمر
الى ابى بكر فاسف له كل الاسف وامر بدفع دية مالك كما دفع دية باقى القتلى الى
اهلهم .

ولم يحدث سوى هذا الحادث فى منطقة بنى تميم كلها وعادت الى الاسلام كما كانت

مسيلمة بن حبيب

مسيلمة بن حبيب الحنفي اول من ادعى النبوة في جزيرة العرب ، وأول من ابتدع هذه البدعة ، فقد اجمع الرواة على انه ظهر في السنة التاسعة للهجرة اى قبل ظهور الاسود العنسى وطليحة ، ولم يظهر الاول الا في أواخر السنة العاشرة ولم يظهر الثانى الا بعد وفاة النبي في السنة الحادية عشرة ، اما سجاح فقد ظهرت في العاشرة ايضا وجاءت العراق في أثناء تلك الغمرة لتدلى دلوها في الدلاء وما كانوا من قبل ذلك يعرفون شيئاً من امرها

مسيلمة يزور النبي في المدينة

ويقول ابن هشام ان مسيلمة بن حبيب زار المدينة مع قومه من بني حنيفة حينما قدموها في السنة العاشرة معلنين دخولهم في الاسلام وانضواهم تحت لوائه ، فجاؤ معهم الى المسجد وقد ستروه بالثياب ، وكان النبي جالسا مع اصحابه ومعه عسيب (قضيبي) من سعف نخل في رأسه خوصات ، فلما انتهى الى الرسول كله وهو مستور بالثياب فقال له لو سألتني هذا العسيب لما اعطيتك اياه
وجهر مسيلمة بعد رجوعه من المدينة بدعوته وأخذ يسجع لقومه الاسجاع في مضاهاة القرآن كما وضع عنهم الصلاة واحل لهم الخمر والزنا
ولم يقف مسيلمة عند هذا بل كتب الى النبي كتابا يقترح عليه اقتسام البلاد وقد اثبت ابن هشام هذا الكتاب ونصه :
« من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
« سلام عليك . أما بعد فاني قد اشتركت في الامر معك وان لنا نصف الارض

ولقریش نصف الارض . ولكن قریشا قوم يعتدون »
 وارسل كتابه هذا الى المدينة مع رسولین من قومه فساماه الى النبي وهو في
 مسجده فلما قرىء له سأل الرسولین اللذین جاء به عما یقولانه
 - تقول كما قال

- والله لولا ان الرسل لاتقتل لضربت اعناقكما
 ثم أمر فكتب الى مسیلمة الكتاب الآتی :

« بسم الله الرحمن الرحيم

» من محمد رسول الله الى مسیلمة الكذاب

« السلام على من اتبع الهدى . اما بعد فان الارض لله یورثها من یشاء من
 عباده والعاقبة للمتقین » ویقول ابن هشام ان ذلك كان في آخر السنة العاشرة ای قبل
 وفاته باسابيع قليلة

واغتنم مسیلمة فرصة موت النبي فاستمال قومه فانضموا اليه وايدوه لاعتبارات
 یمكن تلخیصها فيما یأتی :

١ - انه وضع عنهم الصلاة والصوم والزكاة واعفاهم من التكاليف التي جاء
 بها الاسلام

٢ - انه كان یسجع لهم سجعا لمضاهاة القرآن ویقول لهم : لقد جئتكم بقرآن
 كالذي جاء به محمد

٣ - ان بنی حنیفة كانوا من ربيعة بعكس قریش فهمی من مضر ، ولما كان
 ظهور الاسلام في هذه عززها ورفع مكانتها ، ولما كان ذلك لا یرضی ربيعة ، ولما
 كانت تحسد قریشا على ما اتاها الله من فضله ، فقد اقدمت على تأیید مسیلمة رجاء ان
 یبلغها ما ابلغ محمد قومه من علو المرتبة ، وسعة النفوذ والمجد ، مع العلم ان بنی حنیفة
 أكثر من قریش عددا واعز نفرا ، ولم یهزمهم خالد بن الولید إلا بشق النفس وبعد
 ما كادوا یتغلبون عليه ویهزمونه ویلحقونه بجیشی عكرمة وشرحییل وقد هزموهما .
 ومما یؤثر عن زعیم من بنی حنیفة قوله : « اشهد ان مسیلمة كذاب وان محمدا صادق ،
 ولكن كذاب ربيعة احب الينا من صادق مضر »

سجاح في اليمامة

وقصدت سجاح بنت الحارث ارض اليمامة بعد ما غادرت ديار بني يربوع
 واتصلت بمسيلمة ، فصالحها ثم تزوجها واقام معها وانضم رجاله الى رجالها واتباعه الى
 اتباعها فازداد بهم نفوذا وقوة ، وبيناهم على تلك الحالة وصلت القوات التي جهزها
 ابو بكر لضرب اليمامة والقضاء على فتنة مسيلمة ودعوته ، وقد اتدب لهذه المهمة
 قائدين من قواده وهما عكرمة بن ابي جهل وشرحبيل بن حسنة وامرهما بان
 يتساندا ويتعاونوا

وغادر الجيشان ذا القصة في نفس الوقت ، الذي تجهز فيه خالد لقتال بني اسد ،
 وشرع هذا في العمل فورا ، لان الخطر من ناحية اسد كان اشد لقريةها من العاصمة
 بعكس اليمامة فقد كانت بعيدة عنها . يضاف الى هذا ان بني حنيفة ما كانوا
 يفكرون في مهاجمة المدينة او الاستيلاء عليها ، وقد هاجمتها غطفان وما كانت
 لتتورع عن دخولها ونهبها لو استطاعت الى ذلك سبيلا

حرب اليمامة

اسرع عكرمة بن ابي جهل في زحفه الى اليمامة (مقاطعة الخرج من نجد وتعد من اعظم مقاطعاتها واكثرها سكانا وعمرانا وماء) مستهينا بالقوى الملتفة حول مسيلمة ، وطامعا في ان يفوز بفخر اطفاء فتنته قبل ان يلحق به شرحبيل بن حسنة وقد امرهما الخليفة بالتعاون والعمل متحدين ، مما يدل على انه كان يقدر قوة هؤلاء ، ولا يستهين بها

وهزم ابناء اليمامة عكرمة وتغلبوا عليه وشتتوا شمل جيشه ، وفعلاوا مثل ذلك بشرحبيل ايضا ، فساء ذلك ابا بكر ، فانتدب عكرمة الى حضرموت عقاباله ، كما امر خالدا - وكان قد اجهز على بنى اسد - بان يسير الى بنى حنيفة ، فزحف في شهر ربيع الاول للسنة الثانية عشرة من البطاح يقصد عقرباء (اول الحدود الفاصلة بين اليمامة ووادي تميم)

وسار خالد على تعبئة منظمة فقدم مقدمة من بنى طيء بقيادة عدى بن حاتم ، وارسل مكنف بن زيد الخيل واخاه لاستطلاع اخبار القوم كما ترك سليطا مع قوة في البطاح لتكون رداء له

وعلم بنو حنيفة بسير خالد اليهم ، فجمعوا قواهم واقاموا في عقرباء ينتظرون وصول المسامين لينازلوهم والمسافة بين البطاح وبين عقرباء نحو ٣٥٠ كيلومترا واستشار خالد اصحابه حينما علم بتجمع الحنفيين في عقرباء وسألهم عن الخطة التي يسير عليها فاتفقت كلمتهم على القول بوجوب التقدم . ويقدر المؤرخون قوى خالد يومئذ باربعة آلاف مقاتل ويقولون ان قوى بنى حنيفة ماكانت تقل عن عشرة آلاف

وعبأ انصار مسيامة قواهم وكان محكم بن طفيل وهو من اجل رؤسائهم على الجناح اليمين ، والرجال بن عنفوة على الايسر وشرحبيبل بن مسيامة في القلب، وكان مسيامة في المؤخرة يرقب حركة القتال

وعبأ خالد قواه تعبئة منظمة فاقام ابا حذيفة في الجناح اليمين ، وشجاع بن وهب في الجناح الايسر ، وحمل زيد بن الخطاب راية المهاجرين ، وثابت بن قيس راية الانصار ، وتقلد اسامة بن زيد قيادة الخيالة

والتقى الجيشان وتصافوا ، وبدأت المباراة فبرز الرجال قائد الجناح الايسر الى الميدان فبرز اليه زيد بن الخطاب وقتله ، وبرز آخرون منهم فقتلوا ايضا فأهاج ذلك انصارهم فحملوا على المسلمين واستحرق القتال ، وهبت ريح جنوبية في وجوه هؤلاء فضعفهم فارتدوا ولحق بهم بنو حنيفة فبرز اليهم خالد وكان في المؤخرة ، ينادى « واحمداه » فالتف الناس حوله وكروا على العدو فهزموه وردوه

ويورد المؤرخون كثيرا من التفاصيل عما جرى في هذا اليوم ويقصون قصصا عن ثبات المسلمين وبسالتهم ، ويقولون ان قيس بن ثابت صاحب راية الانتصار كان ينادى اخوانه حينما بدأوا بالتراجع ويقول « بئسما عودتم انفسكم يامعشر المسلمين هكذا عنى حتى اريكم الجلاد » وكان ابو حذيفة قائد الجناح اليمين يقول « يا اهل القرآن ، زينوا القرآن بالفعال » وقال زيد بن الخطاب وكان يحمل راية المهاجرين حينما رأى انفضاض الناس من حوله « والله لا تكلم اليوم حتى نهزمهم او القى الله . فاكله بحجتي . عضوا على اضراسكم ايها الناس . واضربوا في عدوكم وامضوا قدما » ويقول ابن خلدون ان قتلى الانصار يوم عقرباء زادوا على الثلاثمائة والستين وقتل مثل ذلك من المهاجرين والتابعين ولا تزال قبورهم قائمة الى يومنا هذا قرب وادي حنيفة عند قرية اسمها « جبيلة » ويقدر ون مجموع قتلى المسلمين بألف ومائتين في يوم عقرباء وقتلى اعدائهم بثلاثة آلاف

وحاول قادة جيش اليمامة اضرام نار الحماسة في صدور قومهم فكان محكم بن الطفيل ينادى قائلا « يامعشر بني حنيفة : الان والله تستردف الكرائم غير رضيات ،

وينكحن غير حظيات ، فما عندكم من حسب فاخرجوه » وقتل عبد الرحمن بن ابي بكر محكما هذا بسهم رماه به

وسأل اهل اليمامة مسيعة ، حينما ركبهم المسمون ودارت عليهم الدائرة عما كان يعدمهم به من النصر والتأييد فقال لهم « قاتلوا عن احسابكم »

ولجأ بنو حنيفة الى الحديقة وهو بستان مسور لمسيعة كانوا يسمونه حديقة الرحمن فدخلوها واغلقوا عليهم بابها فاقترح البراء بن مالك اخوانس على زملائه ان يلقوه في الحديقة فأبوا فأصر عليهم فاحتملوه حتى اشرف على الجدار فاقتحمها وقاتل على الباب وفتح للمسلمين ودخلوها عليهم ، فاقتتلوا اشد قتال

ورمى وحشى بن حرب ، قاتل حمزة بن عبد المطلب يوم احد ، مسيعة بجرية بين ثديه وضربه انصارى بالسيف فمات وصاح صائح قتله العبد الاسود فولت حنيفة واخذهم السيف من كل جانب

وتوسط مجاعة بن مرارة من اعيان بني حنيفة ، وكان اسيرا عند خالد ، اسرته مقدمة الجيش في طريقها الى عقرباء فصالح باسم قومه خالد على الشروط الآتية :

١ - يعف المسمون عن الرجال والنساء والذرية

٢ - يأخذون الذهب والفضة والسلاح

٣ - يأخذون ربع السبي

واوفد ابو بكر ، مسيعة بن وقش بكتاب ، الى خالد ، فوصل بعد المعركة وبعد الصلح يأمره فيه ان يقتل من جرت عليه الموسى من بني حنيفة ان اظهره الله عليهم ، فلم يشأ نقض عهده لهم وكتب الى ابي بكر يقول : لم اصالحهم حتى قتل من كنت اقوى به ، وحتى عجب الكراع (الخيل) ونهك الحف (الابل) ونهك المسمون بالقتل والجراح «

وعاد بنو حنيقة الى الاسلام ، وتبرأوا مما عملوه وقصد خالد المدينة ومعه ١٧
 من زعماء اليمامة فدخلوا على ابي بكر فبادرهم بقوله :
 - ويحكم ما هذا الذي استنزل منكم ما استنزل
 - لقد كان الذي بلغك مما اصابنا . وكان امر لم يبارك الله عز وجل له ، ولا

لعشير شيء فيه

وسألهم ايضا عن اسجاع مسيامة فرووا بعضها
 فقال : سبحان الله هذا الكلام ما خرج من ال ولا ير فاين تذهب احلامكم

الاسود العنسى

الاسود بن كعب العنسى هو رابع الاربعة الذين ادعوا النبوة وقد انتهى امر الثلاثة الاولين بالفشل والاخفاق كما تقدم ، وكان مصير هذا مصيرهم واسمه الحقيقى عييلة والاسود لقب له لانه كان اسود البشرة

والثابت من اقوال الثقات ان الاسود هذا ظهر فى حياة النبي وقضى عليه فى حياته ايضا ، فقد روى ابن هشام ان رسول الله ﷺ خطب فقال « ايها الناس : قد رأيت ليلة القدر ثم انسيتهما . ورأيت فى ذراعى سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فاولتتهما هذين الكذابين صاحب اليمن وصاحب اليمامة »

وخلاصة ما يقال بشأن هذا الاسود انه من قبيلة عنس اليمانية ، ادعى النبوة فى شهر ذى القعدة من السنة العاشرة اى بعد دخول اليمن فى الاسلام و بعد وصول عمال المساعين لادارتها ، فتبعه قوم من الغوغاء فسار بهم الى نجران فاستولى عليها ثم قصد صنعاء يؤيده عوام مذبح فدخلها وقتل عاملها شهر بان واستولى عليها واضطربت الحالة فى اليمن على اثر هذه الحوادث وانقسم اهلها الى قسمين :

قسم يوالى الاسود ويؤيده وقسم يتقيه ويحتفظ بدينه . ووصلت الاخبار الى المدينة فارسى النبي بواسطة بر بن يحيى كتابا الى من بصنعاء من الابناء (هم سلائل الفرس الذين ولدوا بصنعاء فى عهد احتلال الفرس لها) يأمرهم فيه بالقيام على دينهم والنهوض الى الحرب والعمل على أمر الاسود وقتله اما غيلة واما مصادمة

واتصل الابناء بقيس بن عبد يغوث المرارى قائد جند الاسود واستلوه الى جانبهم مغتمين فرصة خلاف حدث بينهما ودبروا معه مؤامرة لاغتياله ثم ما لبثوا ان استلوا امرأة اغتصبها الاسود وتزوجها بعد ما قتل زوجها فانضمت اليهم ومهدت لهم

السبيل الى قتله فاغتاله فيروز احد الابناء في منزله واذنوا بالاذان عند الفجر وكان
معناه انقاذ صنعاء وعودتها الى الحضيرة الاسلامية ، وتولى معاذ بن جبل امرها وكتب
الى المدينة يبشر بقتله فوصلها الرسول صبيحة اليوم الذي قبض فيه النبي
وعادت الحالة فاضطربت في اليمن حينما جاءت الاخبار بوفاة النبي ، وارتد بعض
الزعماء والرؤساء ، فكتب ابو بكر الى الذين حافظوا على ايمانهم يدعوهم الى مقاومة
الردة ، والوقوف في وجهها ريثما تصلهم النجيدات التي قرر ارسالها اليهم . والظاهر انهم
كانوا الفريق الاضعف فقد اتفقت كلمة المؤرخين على ان صنعاء سقطت في ايدي هؤلاء
وكان على رأسهم قيس بن عبد يغوث ، قائد جند الاسود العنسي وصاحبه ، وكان
يطمع في ان يخلفه بالسيطرة على اليمن بالاتفاق مع المسلمين فلما خاب ظنه من ناحيتهم
وتوفي النبي ، وظهر الاضطراب في الجزيرة ، نهض فجمع حوله انصاره القدماء فاستولى
على العاصمة وانضم اليه عمرو بن معدى كرب في بني زبيد ، وبعض رؤساء القبائل
وسار المهاجر بن امية وهو الذي اختاره ابو بكر في ذي القصة لاسترداد اليمن
والقضاء على فتنتها حتى صنعاء فاحتلها من دون مقاومة تذكر ، واسر زعماء الفتنة ولم
يرتفع لها رأس بعد ذلك ، وكان في القضاء على حركة انصار الاسود العنسي في صنعاء
- وما حادث الارتداد في اليمن سوى مظهر من مظاهرها - قضاء على حركة مدعى
النبوة في جزيرة العرب كلها

حضر موت والبحرين وعمان

وكانت حضر موت والبحرين وعمان وهي في منتهى حدود الدولة الاسلامية من الجنوب والشرق بين الاقطار التي ظهرت فيها حركة الارتداد لبعدها عن العاصمة ولحدائة عهدها بالاسلام ، فالولالى والاخيرة لم يسالما الا في السنة العاشرة ، وربما توهم رجالها ان امر الاسلام انتهى بوفاة مؤسسه ، وان قوة المدينة لن تصل اليهم فاجتموا عن دفع الصدقات ، لاكرها منهم في الدين ولا ابتغاء التخلص منه - كما نرجح - وانما لظنهم ان امر الدولة الاسلامية قد انتهى

وعهد ابو بكر في اخضاع هذه المقاطعات ، الى العلاء بن الحضرمي وقد وجهه الى البحرين ، والى حذيفة بن محصن وقد وجهه الى عمان ، وعرفجة بن هرثمة وقد وجهه الى المهرة (عمان ايضا) وامره بان يتصل بحذيفة ويتعاون معه . كما عهد الى المهاجر ابن امية بان يتولى امر حضر موت ويعيدها مع اليمن الى حظيرة الطاعة

ويقول المؤرخون ان قبائل عبد القيس من البحرين عادت من نفسها الى الاسلام ، قبل وصول العلاء فقد دعا الجارود بن المعلى رؤساء القوم وكبارهم ووجه اليهم السؤال الآتي وطلب اليهم الاجابة عليه

- هل كان لله انبياء فيما مضى ؟

- نعم

- فما فعلوا ؟

- ماتوا ؟

- لقد مات محمد كما ماتوا ، واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله

وتشهد القوم معه وعادوا الى الاسلام ، وشدت قبيلة بكر بن ربيعة وكانت تنزل في البحرين بجوار عبد القيس وظلت على ارتدادها وقاد حركتها الحظم بن ضبيعة واستمال اليه بعض قبائل القطيف وهجر فايدوه وناصروه

ووصل العلاء الحضرمي الى البحرين ومعه الجند الذي عهد اليه بقيادته في ذي القصة ولحق به ثمامة بن اثال في مسامة بنى حنيقة وجموع من تميم فقاتل الحظم وغلبه وقتله فاتسهي بموته امر الردة في البحرين والحساء وخضعت هذه المنطقة الواسعة للاسلام

ووقع في حضرموت ماوقع في البحرين فقد امر ابو بكر عكرمة بن ابي جهل بان يسير اليها ، بعد الفشل الذي لحق به في اليمامة فقصدها ونازل قبيلة كندة بالاتفاق مع المهاجر بن ابي امية فقد خرج للقتال بعد ما قضى على فتنة صنعاء فأسروا الاشعث بن قيس سيد بنى كندة وارسلوه الى المدينة وبذلك قضى على الفتنة في حضرموت كما قضى عليها في عمان ومهرة وانقادت تلك المقاطعات كلها للمسلمين

وإذا استثنينا ما وقع في بزاحة واليمامة ومشؤوه في نظرنا وجود الدعين طليحة ومسيامة فقد خضعت الاقطار الاخرى كلها تقريبا من دون عناء ولا نصب مما يؤيد ان حركة الردة لم يك مصدرها كره الاسلام ومقته والسعي للتخلص منه وانما هو الحقد الشخصي من جهة وما رسخ في اذهان القوم من انه قضى على الاسلام بموت مؤسسه من جهة اخرى والرجوع الى نظم الجاهلية

ولم ينقض العام الاول على وفاة النبي حتى كانت حركة الردة قد احدثت وقضى عليها قضاء مبرما تاما فعادت جميع الاقطار العربية الى الطاعة وقام على رأس كل منها امير اتدبه ابو بكر ، كما عادت القبائل الى الطاعة والانقياد ، فاتخذ الاسلام سبيلا جديدا يقوم على مهاجمة الفرس والروم في شرقي الحجاز وشماله فنالوا نصرا عظيما وادركوا فوزا كبيرا ستقرؤه مفصلا في الاجزاء الآتية

فتح العراق واهران

عروب الاسلام والامبراطورية الفارسية

فأبداه من قلوب عاقل

تتبعنا في كل يوم

معلومات جغرافية عامة

كانت مملكة العراق العربية ودولة ايران البهلوية خاضعتين لدولة واحدة عاصمتها المدائن (طيسفون) فى جنوبى بغداد ومنهما كانت تتألف دولة الاكاسرة او دولة الساسانيين القديمة التى هاجمها العرب يوم غزو العراق وكانت حدود العراق فى العهد الفارسى هى نفس حدود دولته اليوم مع تعديل جزئى فحدوده من جهة نجد وخليج فارس وبلاد الشام وتركيا تكاد تكون نفس حدوده القديمة ، اما حدوده من جهة الشرق ، وهى حدود ايران الحاضرة ، فتنتهى عند جبال سمرين شرقى بغداد وكان جغرافيو العرب يسمونه الجبل وهو فاصل طبيعى يفصل بين البلاد التى يتكلم اهلها العربية والبلاد التى يتكلم اهلها الفارسية اليوم وحدود ايران البهلوية من جهة الشرق والشمال والجنوب فى الوقت الحاضر هى تقريبا نفس حدود المملكة الكسروية فى عهد الساسانيين

الاسلام وفارس

انتهت حروب الردة في نجد واليمن وارتاح المسلمون من مشاغلبها ومشكلاتها ، واستقرت قواعد دولتهم في داخل الجزيرة ، واصبحوا بلا عمل يعملونه بعد ما اخضعوا العصاة ووصلوا حتى حدود الروم (الرومان) في شمالي الحجاز ، وحدود الفرس في شرقيه ، وكانوا يحتلون العراق ويسيطرون عليه وفي جنوبيه وشماليه ، شعب عربي يقدر بالملايين

ومع ان التسلسل الطبيعي للحوادث كان يقضى على ابي بكر بان يبدأ بغزو الشام بعد ما وصل جند المسلمين الى البلقاء واخضع جزءا من الاراضي التي كانت خاضعة للروم كتبوك والجوف ومعان والعقبة والمناطق المجاورة لها الا أن انتهاء المطاف بخالد في اليمامة (الخرج) ووقوفه عند حدود العراق الفارسية ، جعل ابا بكر يرجح البدء بحرب الفرس وغزو العراق على حرب الروم وغزو الشام ، لان ذلك اسهل وايسر واقرب ، وما كانت المسافة بين مقر هذا الجيش وحدود الفرس في العراق لتزيد على ٤٠٠ كيلومتر في حين ان بينه وبين الشام شاسع المسافات ومئات الاميال

والواقع ان غزو فارس واخضاعها للحكم الاسلامي كان من جملة الاغراض التي وضعها المسلمون نصب اعينهم فقد بشرهم النبي بقرب استيلائهم على ملك كسرى وقال لهم ان خزائنه ستحمل اليهم ، وكتب السيرة مشحونة باخبار هذه البشائر والروايات

وكان كسرى بين الملوك الذين كاتبهم ودعاهم الى الدخول في دينه ودعا عليه بتمزيق الملك حينما جاءه الخبر بانه مزق كتابه ، واذا قيل لنا ان النبي لم يجرد بعثا

عليها ولم يزحف لاحتلال اراضيها كما زحف على اراضي الروم نجيب انه ما كان يوجه بعونه الا لضرورة مبرمة ، اى انه ما كان يرسلها لمجرد التحرش والاعتداء ، فغزوة دومة الجندل الاولى كانت لتأديب ابناءهم لاعتدائهم على تجار الميرة ولانهم كانوا يستعدون للهجوم على المدينة ، وغزوة مؤتة كانت طلبا لتأثر رسول المسلمين قتله الغساسنة ، وغزوة تبوك كانت لملاقات الروم وكانوا - كما نقل الرواة - يتأهبون لمهاجمة المدينة ويستعدون للاستيلاء عليها ومعنى ذلك ان المسلمين كانوا في جميع غزواتهم وزحوفهم على حدود الشام مدافعين لامهاجمين . ولم يقع على حدود العراق ما يستوجب الزحف ولو وقع لما تأخروا ، علاوة على ان قبائل نجد - وكانت تنزل في المنطقة الواسعة الممتدة بين الحجاز والعراق - لم تدخل الاسلام الا في السنة التاسعة ، وبدخولها اتصلت حدود فارس بحدود المسلمين ، والمرة الأولى التي بلغ فيها الجيش الاسلامي حدود العراق كانت بعد حرب الردة ، فلم ير الخليفة ما يستوجب رجوعه ، فاصدر اليه الامر بان يتقدم لاحتلالها والاستيلاء عليها فيحقق بذلك بشارة من بشارات الرسول للمسلمين وما شك المسلمون في صحتها

ويلاحظ لنا ان ابا بكر زمي بمشروعه هذا الى ادراك الاغراض الآتية :

- ١ - نشر الدين الاسلامي في تلك الربوع وتلك هي الغاية الاولى التي وضعها المسلمون في الصدر الاول نصب عيونهم وقاتلوا لاجلها وماتوا في سبيلها
 - ٢ - تحرير العرب النازلين في جنوبي الشام وجنوبي العراق من نير الروم ونير الفرس ، فقد كانت دولتا العرب في بصرى (عاصمة الغساسنة) وفي الحيرة (عاصمة المناذرة) مشمولتين بالنفوذ الفارسي والرومي وكان لقيصر الروم ولكسرى الفرس الكلمة العليا في تصريف امورهما كما كان قولهما الفصل في اختيار ملوكهما
- وكان تحرير العرب في جميع اقطارهم وادخالهم ضمن نطاق الدولة الاسلامية الجديدة وحملهم على التدين بالدين الاسلامي مما سعى له مسامو الصدر الاول وعملوا على تحقيقه فما كانوا يقبلون الجزية من عربي وما كانوا يعفون عنه الا ان يدخل في الدين الجديد ويندمج في الهيئة الاجتماعية الجديدة التي انشأوها ، اى ان المسلمين

استبدلوا في الدور الجديد عصبية القبيلة ، بعصبية القومية ، فكان العرب سياج الدولة الجديدة وحصنها وكانت جزيرة العرب مثابة لها وامنا

٣ - اشغال العرب بقتال هاتين الدولتين وكاتنا قد هوتا في درك الانحطاط الاجتماعي والسياسي فلا يعودون بعد ذلك الى الغزو وشن الغارات في داخل جزيرتهم والغزو وشن الغارات مما الفه العرب واعتادوا عليه ، فاشتغالهم بقتال دولتين عظيمتين متمكنتين في بلاد غنية عظيمة كالعراق وتعد من أخصب بلاد العالم ، وكالشام وثررتها الطبيعية مما لا يستهان به ، يصرفهم عن المنافسات الداخلية وعن التزاحم ، ويريح حكومة المدينة من جهتهم ، كما يدر عليهم اخلاف الكسب والربح وبالفعل فقد جنوا الاموال الطائلة من غز وهم واستولوا على كنوز الاكاسرة وذخائر الرومان فتدفقت انهار الثروة في المدينة المنورة ، ودخلت جزيرة العرب اموال عظيمة لا عهد لها بمثلها ، وعاش العرب عيشة رخاء لم يألفوها

ذلكم هو بعض ما يخطر ببال الباحث وهو يحاول ان يعلل خروج العرب من الحجاز وانسياحهم في العراق وفي الشام فبقاؤهم وراء حصون جزيرتهم الرملية وهم لا يكادون يجدون القوت الضروري في ربوعها واكتفاؤهم بما في ايديهم اصبح مستحيلا بعد ما نفخ فيهم الاسلام من روحه وصهرهم ببوقته فانشأهم نشأة جديدة وكون منهم امة متحدة متماسكة تعزبدينها وقوميتها وتذكر أن عليها واجبا دينيا وقوميا هو انقاذ البشر ، وتأسيس دولة تقيم العدل بالقسطاس المستقيم ، وتهتدى بهدى القرآن وتنشر تعاليمه السامية

٢ الاطارة

دولتان عظيمتان كانتا تسودان معظم الاقطار الشرقية المعروفة عند ظهور الاسلام
وتسيطران عليها

دولة الفرس في آسيا الوسطى ، ودولة الروم في شرقي اوربا وآسيا الصغرى
وافريقية الشمالية وكاتتا تجاوران الحجاز وتسيطران على الجانب الغنى المعمور والمأهول
من بلاد العرب ، فكان الفرس يحتلون اليمن في الجنوب كما كانوا يحتلون العراق في
الشمال ومثل ذلك الروم وكانوا يحتلون البلقاء وحوران والجوف وتدمر والصحراء
وهي اقاليم عربية لا يعرف أهلها سوى العربية لهم لسانا

وقد اقتضت العلاقات بين الاسلام وهاتين الدولتين في ابتداء ظهوره ، على
غارات بسيطة أغارها المسلمون على اطراف المملكة الرومية في جنوبي الشام فاختصوا
بعض مقاطعاتها القريبة من الحجاز لدولتهم الجديدة ، فلم يثر ذلك كبير اهتمام في
الدوائر السياسية والعسكرية في انطاكية او القدس لبعده هذه المقاطعات من العمران
ولان صلتها بالامبراطورية كانت محدودة لا تكاد تتجاوز دائرة الخضوع الاسمي
أو « الشكلي »

وفعل المسلمون هذا الفعل مع الفرس تقريبا فانزعوا منهم اليمن على اثر دخول
عاملها باذان في الاسلام ولم يقابل عمله باى احتجاج او تدبير في المدائن لبعده المسافة
بينها وبين صنعاء ، ولان العلاقة السياسية كانت محدودة بينهما ، وكان العامل الفارسى
يتمتع باستقلال واسع النطاق . وما كان الفرس يهتمون كثيرا لحال اليمن لفقد
الاتصال بينهم وبينها وقد رأيت كيف انهم ارسلوا السجناء لفتحها (انظر ص ١٧١)

وما قاله ملكهم عند ما ارسلهم مع التبعية لغزوها

وعلاوة على هذه الاعتبارات وهي جوهرية في نظرنا ، فهناك اعتبارات اخرى لا بد من تدبرها ، وفي مقدمتها ظهور اعراض الهرم والشيخوخة على هاتين الامبراطوريتين حين ظهور الاسلام ؛ فقد افنت الحروب المتتابة بينهما قواهما ، وقد استمرت زهاء ستين سنة اى منذ غزو الفرس الشام للمرة الاولى في سنة ٥٤٠م بقيادة خسرو الاول حتى سنة ٦٢٣ م وانتهت بفوز الروم فوزا حاسما على الفرس فاعادوهم الى بلادهم واملوا عليهم شروطهم ونحن في غنى عن القول ان هذه الحروب افقرت خزائنها وافقرت بلاديهما ونفرت شعوبهما منهما فصاروا يمتقونهما ويتمنون زوالهما لما انزلوه بهما من مظالم ومعارم فقد كانوا يصادرون الاموال ويجندون الناس بالقوة

ولا يتسع المقام هنا للافاضة في تاريخ الفرس الساسانيين ووصف ماجرى بينهم وبين جيرانهم الروم فامر ذلك يطول كما انه ليس هنا موضعه ، وانما نقول اجمالا ان هذه الحروب مهدت للانتصار الاسلامي وساعدت المسلمين في القضاء على هاتين الامبراطوريتين وقد مشوا الى قتالهما في وقت واحد فكانوا يحاربون الفرس في العراق كما كانوا يقاتلون الروم في الشام ، وما زالوا يكافحونهم ويناضلونهم في الميدانين حتى تمت لهم الغلبة فقوضوا ملك الاكاسرة واستصفوا تلك الامبراطورية العظيمة ، وضموها الى دولتهم الجديدة كما قضوا على كل نفوذ للروم في شرقى البحر المتوسط والبحر الاحمر فانزعوا فلسطين وسورية وكيليكية وقبرص ومصر وافريقية في الغارة الاولى ، ثم تابعت بعد ذلك غاراتهم فاحتلوا الاناضول والقسطنطينية وقضوا على الامبراطورية العظمى كما قضوا على امبراطورية الساسانيين من قبل وورث الاسلام هاتين الامبراطوريتين العظيمتين كما ورث امبراطوريات اخرى في الهند واواسط آسيا وشرقيها لم يسبق لا للفرس ولا للروم ان بلغوها

وجملة القول ان تتابع الحروب بين هاتين الامبراطوريتين ، - وقد اورثهما الفقر والضعف - كان من جملة العوامل التي مكنت للاسلام وساعدت على انتشاره ، فعمل المسلمون بمطلق الحرية في داخل الجزيرة في اول امرهم ، ولم يلقوا مقاومة

من رجال هاتين الحكومتين ، وكان كل فريق منهما منهمكا في ابتكار الوسائل
والاساليب التي تضمن له التفوق على خصمه والتغلب عليه ، لا يهمه امر جزيرة العرب
ولا ما يحدث في داخلها من حوادث ، ولا يرقب مجرى التحول الجديد الذي كانت
تتحوله ، والغالب انهم ما كانوا يقيمون له وزنا ، لاستهانتهم بشأن سكان الجزيرة
وقطانها الذين اعتادوا مقاتلة بعضهم بعضا ، فكان اهمالهم وبالا عليهم ، ولم يشعروا
بخطأهم الا حينما اخذتهم الصيحة وطرق المسلمون ديارهم واحاطوا بهم من كل جانب
فاخذوهم اخذ عزيز مقدر ، وتلوا عليهم من آيات البطولة والنجدة والشهامة والثبات
والتكاتف والتضامن والاستماتة في سبيل اداء الواجب ما يحير العقول والالباب وكانوا
من الفائزين ، والارض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين

العلاقات بين العرب والفرس

كانت حدود الدولة الفارسية يوم استقر قرار المسلمين على مهاجمتها تمتد من حدود الحجاز جنوبا فالشام وديار الجزيرة غربا فبحر الخزر شمالا فافغانستان شرقا ، وكانت تنقسم الى اربع مقاطعات كبيرة وهي مقاطعة خراسان ومقاطعة اصبهان وفيها اذربيجان ومقاطعة بلاد فارس والاهواز ومقاطعة العراق واقليم الروم وما كان عدد سكانها يقل عن اربعين مليوناً يدين الجانب الاكبر منهم بالزردشتية ويعبدون الالهيب المقدس

وكانت حدودهم الجنوبية والغربية هي نفس حدود الدولة العراقية الجديدة تقريبا فكانت نجد تجاورهم من الجنوب وحدودها نفس حدود الدولة السعودية تقريبا . وتجاورهم بادية الشام من الغرب وحدودها تقريبا نفس حدود دولة سورية الحالية وشرقي الاردن اليوم وكانت ارمينية تجاورهم من الشمال وقد حلت محلها دولة الجمهورية التركية الجديدة والحدود هنا مختلفة بعض اختلاف . فقد كانت نصيبين وماردين واورفا وديار بكر داخل حدود الدولة الرومية ثم دخلت في حوزة المسلمين حين فتحهم العراق وهي اليوم من املك الترك ومثلها رأس العين وجزيرة ابن عمر (الخابور) فقد ضمها سورية

دولة المناذرة في جنوبي العراق

وكان العرب الخاضعون للفرس ينقسمون الى قسمين عرب الجنوب (سكان البلاد المجاورة لنجد) ولهمؤلاء دولة خاصة بهم ، هي دولة الحيرة ، وعرب الشمال (قبائل ربيعة ومضر والنمر) وكانت تنزل الجزيرة بين دجلة والفرات

وكان الاولون - وينزلون على نهر الفرات - يتمتعون بشبه استقلال داخلي ودولتهم اقدم من دولة الفرس في العراق ، فقد انشأوها كما يرى بعض المؤرخين سنة ١٣٨ م في الحيرة ، اسسها مالك بن فهم التنوخي من قضاة ، فعاشت حتى سنة ٢٦٨ م ولما توفي جذيمة الابرش انتقل الملك بوفاته الى ابن اخته عمرو بن عدى اللخمي جد المناذرة ومؤسس دولتهم ، وقد عاشت حتى سنة ٦٣٢ م اي حتى غزو المسلمين للعراق وكانت الحيرة (عاصمة هذه الدولة في عهد التنوخيين اللخمين) من المدن الكبرى وقد ضعف شأنها بعد احتلال المسلمين للعراق وسقوط دولة المناذرة ثم انشاءهم الكوفة واتخاذها قاعدة لجندهم ، وعلى انقاضها بنيت قرية « الجعارة » في ايامنا هذه وهي على ١٧ كيلومترا من شمالي الكوفة ، والى الجنوب الشرقي من مدينة النجف الحاضرة . وتبعد عن بغداد نحو ١١٦ ميلا وعن المدائن (١٣٦ ميلا)

ولقد دخلت دولة الحيرة في حمي الاكاسرة سنة ٢٢٦ للميلاد باتفاق عقد بين جذيمة الابرش وارديشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية وقاهر ملوك الطوائف في ايران . وظلت مقيمة على الولاة لهم حتى جاء الاسلام فاكسحها واكتسحهم ، وادالها وادالهم ، ويرى الباحث في تاريخ هذه الدولة ان ملوكها كانوا يتمتعون باستقلال اداري واسع النطاق وانهم كانوا مطلق التصرف في شؤونهم الداخلية وشؤون العرب التابعين لهم فلا يتدخل الفرس الا عند الضرورة ، وكانوا يكتفون من ملوكها بما يظهرونه من اخلاص ، ويستقبلونهم بالحفاوة والتكريم حينما يزورون المداين ، ويستنصرونهم في حروبهم على الروم وقد ادوا لهم خدمات جليلة ليس هنا موضع الافاضة في الكلام عنها ، كما كانوا يعتمدون عليهم في رد عادية العربان من الجنوب فلا يهاجمون البلدان ولا يزعجون الناس

ومع ان المؤرخين الذين عنوا بتدوين تاريخ هذه الدولة ودرس علاقاتها السياسية والادارية قد اهملوا الكلام على حدودها الجغرافية الا ان المفهوم لنا من تضاعيف أقوالهم ان حدودها كانت على التقريب كما يلي :

من الجنوب حدود الدولة السعودية الحاضرة فقد كانت نجد (اليمامة وكندة)

تتمتع باستقلال تام وطالما قاتلت المناذرة وازعجتهم وحكم الحيرة بعض ابناءها زمنا غير
قصير

من الشمال المنطقة الممتدة على ضفاف الفرات من الحيرة حتى جنوبي الانبار ،
ويلوح لنا ان الانبار نفسها كانت تتبع المداين مباشرة ، اما هيت فقد كانت بدون
شك من اعمال المداين ولم يك للمناذرة اى صلة بها

من الشرق : بابل ولا تزال انقاضها قائمة وهى بين دجلة والفرات وتبعد بابل
نحو ٨ كيلو مترات عن مدينة الحلة اليوم وهى الى شمالها
من الغرب : بادية الشام

تلك هى حدود تقريبية لدولة المناذرة فى العراق وكانت ضيقة الرقعة من الشمال
والشرق ومتسعة فى الجنوب والغرب حيث صحراء العرب الواسعة

وهذا جدول باسماء ملوكها وتاريخ جلوسهم استقيناه من افضل المصادر التاريخية

اسم الملك	مدة حكمه
عمرو بن عدى بن نصر	من سنة ٢٦٨ الى سنة ٢٨٨ م
امرؤ القيس بن عمرو	» » ٢٨٨ » » ٣٢٨
عمرو بن امرىء القيس	» » ٣٢٨ » » ٣٧٧
اوس بن قلام	» » ٣٧٧ » » ٣٨٢
امرؤ القيس بن عمرو الثانى	» » ٣٨٢ » » ٤٠٣
النعمان الاعور بن امرىء القيس	» » ٤٠٣ » » ٤٣١
المنذر بن النعمان بن امرىء القيس	» » ٤٣١ » » ٤٣٧
الاسود بن المنذر بن النعمان	» » ٤٣٧ » » ٤٩٣
المنذر بن المنذر بن النعمان	» » ٤٩٣ » » ٥٠٠
النعمان بن الاسود	» » ٥٠٠ » » ٥٠٤
علقمة ابو يعفر	» » ٥٠٤ » » ٥٠٧

اسم الملك	مدة حكمه
امرؤ القيس بن النعمان	من سنة ٥٠٧ الى سنة ٥١٤
المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء	» » ٥١٤ » » ٥٦٣
عمر و بن هند مضط الحجاره بن المنذر	» » ٥٦٣ » » ٥٧٨
ابن ماء السماء	
قابوس بن المنذر	» » ٥٧٨ » » ٥٨٢
المنذر بن المنذر بن ماء السماء	» » ٥٨٢ » » ٥٨٥
النعمان بن المنذر ابو قابوس	» » ٥٨٥ » » ٦١٣
اياس بن قبيصة الطائي	» » ٦١٣ » » ٦١٨
زاديه	» » ٦١٨ » » ٦٢٨
المنذر بن النعمان المغرور	» » ٦٢٨ » » ٦٣٢

الفرس وعرب الشمال

وما كان عرب الشمال او عرب الجزيرة من تغلب واياذ يتمتعون بشيء من الاستقلال الداخلى الذى كان يتمتع به اخوانهم وجيرانهم سكان الجنوب بل كانوا يخضعون للمداين مباشرة ، مع احتفاظهم بنظام القبيلة و بالعادات والاخلاق العربية ، وكان الفرس يجبون الضرائب منهم ويخندونهم فى جيشهم ويعتمدون عليهم فى حروبهم مع الروم

الدبوان العربى فى المداين

وكان فى بلاط كسرى ديوان خاص للشؤون العربية ينظر فى امور العرب وقضاياهم ومن اشهر بين الذين تولوه عدى بن زيد واخوه ابى فقد ارسلهما قابوس ابن المنذر ليكونا فى خاصة كسرى ويتوليا الكتابة والترجمة ، وكان هنالك غيرهما

ايضا وكان الفرس يعتمدون على هؤلاء في كل ماله علاقة بامور العرب ويستشيرونهم
ولا يقدمون على اجراء امر من الامور من دون اطلاعهم
ولم تك حالة العراق في اواخر عهد الدولة الساسانية على ما يرام فضشت الشيوعية
والاحاد في ربوعه وكثرت الاضطرابات الداخلية بسبب الحروب المستمرة والحرب
مهما تكن اسبابها وغايتها مهلكة للبلاد ، متعبة للشعب ولذلك لم يلبث المسلمون ان
تغلبوا عليها حينما هاجموها فقد تضافرت عليها العوامل الطبيعية والقوى المادية (قوة
المسلمين) فاودت بها وقضت عليها

مجلس سوري الصحابة يقرر مهاجمة فارس

يقول بعض المؤرخين الاسلاميين انه لما نضجت فكرة غزو الروم والفرس في ذهن ابي بكر واعتقد ان مصلحة الاسلام والمسلمين هي في مهاجمة حدود هاتين الدولتين واثارة حرب عليهما ، دعا اقطاب الدولة الجديدة وجوه الصحابة واعيانهم الى اجتماع عقده للبحث والمناقشة ، لانه لم يشأ ان ينفرد بالامر وحده ، ولا ان يأخذ تبعه على عاتقه ، فلما اجتمعوا بسط لهم مشروعه القائم على مهاجمة الدولتين واستأذنتهم في تنفيذه و بسط لهم ما ينطوى عليه من فوائد فاستصوبوه و اقرروه ودعوا له بالتوفيق والنجاح . وقال على بن ابي طالب وكان من الذين حضروا مجلس الاستشارة :

« ارى انك مبارك الامر ، ميمون النقيصة ، فانك ان سرت اليهم او بعثت اليهم نصرت ان شاء الله »

ولم يتردد ابو بكر حينما نال هذا « التفويض » في اصدار الامر الى كبير قواد جيشه في اليمامة بان يتجه نحو العراق . فقد اجمع المؤرخون انه كتب اليه في اوائل السنة الثانية عشرة يأمره بان يقصد العراق ويبدأ بالمهجوم على ثغر الابلّة (لانزال قائمة حتى اليوم و يسمونها جبلة بتشديد اللام وهي قرب الزبير وطول البصرة القديمة . وتقع في منتهى الخليج الفارسي من جهة العراق . ولم تك مدينة البصرة الحاضرة قد اسست وقد اسسها المسلمون بعد ذلك كما لا يخفى)

واصدر ابو بكر في الوقت نفسه امرا الى عياض بن غنم بان يهاجم شمالي العراق ويبدأ بالميصخ (ولعله مصيخ بهراء وهو ماء بالشام كما جاء في ياقوت غير معروف في الوقت الحاضر) واذا صح هذا فعنناه ان عياضا سار الى العراق من المدينة بطريق

الجوف على ان يقصد منها الى الجزيرة لانه لم يكن بين القواد الاحد عشر الذين اتدبوا لقتال اهل الردة أى انه لم يكن فى نجد مع جيوش المسلمين ليقل انه تلقى الامر كما تلقاه خالد ، فسار الى الجوف على ان يقصد منها شلى العراق وينقض على الفرس فى الوقت الذى يهاجمهم فيه خالد من الجنوب . ولئن رافق التوفيق حملة خالد فهدت للمسلمين فتح العراق وفارس وكان على يدها انشاء هذا الملك الاسلامى الضخم فى اواسط آسيا ، فقد تحلف التوفيق عن حملة عياض فاجتمعت عليها عربان الجوف وبادية الشام وحالت دون تقدمها فاضطرت ان تستنجد بخالد فاسرع اليها من الانبار وهو مكان فى جوار الفلوجة وتبعد عن بغداد ٦٥ كيلو مترا للغرب وانقذها وقتك بالذين اجتمعوا عليها وفرق جموعهم وقواهم . فانضمت على اثر ذلك الى حملته وقاتلت معه ، واخر عدم نجاحها فتح الجزيرة فلم تخضع للمسلمين الا بعد فتح المداين كما سيأتى تفصيلا

خالد بن الوليد

هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب ، ابو سليمان وقيل ابو الوليد القرشى المخزومى وامه عصماء (لبابة الصغرى) بنت الحارث بن حزن بن بجيرة بن الهزيم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية ، وهى اخت ميمونة زوج الرسول ، واخت لبابة الكبرى ، زوج العباس بن عبد المطلب ، عمه

كان ابوه الوليد بن المغيرة سيدا من سادات قريش ، وجوادا من اجوادها ، وكان يلقب بالوحيد ، وقيل انه كان يلقب بالعدل ، لانه كان يكسو الكعبة من ماله سنة ، وتكسوها قريش سنة اخرى

وورث خالد عن والده « القبة » وكانوا يضر بونها ليجمعوا فيها ما يجهبزون به الجيش ، من لباس وما كل وميرة ، وكانت له اعنة الخيل ايضا فكان المقدم على خيل قريش (قائد الفرسان)

واسلم خالد بعد الحديبية ، ولما مال الى الاسلام ، قدم الى المدينة هو وعمرو بن العاص وطلحة بن ابى طلحة العبدرى فلما رآهم الرسول قال لاصحابه « رمتكم مكة بافلاذ كبدها »

وروى الواقدى عن الحارث بن هشام فى سبب اسلامه ما يأتى منقولاً عن

لسانه قال :

« لما اراد الله بى من الخير ما اراد ، قذف فى قلبى حب الاسلام ، وحضرنى رشدى وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن اشهده الا وانصرف وانى ارى فى نفسى انى موضع فى غير شىء وان محمدا سيظهر ، فلما خرج رسول الله

الى الحديدية خرجت فى خيل للمشركين ، فلقيت رسول الله فى اصحابه بعسفان ،
فقتم بازائه وتعرضت له ، فصلى باصحابه الظهر اماما فهممنا ان نغير عليه ، ثم لم يعزم لنا
وكان فيه خيرة ، فاطلع على ما فى انفسنا من الهجوم به فصلى باصحابه صلاة الخوف ،
فوقع ذلك منى موقعا وقلت الرجل ممنوع ؛ وافترقنا وعدل عن سنن خيلنا فاخذ
ذات اليمين

فلما صالح قريشا بالحديبية ودافعته قريش بالراح ، قلت فى نفسى أى شىء
بقى ؟ اين المذهب ؟ الى النجاشى فقد اتبع محمدا واصحابه آمنون عنده ، فاخرج الى
هرقل فاخرج من دينى الى نصرانية او يهودية ، فاقيم فى عجم او اقيم فى دارى
فيمن بقى . وبينما انا على ذلك اذ دخل رسول الله فى عمرة القضية وتغييت فلم اشهد
دخوله ، وكان اخى الوليد قد دخل مع النبي فى تلك العمرة فطلبنى فلم يجدنى فكتب
الى كتابا فاذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد . فانى لم ار اعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام ، وعقلك عقلك ،
ومثل الاسلام يجبهه احد ، وقد سألتى رسول الله ﷺ عنك فقال اين خالد ؟ فقلت يأتى
الله به فقال مامثله يجهل الاسلام ، ولو كان يجعل نكايته وحده مع المسلمين على
المشركين كان خيرا له ، ولقد مناه على غيره ، فاستدرك يا اخى ماقد فاتك من مواطن
صالحة »

ولما جاءنى كتابه ، نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الاسلام ، وسرتنى مقالة
رسول الله ثم رأيت فى النوم ، كأنى فى بلاد ضيقة جدبة نخرجت الى بلاد خضراء واسعة
فقلت ان هذه الرؤيا حق ، فلما قدمت المدينة قلت لأذكرها الى ابى بكر فذكرتها
فقال هو مخرجك الذى هداك للاسلام والضيق الذى كنت فيه الشرك

فلما اجمعت الخروج الى رسول الله قلت من اصاحب اليه فلقيت صفوان بن امية
فقلت اما ترى يا ابا وهب ؟ اما ترى مانحن فيه ؟ انما نحن اكلمة رأس ، وقد ظهر محمد
على العرب والعجم ، فلو قدمنا عليه فاتبعناه فان شرف محمد شرف لنا فابى على اشد

الاباء وقال لو لم يبق غيرى من قریش ما اتبعته ابدا فافترقنا فقلت هذا رجل موتور يطلب وترا قتل ابوه واخوه بيدى

ثم لقيت عكرمة بن ابى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان . فقال لى مثل ما قاله فقلت فاطو ما ذكرت على قال لا اذكره . وخرجت الى منزلى فامرت براحلتى تخرج الى ان التى عثمان بن ابى طلحة . فقلت ان هذا لى لصديق فلو ذكرت له ما اريد ، ثم تذكرت ما قتل من آباءه فكرهت ان اذكره ثم قلت ما على وانا راحل من ساعتى ؟ فذكرت له ما صار الامر عليه . وقلت انما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لوصب عليه ذنوب من ماء خرج ، وقلت له نحوا مما قلت لصاحبه فأسرع بالاجابة ، وقال : لقد غدوت اليوم وانا اريد ان اغدو وهذه راحلتى بفتح مناخة واتفقنا ان سبقتى اقام وان سبقته اقت عليه

وادلجنا بسحرة فلم يطلع الفجر حتى التقينا بياضج (مكان على طريق المدينة يبعد عن مكة ١٢ كيلومترا) فعدونا حتى اتهمينا الى الهدة فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم

- وبك

- اين مسيركم ؟

- ما اخرجك ؟

- فما الذى اخرجكم ؟

- الدخول فى الاسلام واتباع محمد

- ذاك الذى اقدمنى

فاصطحبنا جميعا حتى قدمنا المدينة ، فانحنا بظاهر الحرة ركابنا واخبر بنا رسول الله فسر بنا ، فلبست من صالح ثيابى . ثم عمدت الى رسول الله فلقينى اخى فقال ان رسول الله اخبر بقدمك فسر به وهو ينتظركم ، فاسرعت بالمشى فطلعت فما زال يبتسم الى حتى وقفت فسامت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق فقلت انى اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ، فقال : الحمد لله الذى هدك

- قد رأيت ما كنت اشهد من تلك المواطن عليك معاندا عن الحق فادع الله

ان يغفرها لي

- الاسلام يجب ما قبله

- على ذلك يارسول الله

- اللهم اغفر لخالد كل ما اوضع فيه من صد عن سبيلك

وتقدم عمرو وعثمان فبايعا رسول الله ، وكان قدومنا في شهر صفر من سنة

ثمان ، فوالله ما كان رسول الله يوم اسامت يعدل بي احدا من اصحابه فيما حزبه «

وشهد خالد فتح مكة وما بعده من المشاهد وابلى احسن بلاء في العراق والشام

وسياتى وصف ذلك كله ، ومات على فراشه بجمص في سنة ٢١ للهجرة

ولما حضرته الوفاة بكى وقال «لقد حضرت كذا وكذا زحفا وما في جسدى شبر

الا وفيه ضربة بسيف او رمية بسهم او طعنة رمح وها انا اموت على فراشى حتف

أنفى كما يموت البعير ، فلا نامت اعين الجبناء «

ومما يؤثر عن خالد قوله وهو على فراش الموت: «لقد طلبت القتل في مكانه ، فلم

يقدر لى الا ان اموت على فراشى وما من عملى شىء ارجى عندى بعد لاله الا الله من

ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين بتها وانا متترس والسماء تنهل على وانا

انتظر الصبح حتى اغير على الكفار فعليكم بالجهاد «

واوصى بان يجعل سلاحه وفرسه عدة فى سبيل الله . ومات وهو فى الستين

ووصفه النبي بانه سيف من سيوف الله

اعمال المسلمين العسكرية في جنوب العراق

لم يشأ خالد حينما اقترب من ثغر الابلية (البصرة القديمة) ان يهاجمها غدرا، وان ينزل سيف النقمة على رؤوس سكانها، بل كتب كتابا الى هرمز، عامل كسرى في ذلك الثغر الفارسي الكبير، يخبره فيه بين الدخول في الاسلام او دفع الجزية او الاستعداد للحرب، وهي الخطة التي اتبعها المسلمون في جميع حروبهم قال:

« بسم الله الرحمن الرحيم

« من خالد بن الوليد الى هرمز

« اما بعد فاسلم تسلم او اعتقد لنفسك وقومك الذمة واقرب بالجزية والا فلا

تؤمن الا نفسك فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة »

واعد خالد عدته للحرب على اثر ارسال هذا الكتاب، لانه ما كان يجهل الجواب، وقسم جيشه الى ثلاثة اقسام فسار كل فريق من ناحية وواعدهم الاجتماع بالحفير وهو موضع ماء على ستة كيلومترات من البصرة على طريق البحرين، ولما تلقى هرمز الكتاب خرج بقواه للقائهم. ومعنى ذلك انه اراد ان يكون مهاجما لمدافعا فلا يحصره المسلمون في داخل مدينته، وكتب الى كسرى بما حدث وبما فعله. وبلغه في الطريق ان العرب اتعدوا الاجتماع في الحفير فقصدها وبلغها قبل ان يباغوها فاحتل ماءها وعبأ جيشه استعدادا للقائهم. وعرف خالد بوصول قوى الفرس الى الحفير فتحول عنها الى « كاظمة » بقرب البصرة وهي احدى الكواظم (مدن قديمة) بينها وبين البصرة نحو ١٢ كيلومترا

المعركة الاولى بين العرب والفرس

واتصل بهرمزان العرب احتشدوا في كاظمة فسار اليهم على الفور وفيها التقى الجيشان . وكانت المرة الاولى التي التقى فيها العرب بالفرس في الاسلام وكان كل من خالد وهرمز في مقدمة جيشه فقتل خالد مبارزه وشتت جيشه فكان اول نصر ناله المسلمون على الفرس في الاسلام فشجعهم وقوى عزائمهم ونشطهم . على ان بعض المؤرخين يقول ان اللقاء الاول كان في الحفير لا في كاظمة

المعركة الثانية

وواصل خالد زحفه نحو الشمال فعرف ان الفرس جهزوا جيشا للقائه بقيادة قارن بن قريانس وان هذا - وقد كان قادما لنجدة هرمز - توقف في المذار (وهو على بعد ٩٦ ميلا من شمالي البصرة قرب قلعة صالح في لواء العمارة في الوقت الحاضر ويبعد عن المدائن ٢٤٠ ميلا الى الجنوب) فاسرع خالد للقائه واشتبك الجيشان واقتتلا قتالا شديدا انتهى بفوز خالد وتغلبه على الفرس فانهمزوا بعد ما قتل منهم عددا كبيرا وعبروا دجلة من ضفته الغربية الى الشرقية فلم يتمكن المسلمون من اللحاق بهم ومطاردتهم لقلّة وسائل المواصلات لديهم

المعركة الثالثة

وأعد الفرس جيشا ثالثا على جناح السرعة للقاء العرب غادر المدائن فلم ينتظر خالد وصوله بل زحف اليه على جاري عادته - بعد ما قام في المذار قوة لحفظ خط رجعتة - فالتقى الجيشان في الوجبة (شمالي المذار) - ويقولون انها مدينة واسط التي بناها الحجاج وهي تبعد عن مدينة الحى اليوم سبعة اميال - فصدم الفرس صدمة عنيفة وكان قد قسم جيشه الى ثلاث اقسام ولم يلبث ان هزمهم واتصر عليهم وقتل في هذه

المعركة كثيرون من نصارى العرب من قبائل بكر بن وائل وقد جنسدهم الفرس لقتال ابناء جلدتهم

الفرس يعبؤون جيشاً رابعاً

وعبأ الفرس جيشاً رابعاً قاده بهيمن جاذويه قائد الجيش الثالث وقد احتشد هذا الجيش في اليس من قرى الانبار قرب (الفلوجة) فسار خالد اليهم على جارى عادته وهزمهم وهكذا سحق في مدة قصيرة اربعة جيوش للفرس

دهمة والفرات

والباحث في خطط خالد العسكرية والاساليب التي اتبعها في قتال الفرس بالعراق والطرق التي سلكها يتبين له انه اتبع دجلة في زحفه من الجنوب الى الشمال ، ويجرى دجلة من الشمال الى الجنوب ويشق المداين (عاصمة الفرس يومئذ) واسمها بالفارسية طيسفون وهي مبنية على ضفة دجلة اليسرى وتقابلها سلوقيه على الضفة اليمنى وتبعدان ٢٠ ميلا عن بغداد جنوباً

ويقترن نهر الفرات في سيره الى الجنوب بدجلة ويؤلفان عند اجتماعهما شط العرب في القرنة ، من الاقتران (اقتران دجلة بالفرات) ويتصل بخليج فارس فالحيط الهندى كما لا يخفى . ولئن لم يتغير مجرى هذين النهرين الكبيرين في المناطق العليا الا ان مجراهما في جنوبى العراق ووسطه قد تغير تغيراً كبيراً في مناطق شتى . ولا سيما في المكان الذى يجتمعان فيه

وكان القسم الاكبر من دجلة يتبع مجرى نهر العراف في عهد الساسانيين وفي ابتداء الفتح الاسلامى ويصب قليل منه في المجرى الذى يمر بمدينة العمارة الآن ، وكان يلتقى بالفرات في جواز القرنة . اما ماء شط الفرات فكان يصب في البطائح ، ثم يجرى نحو الشرق فيصب في شط العرب ، وكان هنالك رافد يصل حتى جوار المذار

وكان نهر الفرات يجري على فرعين في العهد الساساني فرع بابل (شط الحلة الآن) وفرع الكوفة (شط الهندية الآن) وكانا يلتقيان قرب السماوة في الجنوب ويصبان في البطائح ويتصلان ببحيرات صغيرة صالحة للملاحة تنتهي بشط العرب وتربط المداين بخليج فارس

السواد

وكانوا يطلقون اسم السواد على القسم الممتد من اول حدود العراق الجنوبية حتى سامراء وهييت فيشمل البصرة والحلة والديوانية والعمارة وكر بلاء والنجف والكوفة ، ويقال انها سميت سوادا لاشتباك شجر النخيل فيها فكان القادم الى العراق يرى من بعد سوادا فسميت به . اما الجزيرة فتشمل المنطقة الممتدة ، من شمالي سامراء حتى شمالي الموصل على مجرى دجلة وشمالي هييت على مجرى الفرات

الفرس ينقلون صيراه القتال

ورأى الفرس بعد ما هزمهم خالد الهزائم المتتابعة على دجلة ان ينقلوا ميدان القتال الى منطقة الفرات فيبعدوا الخطر عن عاصمتهم ، فاخذوا يحشدون جيشا جديدا في « اليس » قرب الانبار (والانبار بجوار الفلوجة او هي نفسها وتبعد عن بغداد ٦٥ كيلو مترا وهي الى غربيها وتقع على ضفة الفرات الشرقية) وبلغ خالد احتشادهم فطار اليهم على جناح نعامه ، لانه انما كان يطارد الجيش الفارسي نفسه ويسعى لاضعافه وتمزيق شمله وضربه الضربة القاضية ، ومتى ادرك ذلك استسلمت اليه البلاد وانقادت فإلهم هو تمزيق جيوش العدو لا احتلال مدنه فانه لا يحجم ان ينقض على عدوه عند سنوح الفرص ويتغلب عليه ويخرجه من بلاده ما دامت قواه سليمة

وقاد بهم من جاذويه الفرس في اليس ، كما قادهم من قبل في الوجة ، ولم يستطع
 ثباتا امام خالد حينما دارت رحى الحرب فولى الادبار وارتد بقلوله الى المداين وهكذا
 سيطر المسلمون على المنطقة الممتدة من جنوبي الانبار حتى شط العرب ، كما كانوا
 يسيطرون على المنطقة الممتدة من جنوبي الوجة حتى البصرة ايضا اى انهم
 امتلكوا السواد كله تقريبا

فتح الحيرة

وصلت اخبار انتصار خالد في اليس الى مرزبان الحيرة (القائد الفارسي فيها ،
 وكانوا يلقبون كل قائد فارسي بهذا اللقب كما كانوا يلقبون قواد الروم بلقب بطريق
 وهي تعادل كلمة جنرال عند الاوربيين في عصرنا) وتقع الحيرة جنوبي الانبار وبينهما
 نحو ٩٠ - ٩٢ ميلا وعرف ان خالدا لا بد مدركه فتجهز وأعد معدات الحصار وجمع
 الجند والقوى وأرسل قوة بقيادة ولده للكشف والاستطلاع . وكان من التدابير التي
 عمد اليها تفجيرها الانهار الآخذة من الفرات فقل ماؤه فرست السفن على الطين
 ووقفت عن السير وكان خالد يعتمد عليها في نقل جيشه في زحفه من اليس الى الحيرة
 والظاهر انها مما غتمه من الفرس

وسار خالد على الفور الى الحيرة لمنازلة الفرس فنزل قرب قصر الخورتق ويقع
 شرقي الحيرة في الطريق بينها وبين النجف ، وهو من قصورها المشهورة وكان على
 نهر يسمى باسمه وهو على ميل منها ، فنزل و ضرب خيامه استعدادا للنزال
 وكان ملك الحيرة يومئذ المنذر الخامس بن النعمان الثالث وقد تبوأ الملك سنة
 ٦٢٨ و الظاهر انه لم يكن له من الامر شيء فقد تولى القائد الفارسي (المرزبان) في
 اول الامر الدفاع عن العاصمة وحاول صد المسلمين عنها . ولما ظهر عجزه وادرك انه
 لا قبل له بلقائهم توأرى بقواته وراء الاسوار وتحصن مع الذين تحصنوا من اهلها
 ونفذ خالد تعليمات ابي بكر فأرسل الى اهل الحيرة رسولا ابلغهم اقتراحاته

المعروفة وخيرهم بين واحدة من ثلاث فاما الاسلام واما الجزية واما الحرب وامهلهم ٣٤ ساعة ليختاروا واحدة منها . ولما انقضى الموعد المضروب ولم يرد جوابهم امر بالهجوم على المدينة ومضايقتها فنادى القسيسون والرهبان : يا اهل القصور ما يقتلنا غيركم . وتظاهر غيرهم من العامة طلبا للصلح فلم ير الرؤساء والزعماء بدا من الاستسلام فطلبوا الى خالد ان يكف الحرب عنهم واخبروه انهم قبلوا المطلب الثاني وهو الجزية وانهم سيدفعونها فورا

اول جزية يقبضها المسلمون

وهكذا دخلت الحيرة (عاصمة المناذرة) في حوزة المسلمين وقضى على نفوذة الفرس في بلاد المناذرة وهذه صورة عهد خالد لأهل الحيرة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل الحيرة : ان خليفة رسول الله ﷺ ابا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه امرنى ان اسير بعد منصرفى من اهل اليمامة الى اهل العراق من العرب والعجم و بان ادعوهم الى الله جل ثناؤه والى رسوله عليه السلام ، وابشرهم بالجنة ، وانذرهم من النار فان اجابوا فلهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين وانى انتهيت الى الحيرة ، فخرج الى اياس بن قبيصة الطائى فى اناس من اهل الحيرة من رؤسائهم ، وانى دعوتهم الى الله والى رسوله فأبوا ان يجيبوا فعرضت عليهم الجزية او الحرب ، فقالوا : لاحاجة لنا بحربك والكن صالحنا على ما صالحت عليه غيرنا من اهل الكتاب فى اعطاء الجزية وانى نظرت فى عدتهم فوجدت عدتهم سبعة آلاف رجل ، ثم ميزتهم فوجدت من كانت به زمانه الف رجل ، فاخرجتهم من العدة ، فصار من وقعت عليه الجزية ستة آلاف فصالحونى على ستين الفا وشرطت عليه ان عليهم عهد الله وميثاقه الذى أخذ على اهل التوراة والانجيل ان لا يخالفوا ، ولا يعينوا كافرا على مسلم من العرب ولا من العجم ، ولا يدلوه على عورات المسلمين ، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ان اخذه اشد ما اخذه على نبي من عهد او ميثاق او ذمة ، وان خالفوا

فلا ذمة لهم ولا امان وان هم حفظوا ذلك ووعوه وادوه الى المسلمين فلهم ما للمعاهد
وعلينا المنع لهم ، فان فتح الله علينا فهم على ذمتهم لهم بذلك عهد الله وميثاقه اشد
ما اخذ على نبي من عهد او ميثاق ، وعليهم مثل ذلك لا يخالفوا ، وجعلت لهم أيما شيخ
ضعف عن العمل ، او اصابته آفة من الآفات ، او كان غنيا فافتقر ، وصار اهل دينه
يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ، ما اقام بدار
الهجرة ودار الاسلام ، فان خرجوا الى غير دار الهجرة ودار الاسلام فليس على المسلمين
النفقة على عيالهم ، وأيما عبد من عبيدهم اسلم اقيم في اسواق المسلمين فيبيع بأعلى
ما يقدر عليهم في غير وكس ولا تعجيل ، ودفع ثمنه الى صاحبه ، ولهم كل ما لبسوا
من الزى الا زى الحرب ، من غير ان يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم ، وإيما رجل منهم
وجد عليه شيء من زى الحرب سئل عن لبسه ذلك ، فان جاء منه بمخرج والا
عوقب بقدر ما عليه من زى الحرب وشرطت عليهم جباية ما صالحتهم عليه حتى يؤدوه
الى بيت مال المسلمين ، عمالمهم منهم ، فان طلبوا عوننا من المسلمين اعينوا به ، ومؤنة
القواد من بيت مال المسلمين »

وقبض خالد من اهل الحيرة ٩٠ الف درهم وهي اول جزية يقبضها المسلمون
واهدوا له هدايا امره ابو بكر بان يعدها من الجزية ففعل

خالد يستقر بالحيرة

واستقر خالد بالحيرة وانشأ فيها حكومة اسلامية واخذ يعمل لنشر نفوذ
الاسلام في منطقة الفرات وكان صالوبا بن نسطون صاحب قس الناطف وهو موضع
على الفرات الشرقي قرب الكوفة و بينهما نحو ٢٠ كيلو مترا - اول من صالح الفاتحين
من امراء البلاد المجاورة وهذا نص كتاب خالد له :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب من خالد بن الوليد لصالوبا بن نسطون وقومه اني اعاهدكم على
الجزية والمنعة على كل ذي يد سوى ما على بانقيا وباروسما جميعا على عشرة آلاف

دينار سوى الجزية القوي على قدر قوته والمقل على قدر اقلاله في كل سنة وانك قد
نقبت على قومك وان قومك رضوا بك وقد قبلت ومن معي من المسلمين ورضيت
ورضى قومك فلك الذمة والمنعة فان منعناكم فلنا الجزية والا فلا حتى نمنعكم»

خالد بنز كسرى وقواد الفرسى

وارسل خالد من مقامه بالحيرة الكتاب الآتى الى كسرى يكرر فيه دعوته له
بالدخول فى الاسلام ويهدده بالزحف عليه وتدمير ملكه اذا لم يقبل وهذا كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن الوليد الى ملوك فارس

اما بعد فالحمد لله الذى حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم ولو لم يفعل ذلك
بكم لكان شرا لكم فادخلوا فى امرنا ندعكم وارضكم ونجوزكم الى غيركم والا كان
ذلك وانتم كارهون على غلب على ايدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»
وارسل الكتاب الآتى من الحيرة الى مرازبة (قادة) الجيش الفارسى قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن الوليد الى مرازبة فارس

الحمد لله الذى فض خدمتكم ، وفرق جمعكم ، واوهن بأسكم ، وسلب اموالكم
وازال عزكم ، فاذا اتاكم كتابى هذا فابعثوا الى بالرهن واعتقدوا منا الذمة ، واجيبوا
الى الجزية والا فوالله الذى لا اله الا هو لأسيرن اليكم يقوم يحبون الموت كما تحبون
الحياة ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا

ولم يتلق جوابا لا من الملك ولا من هيئة القواد ، وبدلا من ان ينزل هؤلاء
على امره ويجيبوا دعوته انصرفوا الى حشد قواهم وتنظيم شؤونهم الداخلية
وازالة ما بينهم من ضغائن وخلافات ومنافسات لاريب فى انها سهلت مهمة خالد
كثيرا وساعدته على نيل اوطاره وبيدهى ان فوز المسلمين على الفرس
فى المعارك التى نزلوهم فيها وتغلبهم عليهم - وقد حكموا العرب وسادوهم مدة

خمسة قرون تقريبا (٢٢٦ - ٦٣٢ م) ماعدا فترات قصيرة - من الحوادث الخطيرة التي لا يستهان بها والمرّة الوحيدة التي انتصر فيها العرب على الفرس هي يوم ذى قار (ماء لبكر بن وائل قرب الكوفة يقع بينها وبين واسط اى بين الفرات ودجلة) فقد قاتل بنو شيبان قوى الفرس والعرب الموالية لهم وتغلبوا عليها وهزموهم بفضل انضمام قبيلة اباد الى بنى شيبان وكانوا يقاتلون في صفوف الفرس حين ابتداء المعركة ويقال انها حدثت في نفس السنة التي حدثت فيها معركة بدر الكبرى والراجح انها كانت بين سنة ٦١٣ و ٦١٨ ولما بلغ الرسول خبرها قال (هذا اول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبى نصروا)

خطة عسكرية جديدة لخالد

ورأى خالد بعد ما فتح الحيرة واستقر فيها واخضع جنوبى العراق ان يلحق بحملة عياض بن غنم - وقد ذكرنا من قبل ان ابا بكر وجهها لغزو شمالى العراق فى نفس الوقت الذى امر فيه خالد بان يغزوه من الجنوب ، وقد رمى من توجيه هاتين الحملتين فى وقت واحد الى تعاونهما فى الفتح فتسير كل حملة من ناحية وتجتمعان فى الوسط وتعملان متحدتين وفى ذلك قضاء على الدولة الفارسية وفناء لها ، ولم يصحب التوفيق حملة الشمال فلم تعمل عملا يذكر فاستقر قرار خالد ان يسير اليها ثم يزحف بها من الشمال الى الجنوب وينفذ ما امر به الخليفة ولو تم ذلك لسهل مهمة المسلمين فقد كانت للفرس معاقل وحصون فى هذه المنطقة كالحضر والاخيضر والحراب وهى قصورا وهى حصون معروفة واطلالها شاخصة الى اليوم ، تحول دون اجراء الحركات العسكرية بسهولة

وولى خالد القعقاع بن عمرو الحيرة وغادرها الى الشمال للاجتماع بعياض ، فسلك طريق الانبار - وكانت لا تزال بيد الفرس - لانه لم يهاجمها بعد معركة الينس وهى فى شمالها بل اتجه الى الجنوب فوصل الحيرة كما تقدم . وبلغ قائد الانبار خروجه فتهيأ لقتاله ، وحشد الجيوش للقائه ، وامر خالد رماة المسلمين حين بلغ

الانبار وشاهد اهلها وقد تحصنوا وراء الاسوار بان يرموهم بنبالهم ، ثم امر مشاته
بالمجوم عليها

ورأى قائد الحامية انه لا قبل له بالمقاومة فصالحه على ان يسلمه المدينة وعلى ان
ينجو ومن معه بارواحهم وتركوا له الاموال والمتاع ونفذت هذه الشروط وتسلم
المسلمون الحصون وعين خالد الزبرقان بن بدر قائدا لها

وعلم المسلمون وهم في الانبار (الفلوجة) ان الفرس والعرب المنتصرة يتجمعون
في (عين التمر^(١)) موضع على مسافة ستة اميال من شفاثا و٥٢ ميلا من كر بلا بقيادة
مهران بن بهرام ، وانهم حشدوا لهم قوى كبيرة ، فزحف الى لقاءهم على جارى عادته
ليضربهم قبل ان يتموا تجمعهم ورتب جيشه وعبأ استعدادا للنضال والكفاح فلا
يؤخذ على غرة

وقال عقبة بن ابى عقبة - وكان يقود جموع العرب المنتصرة من تغلب واياذ
وغيرها وقد اجتمعت في عين التمر - لقائد الفرس : ان العرب اعرف بقتال العرب
فدعنى وخالدا فاناه

— افعل ما بدالك

— اذن ساخرج للقاءه وهاجمه قبل ان يهاجنا

— لا مانع

وخرج عقبة بمن تبعه من جموع العرب للقاء خالد ولزم قائد الفرس مكانه
انتظارا لنتيجة المعركة

ومكن انقسام جيش الفرس على هذا المنوال وتشتت قواهم خالدا من التغلب
عليهم فلم يلبث ان انشب مخالبه في جيش العرب واخذ قائدهم (عقبة) اسيرا .
فرجع قومه الى عين التمر ينادون ويلا وثبورا فاحاف ذلك الفرس وامات القوة

(١) كانت من المدن المعروفة في عهد المناذرة وهي على طريق القوافل بين
الشام والعراق وقد دمرت الآن وعفت آثارها ويقال انها كانت بالقرب من ناحية
شفاثا (من اعمال لواء كربلاء) وغربي الكوفة

الادبية في صدورهم فغادر معظمهم الحصن وفي مقدمتهم قائدهم من دون ان ينتظروا وصول المساميين وهكذا نال خالد فوزا كبيرا في هذا الميدان بسوء تصرف القائد الفارسي ، فلو استبقى قواه كلها ونظم صفوفه لاستطاع منازلة خالد وعرقلة حركاته العسكرية على الاقل

و بلغ خالد بعد ذلك عين التمر ف ضرب الحصار عليها ولم يلبث ان دخلها عنوة وقتل من فيها وسي نساءها واهلها فسيطر بذلك على طريق القوافل الجنوبي بين العراق والشام وقضى على كل نفوذ للفرس في هذه الناحية

مسير حملة الشمال

لئن اغفل مؤرخو الاسلام العسكريون الكلام عن حملة عياض ولم يعنوا بتدوين اخبارها - والواقع انها لم تعمل عملا يذكر - فالفهوم من امرها انها بعد ما غادرت المدينة ووصلت الى الجوف (دومة الجندل) في طريقها الى شمالي العراق كما رجحنا ذلك من قبل ووقفت فيه لقتال نصارى العرب الذين تصدوا لها بالاتفاق مع اكيدر صاحب الجوف والظاهر انه نقض عهد المسامين مع انه دخل في طاعتهم على يد خالد في اثناء غزوة تبوك كما سيأتي في المجلد الثاني

ولما تبين عياض عجزه عن شق طريق حملته والتقدم الى شمالي العراق ولما كان خالد اقرب اليه من المدينة كتب اليه يستقدمه اليه فيشتركان في العمل فوصله الكتاب وهو في عين التمر . ولا يخفى ان هذه الفكرة خطرت في بال خالد قبل ان تخطر في بال عياض ولا ادل على ذلك من وصول رسول هذا اليه وهو في طريقه للقاءه

افتتاح الجوف واستسلام العرب

وواصل خالد زحفه الى دومة الجندل وكان عياض لا يزال في اطرافها وهو يطاول العرب انتظارا لوصول خالد فلما عرف قادة هؤلاء بوصوله اليهم اشار عليهم اكيدر صاحب الجوف بالاستسلام اليه ومصالحته على الشروط التي يقترحها لانه لا قبل لهم بمقاومته والوقوف في وجهه وقال لهم مانصه « انا اعلم الناس بخالد لا احد ايمن طائرا منه ، ولا اصمد في حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم ابدا قلوبا او كثروا الا انهزموا عنه فاطيعوني وصالحوا القوم » فصرخوا بنصحه عرض الحائط ولم يستمعوا اليه فقال

لهم حينما رأى اصرارهم على القتال: «شأنكم وماتر يدون» وانفصل عنهم برجاله وهكذا تفرقوا واختلفوا وانقسموا قبل ان يروا وجه خالد وقبل ان يصل اليهم . فتكرّر في الجوف ما وقع في عين التمر

وواصل خالد تقدمه حتى بلغ الجوف فنزل عندها وكان فيها الجودي بن ربيعة ومن معه من رؤساء قبائل الاطراف (قبائل الشام لا قبائل الحجاز) التي انضمت اليه لقتال المسلمين بتحريض الروم واغرائهم - فهاجمهم واشتركت الحملتان في قتال القوم وهزموهم ولم ينج منهم الا بنو كلب حلفاء بني تميم فقد اجارهم عاصم بن عمرو التيمي وبهذا خضع الجوف للمسلمين وملكوه وبذلك صاروا يسيطرون على طريق القوافل الشمالي في الصحراء

الحرب في شمال العراق

قفل خالد الى الحيرة مع قوى عياض بن غنم ، بعد ما ادب بعض قبائل الشام وضربهم ضربة شديدة ، ولم يذهب الى فلسطين والاردن للاشتراك في الاعمال العسكرية التي كانت تعمل فيها ، لانه تلقى وهو في الجوف اخبارا بان الفرس يتجمعون لقتاله ويبعثون القوى لنزاله

وسير بعد وصوله الى الحيرة سريتين الاولى الى الخنافس - اسم لارض قرب الانبار كانت تقام فيه للعرب سوق - فاوقعت بمن كان فيها من رجال العدو وهزمتهم واحتلتها كما ارسل سرية اخرى الى الحصيد (موقع في اطراف العراق من جهة الجزيرة) فهزمت العدو واحتلته

وقصد خالد بعد ذلك المصيخ في شمالي العراق (مجهول الآن) فدارت بينه وبين الفرس معارك انضم فيها العرب من نصارى الشام الى العرب من نصارى العراق وقتلوا

المسلمين جنبا الى جنب مع الفرس والروم وربما كانت هي المرة الوحيدة التي يتحد فيها الاعداء القدماء ويتعاونون فقد ادركوا ان انتصار المسلمين مؤذن بقاء الامبراطوريتين على السواء . وانتهت المعارك التي دارت في هذا الميدان بانتصار المسلمين وهزيمة المتحالفين

خالد في ميدان الشام

وتلقى خالد بعد متصرفه من الشمال كتابا من ابي بكر يوجهه فيه الى قتال الروم في الشام ومشاركة المسلمين في نضالهم وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من ابي بكر الى خالد بن الوليد

سرحتي تأتي جموع المسلمين باليرموك فانهم قد شجوا واشجوا ، واياك ان تعود
لمثل ما فعلت (١) فانه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجيك ، ولن ينزع الشجي
من الناس نزعك ، فليتهك ابا سليمان النية والخطوة ، فآتم يتمم الله لك ، ولا يدخلنك
عجب فتخسر وتخذل ، واياك ان تدل بعمل فان الله له المن وهو ولي الجزاء »

وغادر الحيرة على الفور مع عشرة آلاف مقاتل وهم نصف جيش العراق وذلك
في شهر صفر سنة ١٣ وسار سيرا حثيثا فادرك المسلمين وهم على وشك الدخول في
معركة اليرموك فقادهم وادارها بكفاءة نادرة ففاز فوزا مينا وتم على يده فتح الشام
كما تم فتح جنوبي العراق وقد فصلنا ذلك تفصيلا وافيا في المجلد الثاني واسمه « حروب
الاسلام والامبراطورية الرومية »

اعمال خليفة خالد

وخلقه على قيادة جند العراق المشي بن ابي حارثة الشيباني مع عشرة آلاف من

(١) قصد خالد مكة وهو منصرف من الفراض الى الحيرة فشهد الحج سنة ١٣
وادى الفريضة ثم عاد الى الحيرة من دون ان يستأذن ابا بكر فنهاه عن العودة لمثلها :

الجنود واتصل بهذا ان الفرس يجمعون الجيوش لقتاله وانهم حشدوا حشدا كبيرا في بابل (قرب الحلة وشرقي الحيرة) فسار اليهم وقتلهم وهزمهم وطاردهم حتى قرب المدائن ثم عاد الى الحيرة .

واتصل بالقائد الجديد ان الفرس يجمعون جموعا عظيمة ، وابطأت عليه اخبار ابي بكر فرأى ان يذهب بنفسه الى المدينة للاجتماع به وبسط الحالة على مسامعه والاتفاق معه على خطة ينفذها - وبين المدينة والحيرة نحو ٩٥٠ كيلومترا ويسلك الحاج العراقي هذه الطريق في الوقت الحاضر فيسير من النجف قرب الحيرة الى المدينة بطريق حائل - فبلغ المدينة وابو بكر في مرضه الاخير ، وكان قد استخلف في الحيرة بشير بن الحفاجة

ابوبكر بوصى بفتح فارس

قابل الثني ابا بكر ووصف له الحالة والح بارسال قوى كبيرة لاتمام فتح فارس والقضاء على ملك الاكاسرة واقترح ان يستعان بمن اظهر توبته وندمه من اهل الردة - وكان ابو بكر امر قواد جيشه بان لا يستعينوا باحد منهم و بان لا يجندوهم في صفوفهم - واقترح اقتراحات اخرى تدور كلها حول تعزيز الجيش العربي في العراق ، فقد كانت قوى المسلمين الكبرى محشودة يومئذ في الشام لمنازلة الروم وكانت خطة ابى بكر تقوم على اتخاذ خطة الهجوم في ميدان الشام (الميدان الشمالى) وانتزاعها من الروم نهائيا ثم الرجوع الى فارس وانجاز امرها وما كانوا يخشون منها بعد ما فتحوا جانبا كبيرا من بلادها وضربوا الفرس ضربات افقدتهم الرشد وزلزلتهم زلزالا شديدا

فاما سمع ابو بكر منه ما سمع ووعى اقتراحاته دعا بعمر بن الخطاب الخليفة العتيد - واوصاه بان يحشد القوى ويسيرها على الفور مع الثني لقتال الفرس و بان يرجع خالدا ومن معه الى العراق متى تم فتح الشام وقال له مانصه :

« استمع يا عمر ما اقول لك ثم اعمل به : انى لارجوان اموت من يومى هذا . فان انا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع الثني ولا تشغلنكم مصيبة وان عظمت عن امر دينكم ووصية ربكم . وقد رأيتنى توفى رسول الله وما ضعفت ، ولم يصب الخلق بمثله . وباللله لو انى عن امر الله او امر رسول الله لخذلنا ولعاقبنا فاضطربت المدينة نارا . وان فتح الله على امراء الشام فاررد اصحاب خالدا الى العراق فانهم اهله وولاية امره وجنده واهل الضراوة بهم والجرأة عليهم »

عمر بن عبد العزيز وصية ابي بكر

ويكمل فتح العراق وايران

مات ابو بكر ليومه وخلفه في امارة المؤمنين عمر بن الخطاب صاحبه ووزيره
ومستشاره ، وما كاد ينتهي من دفنه حتى بدأ بتنفيذ وصيته فانتدب المسلمين للجهاد
ودعاهم الى التطوع في قتال الفرس وبين لهم العاجل والآجل من فوائده ومما قاله في
خطبته وهي الاولى بعد بيعته بالخلافة قال :

« ايها المسلمون

« ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ولا يقوى عليه اهله الا بذلك .

اين الكبراء المهاجرون عن موعود الله

« سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها فانه قال

ليظهره على الدين كله والله مظهره ومعزه وناصره ، ومولى اهله مواريث الامم ، اين

عباد الله الصالحون ؟ »

المتى بخطب

وخطب في هذا الاجتماع ايضا المثني بن حارثة الشيباني قائد جيش الحيرة فايد

عمر في دعوته وحض الناس على الخروج معه لقتال الفرس وهون امرهم ومما قاله :

« ايها المسلمون

« لا يعظمن عليكم امر الفرس فانا قد تبجحنا ريف فارس وغلبناهم على

خير شقى السواد ، وشاطرناهم ، ولنا من قبلنا عليهم . ولها ان شاء الله ما بعدها »

قائد مهدي جيش العراق

وكان ابو عبيد بن مسعود الثقفي اول من لبي الدعوة وتطوع للجهاد في جيش العراق فولاه عمر القيادة العامة لهذا الجيش بدلا من خالد لانه سبق اخوانه من المهاجرين والانصار في تلبية داعي الجهاد واوصاه الوصية الآتية : وهي اول وصية يوصى بها قائدا من قواده - قال :

«اسمع من اصحاب رسول الله واشركهم في الامر ، ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين فانها الحرب والحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف »
وسار ابو عبيد من حينه الى الحيرة مع الجند الذي جهز له وتشمر لحرب الفرس وكانوا قد احكموا امورهم ونظموا شؤنهم وحشدوا القوى الكبرى لقتال العرب

عمر بن الخطاب

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى من بنى عدى بن كعب بن لؤى
وامه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة من بنى مخزوم بن يقظة بن مرة ولد لثلاث عشرة
سنة خلت من ميلاد الرسول ، وكانت اليه السفارة فى الجاهلية ، فكانت قريش تبعته
سفيرا اذا وقع بينهم وبين احد خلاف ، او نافرهم منافر ، او فاخرهم مفاخر
وكان فى ابتداء امره شديد الوطأة على الاسلام والمسلمين ، مقاوما لهم ، ثم اسلم
فى السنة السادسة للبعثة ، فاعتز المسلمون به وهو المسلم الاربعون ، فقد سبقه ٣٩
رجلا وامرأة الى الاسلام

وقص عمر خبر اسلامه على المنوال الآتى فقال :

« كنت من اشد الناس على رسول الله فينما انا فى يوم شديد الحر بالهجرة
فى بعض طرق مكة ، لقينى رجل من قريش فقال اين تذهب يا ابن الخطاب . انت
ترغم انك هكندا وقد دخل عليك هذا الامر فى بيتك
- وما ذاك

- لقد اسامت اختك (واسمها فاطمة وقد اسامت مع زوجها سعيد بن زيد)
فرجعت مغضبا

وكان رسول الله يجمع الرجل والرجلين اذا اساما عند الرجل به قوة فيكونان
معه ويصيبان من طعامه . وكان قد ضم الى زوج اختى رجلين فجئت حتى قرعت
الباب فقبل من هذا ؟

- ابن الخطاب

فاما سمعوا صوتى - وكانوا جاوسا يقرؤن فى صحيفة معهم - تبادروا واخففوا ،

وتركوا اونسوا الصحيفة من ايديهم . وقامت المرأة ففتحت لى فقلت يا عدوة نفسها
بلغنى انك صبات (اسامت)

قال وارفع شيئا فى يدي فاضربها به فسال الدم فلما رآته بكت ثم قالت يا ابن
الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اسامت

فدخلت وانا مغضب جلست على السرير فنظرت فاذا بكتاب فى ناحية البيت
فقلت ماهذا الكتاب اعطنييه

— لا اعطيك ، لست من اهله . انت لاتغتسل من الجنابة ، ولا تتطهر وهذا

لايمسه الا المطهرون

ولم ازل بها حتى اعطتنيه فاذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة
من يدي ثم رجعت الى نفسى فاذا فيها « سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز
الحكيم » ولما وصلت الى قوله « ان كنتم مؤمنين » قلت اشهد ان لاله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه منى وحمدوا
الله عز وجل . ثم قالوا ابشريا ابن الخطاب فان رسول الله دعا يوم الاثنين بقوله : اللهم
اعز الاسلام باحد الرجلين : اما عمرو بن هشام واما عمر بن الخطاب ، وانا لارجوان
تكون دعوة رسول الله لك فابشر

ولما عرفوا منى الصدق سألتهم ان يخبرونى بمكان رسول الله فقالوا هو فى بيت
فى اسفل الصفا وصفوه فخرجت حتى قرعت الباب فقبل من هذا ؟ قلت ابن الخطاب ،
فما اجترأ احد منهم ان يفتح لما يعرفونه من شدتى على رسول الله ولاهم لم يعلموا
باسلامى

فقال رسول الله افتحواله فان يرد الله به خيرا يهده ، ففتحوالى واخذ
رجلان بعضدى حتى دنوت منه فقال ارسلوه فارسلونى جلست بين يديه فاخذ بجمع
قيسى فجدبنى اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده . فقلت اشهد ان لاله الا الله
وانك رسول الله ، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة

وسماه الرسول الفاروق لانه فرق في اسلامه بين الحق والباطل
 بويع بالخلافة على اثر موت ابى بكر يوم ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٣ وطمعن
 يوم الاربعاء ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣ ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة ٢٤ ، طعنه
 ابو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة وهو فارسى الاصل ، بسكين مسمومة ذات حدين
 فقال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الاسلام وكانت خلافته ١٠ سنين
 وخمسة اشهر و ٢١ يوما

استئناف القتال في ميدان العراق

اعمال ابي عمير العسكرية

لم تكن الضربة التي ضربها خالد الفرس - حينما كان في ميدان العراق - قاتلة وليس بالسهل القضاء على دولة عظيمة كدولتهم ، لها من الموارد الكبرى والمصادر الكثيرة وسعة الاراضى ووفرة الجند وتنوع السلاح ما يجعلها في مقدمة دول الشرق فقد قاتلت الروم ، اعظم دول ذلك العصر سنين طويلة ونازلتهم في معارك عديدة وكانت الحرب بينهما سجالا فيوما ينتصر هؤلاء ويوما هؤلاء ، وكان الفرس قد اكتسحوا بلاد الشام وتوغلوا في الاناضول شمالا توغلهم في مصر جنوبا

ولقد هزت انتصارات خالد وفتوحاته في جنوبي العراق وشماليه وتشتيته شمل القوى العديدة التي ارسلت لقتاله ، الامبراطورية الفارسية هذا وزلزلتها زلزالا ، ونهبت عقلاء فارس الى الخطر الذي يهددهم وحفزتهم الى اتخاذ شتى التدابير لاتقاء الكارثة وتوشك ان تنقض على رؤوسهم فتقضى على ملكهم وتجعلهم تبعا للعرب بعد ما كان العرب تبعا لهم

وكان في مقدمة التدابير التي دبروها انهم وحدوا صفوفهم في الداخل واختروا ازرميدخت بنت كسرى ابرويز ملكة لهم وبايعوها على السمع والطاعة والانقياد فاختارت رستم قائدا عاما للجيش الفارسى ومنحته سلطة واسعة واطلقت يده اطلاقا تاما في قتال المسامين وفي اتخاذ ما يراه لازما من التدابير فبدأ فحشد قوات عظيمة في النارق (وهو موضع قرب الكوفة نزله المسامون في اول ورودهم العراق) ولا يبعد

عن الحيرة اكثر من ١٥ كيلومترا ومعنى ذلك انه جمع جموعه على مقربة من قاعدة
المسلمين الحربية لتهديدهم فلا يسيرون اليه كما كان خالد يفعل مع جيوشهم الاخرى
ولا يخرجون للقائه

واتصل رستم سرا بزعماء البلاد التي فتحها المسلمون وكاتبهم وحرصهم على
الثورة والانتفاض فلقيت دعوته قبولا من بعض هؤلاء وكانوا يعتقدون انه لا بد
من رجوع الفرس وفوزهم على العرب في النهاية فمالوا اليه ونصروه وأخذوا
يتظاهرون ضد الفاتحين فتبيلل الموقف واضطرب

ولم يخف على قواد المسلمين امر عدوهم وما كانوا يجهاون تدايره في السر
وما يعده من عدد ولا ادل على ذلك من رجوع خالد على جناح السرعة الى الحيرة بعد
ما خاض معارك الجوف وانتصر فيها ثم سفر المثنى خليفته الى العاصمة واجتماعه
بالخليفتين (الجديد والقديم) وابلاغه اياهما ما يدبره الفرس وما يفعلونه والحاحه بطلب
القوى والجند وارسل ابي عبيد ومن معه

ابو عبيد يهاجم الفرس

وصل ابو عبيد الى الحيرة ومعه المثنى وبعض الصحابة والجند وقد قدموا للجهاد في
سبيل الله فاقام فيها اياما درس فيها الحالة عن كشب واحاط بالموقف وعرف ما يحتاج
الى معرفته من امر عدوه وارسل العيون بجأته باخباره فقرر أن يبدأ العمل على
الفور وان يكون مهاجما لا مدافعا ، وقد سار المسلمون على خطة الهجوم منذ نزولهم
العراق فعادت عليهم باجزل الفوائد ، جمع القوى والرجال وخرج اليهم في التمارق
فاشتبك الجيشان وكتب الفوز لابي عبيد فكان اول فوز احرزه في هذا الميدان
وكانت مقدمة طيبة شجعتة على متابعة النضال وبعثته على الاستهانة بامر اعدائه
وجموعهم

ويقول المؤرخون ان اعرابيا من ربيعة اسر جابان (قائد الفرس في التمارق)

يعد انهزام جيشه قال له انكم معشر العرب اهل وفاء فهل لك ان تؤمنني ؟

— نعم

— خذني الى ملككم حتى يكون ذلك بعلم منه

— لا بأس

وقاد العربي قائد الفرس الى ابي عبيد واخبره بما وقع له معه وانه آمنه فاجاره

على اجارته

وحاول بعض رجال ربيعة - حينما علموا ان المؤمن هو قائد الفرس ان يحملوا

أبا عبيد على نقض ما ابرمه وقالوا له انه الرئيس والزعيم وانه يجدر بهم الا يتركوه

فأجابهم وماذا تروني فاعلا به معاشر ربيعة

— تعيد النظر في امره

— معاذ الله ان افعل ذلك . ايؤمنه صاحبكم واقتله ؟ كلا ! كلا ! مالزم بعض

المسلمين فقد لزمهم كلهم

واطلق سراح القائد الفارسي

اول انتصار للفرس على المسلمين

وواصل ابو عبيد مطاردة الفرس وقد لجأوا الى خط الدفاع الثاني وكانوا اعدوه

في كسكر

وكان يقود جندهم في هذا الخط المرزبان نرس ولديه قوة لا يستهان بها اعدوها

رستم لتكون بمثابة احتياطى لجيش الخمارق

والتقى ابو عبيد بنرس ومن معه فقاتلهم وهزمهم واستولى على معسكرهم فدان

له جنوبي العراق ورأى سكان السواد ان كفة المسلمين هي الراجحة فسكنوا واستقروا

وامر رستم بتعبئة جيش جديد بقيادة بهمن جازويه - وهو قائد الجيش

الفارسي الرابع الذي هزمه خالد بن الوليد في اليس وسلبه راية الفرس الكبرى

(درفش كايان) ويقال ان طولها كان ١٢ مترا وعرضها خمسة امتار ونصف وانها

صنعت من جلد الثمر - وامره بان يعجل في لقاء المساميين وقتالهم
وتجمع الجيش الفارسي الجديد في البرج والعاقول وهما موضعان وقيل ديران
على الضفة الغربية ببعدان عن بغداد نحو ٩٠ كيلو مترا - وكان المسلمون يومئذ
على الضفة الشرقية

فسار ابو عبيد اليه حتى نزل المروحة (موضع على شاطئ الفرات الغربي قرب
الكوفة بينهما مرحلتان) ومعنى ذلك ان الفرس عادوا فنقلوا ميدان القتال الى
منطقة الحيرة ليعبدوا الخطر عن عاصمتهم وان بهمن جازويه (قائد الفرس الجديد)
يحاول ان يكون مهاجما لا مدافعا فيشغل العرب بالدفاع عن قاعدتهم في الحيرة فلا
يواصلون زحفهم نحو الشمال

وكتب بهمن الى ابى عبيد وكان نهر الفرات يفصل بينهما : الفرس على الضفة
الغربية والعرب على الضفة الشرقية يسأله هل تعبرون الينا ام نعبر اليكم ؟
فجمع كبار قواده يسألهم رأيهم وهل يطلب الى الفرس ان يعبروا اليه ام
يعبر اليهم هو ويباشر القتال ويكون البادى في الهجوم كما هي عادة المسلمين في
جميع حروبهم فأشاروا عليه بان يترك الفرس يعبرون اليه فعارضهم في ذلك لانه ادرك
ان الأخذ برأيهم خروجه على تقاليد المسلمين العسكرية وأصر على ان يكون هو العابر
ولما كان هو القائد الأعلى وله الكامة العليا نفذت كتته وتقرر ان يكون المسلمون هم
العابرين . وعبروا بعد ذلك ودارت رحى القتال واشتبك الفريقان في معركة عنيفة
كان ابو عبيد نفسه من ضحاياها فاستشهد في آخر النهار فاضطرب جيش
المساميين لفقدته وارتد الى الجسر الذي اقامه في الصباح ليعبر عليه فادركه
رجل من تقيف فكسره فازداد اضطراب المساميين فأطعم ذلك الفرس فهجموا عليهم
يقتلون ويضربون فرموا بانفسهم في نهر الفرات . وتولى المثنى امر القيادة بعد
مقتل ابى عبيد فصمد للفرس ثم اعاد الجسر فعبر عليه المسلمون وتجمعوا بعد ذلك في

المروحة وهي على مرحلتين من الكوفة كما اسلفنا وقد فقد منهم في تلك المعركة نحو
 اربعة آلاف بين قتيل وجريح وغريق وكانت نكبة شديدة نكبوا بها
 وتلك هي المعركة الوحيدة التي انتصر فيها الفرس على العرب في حروب العراق
 كلها بتصرف ابي عبيد واصراره على العبور خلافا لما اشار به اصحابه

عمر يعلمه التعبئة العامة

ويعين قائدا عاما جديدا

عاد المثنى بمن بقي معه الى الحيرة وكتب الى عمر بما وقع وألح عليه بارسال النجدات والقوى فأمدّه بما كان عنده من رجال فعاد اليه نشاطه ، ولما علم بمسير بني بجيلة اليه من الحجاز كتب اليهم بأن يقابلوه على نهر البويب (كان يأخذ من الفرات قرب الكوفة) وخرج للقاء الجيش الفارسي الجديد الذي سيره رستم بقيادة المرزبان مهران

ولما التقى الجمعان على نهر البويب ارسل قائد الفرس الى المثنى يخبره بين ان يعبر هو او يعبر المسامون فأجابه بان يعبرهو ، وكان المثنى ممن شهد يوم المروحة ولم يك قد نسيه

وعبر الفرس النهر فتلقاهم المسامون وكانوا قد نظموا صفوفهم واحكموا مواقعهم ودارت بين الفريقين معركة يقول الرواة انها أشد المعارك التي دارت في حروب العراق هولا فقد استبسل فيها الفريقان وكانت الغلبة فيها للعرب . وبادر المثنى الى الجسر حينما بدأ الفرس بالفرار فكسره وقطع عليهم خط رجعتهم فرمى بعضهم بنفسه في النهر وتفرق الآخرون شذرون شذر مذر . وقدرت خسارة الفرس في هذه المعركة بعشرات الالوف وتعد من المعارك الكبرى وقد وطدت نفوذ المساميين في جنوب العراق وعجلت بالقضاء على دولة الفرس

وهال اقطاب دولة المداين انكسار جيشهم وتشتت قواهم فكاتبوا المدين والامصار وعملوا بجهد ونشاط عظيمين لحشد جيش جديد كبير ، كما بثوا الدعاة

والمبشرين بين سكان المدن والبلاد التي اخضعها المسامون ليحملوهم على شق عصا الطاعة والاتقاض فيشغلوهم عنهم

وعرف المثنى ما يدسه الفرس في السر والجهر فأبلغه الى الخليفة في المدينة -
 فجاءه الجواب وكان قد بلغ ذى قار في جنده سائرا نحو المداين ، يأمره بالانسحاب من
 بين ظهرائى الفرس والرجوع الى خط الحدود الاصلية والتفرق في المياه التي تلى حدود
 بلاد العرب ، فلا يؤخذ المسامون على غرة ولا يهزموا ، وذلك ريثا ترد القوى الجديدة
 التي بدأ بحشدها ، فنفذ امره وجلاوا عن البلاد التي فتحوها وعادوا الى مناطق
 الحدود من دون حادث يذكر

وغنى عن البيان ان انسحاب المساميين من هذه الاراضى لم يكن عن ضعف او
 وهن وإنما هو تطبيق لحطة حربية جديدة اراد الخليفة تنفيذها على يد قائد جديد
 يختاره ، فقد عرف ان امر الفرس لايتهمى على يد بضعة آلاف من الجند يعملون في
 منطقة صغيرة محدودة فأراد ان يرميهم بجيوش جرارة ولما كان جمع هذه الجيوش
 وتجهيزها وتسييرها ليس بالهين - وما كانت المواصلات في ذلك العهد كما هى اليوم - فقد
 امر جنده المنتشر في السواد بالتراجع الى حدود الصحراء فيكونون في مأمن من
 الغارات ، وعلى قدم الاستعداد للاشتراك في الحركات العسكرية الكبرى عند ما يأتى
 اوانها ويظل زمانها

التعبئة العامة عند المسلمين

وبدأ عمر ينفذ خطته الجديدة فأعلن التعبئة العامة في بلاد العرب كلها وكتب
 الى عماله وموظفيه يقول لهم « لاتدعوا احدا له سلاح او فرس او نجدة الا ارسلتموه الى
 بالعجل » فجاء الناس من جميع الاطراف ، ماعدا القبائل النازلة على الطريق بين الحيرة
 والمدينة فقد انضم من كانت منازلها ادنى منها الى الحيرة لجيش المثنى اما الاقرب الى
 المدينة فقد اقبلوا اليها

وغادر عمر المدينة على رأس القوى الكبرى التي حشدها ، وقد كتم امر الغاية من

التعبئة الجديدة عن كل انسان ، ولما بلغ صدا وهو ماء شرقي المدينة ويبعد عنها ٥ كيلو مترات نزل ونادى الصلاة جامعة ، وتلك كانت عادة امراء المسلمين في الصدر الاول فكانوا اذا ما ارادوا ابلاغ قومهم امرا نادوا الصلاة جامعة فيجتمع المسلمون في المسجد فيخطبهم الخليفة او الامير ويقول لهم ما يريد ان يقوله ويناقشهم في المشروع الذي اعتمزم تنفيذه اذا كان هنالك مشروع فاما ان يقروه واما ان يعدلوه او يرفضوه ، وتلك هي الشورى الصحيحة

واستشار عمر الناس بعد الصلاة فيما يفعل وبلغهم انه يرغب في انجاز امر فارس ، وسألهم رأيهم في الزحف عليها ، وهل يقرون خطته ام لا . فقالوا له سر بنا اليهم ، فنحن على استعداد للقاتمهم فقال لهم استعدوا واعدوا، اى كونوا على اهبة وارسل عمر بعد ختام الاجتماع ، فدعا وجوه الصحابة واهل الرأى ، ونسبهم الآن رجال الدولة واقطابها ، فدار البحث على الخطة الجديدة التي تتبع وهل يسير الخليفة بالذات لقتال الفرس ام يتدب غيره فاتفقوا على ان يبقى في المدينة يصرف الامور ويعي القوى ويتدب صحابيا فيوليه القيادة العليا فاذا وفق وفاز فهو المقصود والا اتدب غيره

وما كاد الاجتماع ينتهى حتى ارسل فدعا الناس الى الصلاة لابلاغهم ما اتفق عليه اهل الرأى وخطبهم خطبة بليغة حدد فيها العلاقات بين الخليفة والرعايا فقال :

« اما بعد ان الله عز وجل قد جمع على الاسلام اهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه اخوانا ، والمسلمون فيما بينهم كالجسد الواحد لا يخالو منه شيء من شيء اصاب غيره ، وكذلك يحق على المسلمين ان يكونوا امرهم شورى بينهم وبين ذوى الرأى منهم ، فالناس تبع لمن قام بهذا الامر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا له تبعا ، ومن قام بهذا الامر تبع لأولى رأيهم ما رأوا له ورضوا به »

و بينا المسمون في شورا هم (برلمانهم) وصل الى الخليفة كتاب من سعد بن
ابى وقاص وكان عامله على صدقات هوازن مع الف من اهل النجدة اختارهم
لحرب الفرس فقال بعض المسمين لعمر لقد وجدته

- من

- الاسد عاديا

- من هو

- سعد فابعث له

فأقر رأيهم واختاره للقيادة العامة على حرب العراق وجيز له ثلاثة آلاف من
اليمانين علاوة على الف هوازن

سعد بن ابى وقاص

هو سعد بن ابى وقاص واسمه مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن لؤى بن غالب بن فهر بن النضر بن كنانة القرشى الزهرى ، وكنيته ابو اسحاق ، وامه حمنة بنت سفيان بن امية بن عبد شمس

كان رابع اربعة دخلوا فى الاسلام فقد اسلم على يد ابى بكر وعمره ١٧ سنة . وكانت صناعته برى النبال وقد روت عائشة ابنته حديث اسلامه كما سمعته منه قال : « رأيت فى المنام قبل ان اسلم بثلاث كأنى فى ظلمة بحر لا ابصر شيئا اذ اضاء لى قمر فاتبعته ، فكأنى انظر الى من سبقنى الى ذلك القمر فانظر الى زيد بن حارثة والى على ابن ابى طالب والى ابى بكر وكأنى اسألهم متى انتهيم الى ههنا قالوا الساعة

» وبلغنى ان رسول ﷺ يدعو الى الاسلام مستخفيا فلقيته فى شعب جباد وقد صلى العصر فاسلمت فما تقدمنى احد الا وهم اى تردد

« فلما اسلمت - وكنيت رجلا برا باحى - قالت ياسعد ما هذا الدين الذى احدثت؟ تصد عن دينك اولا آكل ولا اشرب حتى اموت فتعير بى . فقلت لا تفعل يا امت فانا لا ادع دينى

«ومكثت يوما وليلة لا تأكل فاصبحت وقد جهدت فقلت والله لو كانت لك الف نفس ، نخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا لشيء ، فلما رات ذلك اكلت وشربت فانزل الله هذه الآية : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾

وسعد بن ابى وقاص اول من اراق دما فى سبيل الاسلام . ويبان ذلك ان

نفر من قريش ، ظهروا للمسلمين ، وكانوا يصلون مستخفين في شعب من شعاب مكة ، فناكروهم وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم فاقتتلوا فضرب سعد رجلا من قريش بلحى (فك) جمل فشجه ، فسال دمه فكان اول دم اريق في سبيل الاسلام وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، شهد مع النبي المشاهد كلها وقاد بعض السرايا ، وكان يحمل يوم فتح مكة احدى رايات المهاجرين الثالث ، وقيل انه رمى يوم احد الف سهم ، وجمع له الرسول اياه وامه يومئذ اذ قال له : ارم فداك ابي وامى ، ارم ايها الغلام الحرور (القوى)

ولما استشار عمر بن الخطاب الصحابة فيمن يوليه قيادة الجيش الذى ارسل لحرب الفرس ، اشاروا عليه بسعد وقالوا انه الاسد عاذا ، فسلم القيادة العامة وحارب الفرس فى القادسية فهزمهم واستولى على عاصمتهم

وامتاز سعد بصدق الرواية والحديث ، وكان يرضن بالرواية خوف التحريف ، ولما نشب الخلاف بين على ومعاوية اعتزل السياسة (الفتنة) واقام فى منزله بالعقيق بالمدينة وامر بان لا يخبروه بشئ حتى يجتمع الناس على امام . ومما يؤثر عنه قوله : - حينما جاءه نبا مقتل عثمان بن عفان واشتداد الفتنة - ما بكيت فى الدهر الا ثلاثة ايام : يوم توفى رسول الله ﷺ ، ويوم قتل عثمان ، واليوم ابكى على الحق فعلى الحق السلام .

ولما دخل على معاوية بعد استقرار الامر قال له : السلام عليك ايها الملك فضحك معاوية وقال : ما كان عليك لو قلت يا امير المؤمنين ؟

- اتقولها جزلان ضاحكا ؟ والله ما احب انى وليتها بما وليتها به

ولما حضرته الوفاة دعا بخلق جبة له من صوف فقال كفنونى فيها لاني لقيت المشركين يوم بدر وهى على وانما كنت اخبؤها لهذا . ومات سنة ٥٥ للهجرة . وكان ابن بضع وسبعين سنة ، وهو آخر العشرة الكرام . وترك ثروة حسنة قدرت بربع مليون درهم

في طريق القادسية

استعداد العرب واستعداد الفرس

لما قلد عمر سعدا قيادة جيش العراق اوصاه الوصية الآتية قال :

« ياسعد بنى وهيب ، لا يعرنك من الله ان قيل خال رسول الله ، وصاحب رسول الله ، فان الله عز وجل لا يمحو السوء بالسوء ولكنه يمحو السوء بالحسن ، فان الله ليس بينه وبين احد نسب الاطاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء : الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذى رأيت النبي ﷺ منذ بعث الى ان فارقتنا فالزمه فانه الامر

« هذه وصيتى اياك ان تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من

الخاسرين »

ولما ازمع الرحيل جاء لوداع عمر فقال له :

« انى قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى فانك تقدم على امر شديد كرهه

لا يخلص منه الا بالحق ، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به واعلم ان لكل عدة

عتادا ، فعناد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما اصابك او نابتك تجمع لك خشية الله

« واعلم ان خشية الله تجتمع فى امرين : فى طاعته وفى اجتناب معصيته ، وانما

اطاعه من اطاعه لبغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه لحب الدنيا وبغض

الآخرة

« وللقلوب اُحقائق ينشئها الله انشاء ، منها السر ومنها العلانية . فاما العلانية فان

يكون حامده وذامه فى الحق سواء . واما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على

لسانه وبمحببة الناس فلا تزهد في التحبب فان النبيين قد سألوا محبتهم وان الله اذا احب عبدا حببه واذا بغض عبدا بغضه . فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك في امرك »

وغادر سعد المدينة الى العراق يقود أربعة آلاف مقاتل ، ثلاثة آلاف من اهل اليمن والالف من اهل الحجاز وفيهم عدد من السراة والزعماء والفرسان والصناديد ، امثال عمرو بن معدى كرب على مدحج ويزيد بن الحارث الصدائي و بشر بن عبد الله الهلالي ، وشيعهم عمر الى الاحوص في شرق المدينة ، وخطبهم ايضا خطبة امرهم فيها بالعدل والرحمة واللين ، وان ينهوا شؤونهم اليه وقال لهم :

« ان الله تعالى ضرب لكم الامثال وصرف لكم القول ليحيي به القلوب ، فان القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله ، من علم شيئا فليعمل به . وان للعدل امارات وتباشير ، فاما الامارات : فالحياء والسخاء واللين . واما التباشير فالرحمة ، وقد جعل الله لكل امر بابا ، ويسر لكل باب مقاما ، فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد . والاعتبار ذكر الموت بتذكر الاموات والاستعداد له بتقديم الاعمال ، والزهد اخذ الحق من كل احد قبله حق ، وتأدية الحق الى كل احد له حق . ولا تصنع في ذلك احداوا كتف بما يكفيك من الكفاف ، فان من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء »

« انى بينكم وبين الله وليس بينى وبينه احد ، وان الله قد الزمنى برفع الدعاء عنه ، فانها شكااتكم الينا ، فمن لم يستطع فالى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متصنع »

تعليمات عسكرية

تلك هي وصايا عمر الادارية ومواعظه الدينية ونصائح الحكيمة ، وقد اودعها ثلاث خطب خطبها في ثلاث مناسبات . اما تعليماته العسكرية فهذا مجملها :

١ - امره بأن يقصد زرود (هي رمال بين القلبية والخزيمية على الطريق بين المدينة والكوفة وتبعد عن هذه نحو ٥٠ كيلو مترا) وينزل فيها

أمره بان لا يغادرها حتى تتلاحق به القوى ، وتم التعبئة ويتلقى امرا

نعي المثنى ووصيته

المثنى بن حارثة الشيباني قائد الحيرة ، الى سعد بن ابي وقاص وهو في متأثرا من جراحه . ولما ادرك هذا انه لن يجتمع بالقائد الجديد كتب ضمنه خلاصة ما وفق اليه من اختبارات في حروبه الطويلة مع الفرس وينتفع ، وقال له :

الفرس على حدود ارضهم على ادنى حجر من ارض العرب وادنى مدرج ، فان يظهر الله المسامحة عليهم فلهم ما وراءهم ، وان تكن الاخرى ثم يكونون أعلم بسبيلهم واجراً على ارضهم الى ان يرد الكرة الله لهم »

الى شراف

سعد الزحف بجيوشه بعد ما اتم التعبئة ، وقد ضمت نخبة رجال الاسلام بدفيتها الخليفة كل ما استطاع حشده من قوى ، قاصدا القادسية فبلغ شراف ينظم قواته استعدادا لحوض المعركة الفاصلة الكبرى

تعليمات عسكرية جبرية

شراف تلقى تعليمات جديدة من عمر يأمره فيها بما يأتي :
ان يعشر الناس اى ان يجعل على كل عشرة رئيسا يقودهم وينقادون اليه
النظام متبعا حتى الآن في الجيوش الحديثة ويسمون العشرة في التركية
الاصطلاح العسكري العربى (حظيرة) ورئيسها عريف ويسميه الترك
« وترجمتها رئيس عشرة

٢ - ان يقسمهم الى كتائب تؤلف من العشرات. وهذا اساس في تعبئة الجيوش ويسمونه في الاصطلاح العسكري الحديث « الجزء الاصغر » في الجيش

٣ - ان يولى رؤساء المسلمين القيادة على الكتائب بعد تقسيمها وتعبئتها وقال عمر لسعد في تعليماته - و بعد ان يتم تنظيم الجيش على هذا المنوال و بعد ان يعرف كل جندي عريفه، وكل عريف قائده، وكل كتيبة رئيسها وتنتهى من التعبئة سير كتائبك وهى على اتم نظام، وواعدها الاجتماع فى القادسية؛ وقد اختارها عمر قاعدة لجيش المسلمين فى هذه المرحلة وهى على سيف البادية لا يفصل بينها وبين الصحراء فاصل وبينها وبين الحيرة بضعة كيلو مترات من جهة الشرق . وهذا نص كتابه :

« اما بعد فسر من شراف بمن معك من المسلمين وتوكل على الله واستعن به على امرك كله . واعلم انك تقدم على امة عددهم كثير ، وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع وان كان سهلا كؤوده لبحور فيوضه ودآئه الا ان توفقوا غيضا من فيض

« واذا لقيتم القوم او واحدا منهم فابدؤهم الشد والضرب ، واياكم والمناظرة لموعهم ولا يخذعنكم فانهم خدعة مكررة وامرهم غير امركم الا ان تجادوهم «واذا انتهيت الى القادسية - والقادسية باب فارس فى الجاهلية ، وهى اجمع تلك الابواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الاصل وهو منزل رغب خصيب رحيب دونه قناطر وانهار ممتعة ، فتكون مسالحك على انقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات الحجر وحافات المدر والجراخ بينهما

« ثم الزم مكانك فلا تبرحه، فانهم اذا احسوك انقضتكم، رموك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم ورجلهم، وحدهم وجدهم، فان اتم صبرتم لعدوكم واحسبتم لقتاله ، ونوitem الامانة رجوت ان تنصروا عليهم، ثم لا يجتمع لكم مثلهم ابدا، الا ان يجتمعوا وليست معهم قلوبهم ، وان تكن الاخرى كان الحجر فى ادباركم ، فانصرفتم من ادنى مدرة من ارضهم الى ادنى حجر من ارضكم ، وكنتم عليها اجراً ، وبها اعلم ، وكانوا عنها اجبن ، وبها اجهل حتى يأتى الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة عليهم

استعداد الفرس

نشط الفرس في خلال الفترة الممتدة بين ارتداد الجيش الاسلامي الى حدود الصحراء وبين قدوم سعد نشاطا عظيما فحشدوا كل ما استطاعوا حشده من قوى لانهم ادركوا انهم على ابواب معركة فاصلة فاما ان ينتصروا على المسلمين ويستردوا نفوذهم وكرامتهم ، واما ان يفوز العرب فتدور الدائرة عليهم ويندثر ملكهم ويقدر مؤرخو الاسلام الاقدمون القوى التي حشدها الفرس في القادسية بمائة وعشرين الفا من الجند تولى قيادتها رستم اكبر قوادهم واعظم رجالهم ، فعادر المدائن الى الحيرة حينما جاءتهم الاخبار بمسير سعد من المدينة وباستعداد العرب واستقر رستم في الحيرة واتخذها مقرا له واقام مراكز على طول الطريق من الحيرة الى المدائن تنقل اخبار جيشه الى الملك يزدجرد بالتفصيل وتطلعه على الحوادث في ابانها فلا يخفى عليه امرها ، ولا يفوته شيء منها ، وفعل المسلمون فعلهم ايضا فكانت الرسل تغدو بين القادسية والمدينة بلا انقطاع وكان سعد يطلع الخليفة على معظم ما يحدث له ولا يقطع في الامور الجسام بدون استشارته واخذ موافقته مقدما . وما كان العرب يجهاون خطورة العمل الذي اقدموا عليه وما يحيط بهم من مصاعب وعقبات ولذلك جمعوا كل ما استطاعوا جمعه من القوى واتخذوا شتى التدابير التي اعتقدوا انها تضمن لهم الفوز في معركة عظيمة يتوقف عليها مستقبل دولتهم وغادر رستم الحيرة الى العقيق حينما علم بدنو المسلمين وعكف يعد المعدات للمعركة الفاصلة

المسلمون يعملون لحقهم الدم

مفاوضات المداين

لم يشأ العرب ان يحملوا تبعه اراقة الدم ، ولا ان يقدموا على اضرام نار حرب ضروس قبل ان ينذروا الفرس ويبدشروهم ويدعوهم الى الدخول في الاسلام او دفع الجزية والخضوع للدولة العربية الجديدة عملا بنحطتهم المأثورة وتنفيذا لاوامر الخليفة

وفد سعد الى كسرى

وعملا بتعليمات الخليفة (١) الف سعد وفدا من امراء جيشه وعيونه وهم النعمان ابن مقرن وبسر بن ابي رهم وحمالة بن حوية الكنانى وحنظلة بن الربيع التميمى وفرات بن حيان العجيلى وعدى بن سهيل والمغيرة بن زراره بن النباش وعطارد بن حاجب والاشعث بن قيس بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معدى كرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة ، فغادروا المعسكر الى المداين لمقابلة يزيد ودعوته الى الاسلام لتلا يكون له حجة على المسلمين

ورأس الوفد النعمان بن مقرن ، واحسن الفرس استقباله حين وصوله الى

(١) هذا نص ما كتبه عمر الى سعد بهذا الشأن : « استعن بالله وتوكل عليه وابعث الى ملك الفرس رجلا من اهل المناظرة والجلد يدعونهم فان الله جاعل دعاءهم نوهينا لهم »

عاصمتهم ، وقابله الملك يزجرد ، وهو محاط بوزرائه واقطاب دولته ، بعد ما عقد مجلسا اتفقوا فيه على الاجوبة التي يجيبون بها

وسأل يزجرد النعمان بواسطة الترجمان قائلا :

- ما الذي جاء بكم الى بلادنا وحملكم على مهاجمتنا ؟ الاجل اننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا وتجمعتم لقتالنا ؟

- ان الله رحمنا فارسل الينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدع قبيلة الا وقار به منها فرقة وتباعد عنه منها فرقة . ثم امر ان يتبدى الى من خالفه من العرب فبدأنا بهم فادخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط ، وطائع فازداد ، فعرفنا جميعنا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق . ثم امرنا ان نتبدى بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن ، وقبح القبيح ، فان أيتم فأمر من الشر هو اهون من آخر شر منه وهو الجزية تؤدوها لنا فان أيتم فالمناجزة (الحرب) . وان أجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وقنا ، على ان تحكموا باحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وان بذلتهم الجزية قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم

- انى لا اعرف على وجه الارض امة اسوأ حالا من العرب ولا اقل عددا منها وقد نوكل بكم قوى الضواحي فيكفوننا شأنكم . وانى انصحكم بالكف عن محاربة فارس ومنازلتها او الوقوف في وجهها . واذا كان الجهد قد دعاكم فرضنا اكم قوتا الى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسوناكم وما كننا عليكم ملكا يرفق بكم ورد المغيرة بن زرارة الاسدى عضو الوفد على كسرى فقال :

ايها الملك : ان هؤلاء رؤوس العرب وجوههم وهم اشراف وانما يكرم الاشراف الاشراف ويعظم حقوق الاشراف الاشراف وتفخم الاشراف الاشراف وليس كل ما ارسلوا لك به جمعوه لك ولا كل ما تكلمت به اجابوك عليه . وقد احسنوا ولا يحسن بمثلهم الا ذلك فجاؤني لا كون الذى ابغىك ويشهدون على ذلك

ان ما ذكرته من سوء حال العرب صحيح فما كان احد اسوأ منا حالاً ،
واما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كئنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات
واما المنازل فهي ظهر الارض . لانلبس الا ما غزلنا من اوبار الابل واشعار الغنم . ديننا
ان يقتل بعضنا بعضاً ويغير بعضنا على بعض وان كان احدنا ليدفن ابنته حية كراهية
ان تأكل من طعامنا

نعم تلك كانت حالتنا حتى بعث الله فينا رجلاً معروفاً نعرف نسبه ونعرف
وجهه ومولده فأرضه خير من ارضنا وحسبه خير من احسابنا وبيته اعظم بيوتنا
وقبيلته خير قبائلنا وهو بنفسه خيرنا في الحال التي كان فيها ، اصدقنا واحامنا
فدعانا الى امر فلم يجبه احد قبل ترب كان له ؛ وكان الخليفة من بعده فقال وقلنا وصدق
وكذبنا وزاد ونقصنا فلم يقل شيئاً الا كان فقذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه
فصار فيما بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله وما امرنا فهو امر الله

قال لنا ان ربكم يقول انى انا الله وحدى لا شريك لى كنت اذ لم يكن شىء
وكل شىء هالك الا وجهى وانا خلقت كل شىء والى مصير كل شىء وان رحمتى
ادركتكم فبعثت اليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها انجيكم بعد الموت من
عذابى ولأحلكم دارى ، دار السلام . فنشهد عليه انه جاء بالحق من عند الحق . وقال
من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه
مما تمنعون عنه انفسكم ومن أبى فقاتلوه فأنا الحكم بينكم فمن قتل منكم ادخلته جنتى
ومن بقى منكم اعقبته النصر على من ناواه فاختر ان شئت الجزية عن يد وانت صاغر
وان شئت فالسيف او تسلم فتنجى نفسك

كسرى يطرد الومر

فاستاء الملك مما سمعه وقال : لولا ان الرسل لاتقتل لقتلتكم . وقطع

المفاوضات معهم وامر بان يوضع على عاتق اعظمتهم حمل من تراب ويساق حتى يخرج
من المدائن وقال لهم :

لا كلام لكم عندي ، ارجعوا الى قائدكم وابلغوه اني مرسل اليه رستم حتى
يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية وينكل بكم وبه . ثم اعيدكم الى بلادكم
حتى اشغلكم في انفسكم

وغادر الوفد المدائن بعد ما حمل عاصم بصفته اعظم رجال الوفد شأننا كيس
التراب حتى اتى راحلته فحمله عليها وجاء به الى القادسية

مفاوضات جديدة بين سعد ورسيم

لم تقترن مفاوضات المسدائن بنتيجة وعاد الوفد العربي الى معسكر سعد يقص ما حدث ، ويعلن انه لم يبق مناص من الحرب ، بعد ما رفض الفرس اقتراحات المسلمين وابو اجابة مطلب من مطالبهم

واتصل برسيم ماجرى وعرف ان المفاوضات انقطعت وانه لا بد من الحرب ، ويقال في بعض الروايات انه كان في المدائن حين وصول الوفد وانه شهد مقابلته ، ولما كان من القائلين بوجوب الاتفاق مع العرب وعقد صلح معهم على منوال يصون به كرامة امته ، فقد ارسل الى زهرة بن الحوية من سادات تميم وكان يعرفه من قبل ، فجاه فاقترح عليه ان يتوسط لعقد صلح وقال له فيما قاله :

كنتم لنا اخوة وكنا نحن اليكم ونحفظكم فلماذا تغيرتم علينا الآن ؟

- ليس امرنا الآن كما كان في السابق . انا لم نأتكم لطلب الدنيا ، ان طلبتنا وهمنا الآخرة ، وقد كنا كما ذكرت الى ان بعث الله فينا رسولا فدعانا الى ربه فأجبناه ، فقال لرسوله انى سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى فانا منتقم بهم منهم ، واجعل لهم الغلبة ماداموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه احد الا ذل ، ولا يعتصم به احد الا عز

- وما هو ؟

- اما عموده الذى لا يصلح الا به فهو شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا

رسول الله

- واى شىء ايضا

- اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله؟ والناس بنو آدم وحواء اخوه

لاب وام

- ما احسن هذا . ثم قال رستم

ارأيت ان اجبت الى هذا ومعى قومي كيف يكون امركم هل ترجعون الى

بلادكم؟

- اى والله نرجع الى بلادنا

- لقد صدقتنى

- نحن خير الناس

واتتهت هذه المقابلة على غير نتيجة مادية تذكر ، بيد ان رستم احب ان يسمع كبار حاشيته من العرب ماسمعه هو فأرسل الى سعد يطلب اليه ان يبعث اليه رجلا يكلمه و يباحثه . فأراد هذا ان يوفد اليه وفدا فاعترض احد رجاله وقال : متى نأتهم جميعا يروا انا احتفلنا بهم فلا نؤدهم على رجل واحد فارسله اليهم

وارسل سعد المعترض نفسه واسمه ربعى بن عامر فسار على فرسه حتى مخيم رستم فنزل ودخل خيمته ودنا منه وجلس على الارض ولم يشأ ان يجلس على البسط والتمارق

اقوال ربعى

ودعا رستم كبار رجاله لشهود هذه الجلسة وسأله بحضورهم عما جاء بهم فكرر اقوال الذين سبقوه وقال لهم لا بد لكم من اختيار واحدة من ثلاث فاما الاسلام واما الجزية واما الحرب

- هل انت سيد قومك؟

- كلا ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجيز اعلاهم على

ادناهم

واستمهل رستم ربعيا ثلاثة ايام وصرفه الى اخوانه

حذيفة بن عاصم عند رستم

وارسل رستم الى سعد في الغداة يطلب اليه ايفاد ربي فأرسل اليه حذيفة بن
محسن فأقبل على فرسه حتى وقف امام الخيم فنزل فسأله لماذا لم يجي ربي
- ان اميرنا يحب ان يعدل بيننا في الشدة والرخاء
ودارت بينهما « محادثات » كرر فيها هذا اقوال الذين سبقوه فصرفه رستم

المغيرة بن سعدة عند رستم

وعملا بطلب رستم ارسل سعد اليه المغيرة بن سعدة فجاءه حتى الخيم ،
ودخل على رستم وحوله هيئة اركان حربيه وقواده فأقبل حتى جلس معه على
سريه فوثب عليه الفرس وانزلوه عنه فقال لهم :
« قد كانت تبلغنا عنكم الاحلام ، ولا اري اسفه منكم . انا معشر العرب
لايستعبد بعضنا بعضا فظننت انكم تواسون قومكم كما تتواسي ، فكان احسن من الذي
صنعتموه معي ان تخبروني ان بعضكم ارباب بعض ، فان هذا الامر لايستقيم فيكم
ولا يصنعه احد . واني لم آتكم ولكن دعوتوني ، اليوم علمت انكم مغلوبون ، وان
ملككم لايقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول »

اقوال الفردوسي في الشاهنامه

ووصف الفردوسي في الشاهنامه مدار من مفاوضات بين سعد ورستم في
القادسية وصفا لم تقف على مايشابهه في ما اطلعنا عليه من اقوال مؤرخي العرب
فاقتبسناه زيادة في الفائدة ولانه المصدر الفارسي الوحيد الذي عثرنا عليه قال :
« وارسل رستم من مقامه في القادسية الى سعد كتابا كتبه على الحرير الابيض
وشحنه بالوعد والوعيد وجعل عنوانه من رستم بن هرمزد الى سعد بن ابي وقاص

وافتحه بحمد الله والثناء عليه ثم الدعاء ليزدجرد صاحب التاج والتخت ثم قال :
« اعلمني أنت من دينك ، ورسمك وآيتك ، واخبرني من سلطانك ، وبمن اعتضادك
واعتمادك ، فقد جئت في عسكر حفاة عراة بلا ثقل ولا رحل ، ولا فيل ، ولا تحت ،
ثم بلغ بكم الامر من شربكم البان الابل ، واكلكم ضباب القيعان الى تمنى اسرة ملوك
ايران ، فاقبل الى خدمة الملك حتى ترى من اذا تبسم وهب اثمان جميع رؤوس العرب
ولا ينقص ذلك كنزها شيئاً وهو الذي على بابه من السباع الضواري المعامة والجوارح
اثنا عشر الفا باطواق الذهب واقراطه ، وتزيد نفقاتهم لسنة واحدة على جميع حاصل
بلاد العرب » واخذ في كتابه يرفع امر العجم بالملابس والمفارش ، ويضع قدر العرب
بالمطاعم والمكاسب ، ولا يعرف ان المجد وراء ذلك

ثم قال الفردوسي « وحمل فيروز بن سابور احد امراء رستم الكتاب الى
سعد في جماعة من امائل الفرس ، في الملابس الحسروانية ، والناطق المرصعة ، والاسلحة
المحلاة بالذهب فاستقبلهم واكرمهم ثم انزلهم في منزله ، وطرح رداءه تحت فيروز ،
واعتذر اليه عن رثاثة اللبوس والمبسوط وقال : انا قوم لا نعول الا على الصفاح والرماح
ولا نقول بالديباح والحريز ، والمسك والعنبر ، ولا نفتخر بالمطعم والمشرب ثم سمع
رسالته وقرأ كتابه . فكتب الجواب وافتتح الكتاب بيسم الله الرحمن الرحيم والصلاة
على محمد خاتم الرسل والهادي الى اقوم السبل الذي هو خيرة الخلق ، والصادق بالحق ،
النبي الهاشمي ، المبعوث الى الجنى والادمي ، وشحنه بالوعد والوعيد ومواعظ القرآن
المجيد ، وسائر ما يرجع بالتعظيم لله والتمجيد ، والتقديس والتوحيد ، ووصف الجنة
ونعيمها وذكر بعض ما فيها من الحور العين ، والماء المعين ، وشجرة طوبى ، وجنات
الفردوس الاعلى ثم وصف السعير ، والعذاب والزمهرير ثم قال وان تبع ملككم هذا النبي
الظاهر وزين بقبول رسالته الباطن والظاهر ، فملك الدارين له مسلم ، وهو على التاج
والتخت مقرر محكم ، وكان رسول الله له شافعاً مشفعاً . ثم قال ما باله يستعظم هكذا
امر تاجه وتخته ويعجب بسواره وطوقه ، ويزهى بماله وملابسه ، الا يعلم ان شعرة

واحدة من حورية خير من جميع ذلك ؟ ولم يربط قلبه بدنيا لا تساوى عند العاقل
شربة ماء ، فان اتم اتباعكم الامر واساتم فالجنة مأواكم ، وان ايتم وحرارتم فالجحيم
مشواكم فاعلموني بما عنه آراؤكم »

« وارسل سعد كتابه مع المغيرة بن شعبة فاقبل متقلدا سيفه حتى قرب من مخيم
رستم فاعلم بوصوله ، فاحتفل به وجلس في سرادق وحضر عنده ستون نفسا من
اكابر ايران في الاطواق والاقراط والمداسات الذهبية ، فاذن للرسول في الدخول عليه
فدخل حاملا سيفه وعليه ثوب ممزق الاذيال ، فما وطىء تلك البسط ولا داسها برجله ،
بل سار على التراب رهوا رهوا لا يلتفت الى احد حتى قرب من رستم فقال ان قبلت
الدين فعليك السلام ، فعظمت تحيته على رستم فاعرض بوجهه وتلوى على نفسه . ثم
تناول منه الكتاب ، ولما قرأه قال ما اقول لسعد وشكايتي من طالع لى نحس ؟
ولكن الموت تحت ظلال السيوف احب الى من حياة فى ذل ، ورد المغيرة وعزم على
القتال (١) »

(١) يجب ملاحظة ان هذا الكتاب منقول عن الفارسية وانه لا اثر له فى كتب
التاريخ العربية وغيرها ، وهو مما تفرد به الفردوسى ولعله تخيله فكتبه

قبل المعركة

كانت زيارة المغيرة لمخيم رستم ومحدثته له ، آخر محادثة دارت بين قواد العرب وقواد الفرس فقد رفض هؤلاء رفضا باتا قبول ماعرضه المسلمون من مقترحات فانقطعت بذلك المفاوضات السياسية ولم يبق امام الفريقين سوى السيف يحتكان اليه بعد ما بذل قادة العرب جهدهم لحقن الدم واجتناب الحرب وكانت الرسل في خلال ذلك تغدو وتروح بين رستم والمدائن ، وكان يزدجرد يلح على قائد جيشه في ان يسرع بالحملة على العرب وانجاز امرهم ، وان لا يدع لهم وقتا طويلا ، للاجتماع والاحتشاد ، وكان هذا يطاول ويحاول ، املا في أن يصل الى حل ساهم معقول مع العرب يرضيهم ويحل مشكلتهم ، لانه كان يوجس خوفا من الاشتباك معهم كما كان يتشائم من المصير الذي تصير اليه بلاده اذا هزم وفشل

رواية الفردوسى

ومما يؤيد ذلك مارواه الفردوسى فى الشاهنامه فقد ذكر ان رستم كان منجما وانه كتب قبل المعركة الفاصلة الى اخيه فرخ زاد كتابا مشحونا بالاسف والحزن ، يذكر فيه « انى نظرت فى اسرار الكواكب واستشفقت استار العواقب فرأيت بيت ملك الساسانية خاليا ، ورسم سلطانهم عافيا ، واتفقت الشمس والقمر والزهرة فى طالع العرب ، فلن يروا سوى الخير والعلاء ، واما من جانبنا فقد صار الميزان خاليا فلننا نرى غير العناء والشقاء ، ولقد امعنت النظر وبين ايدينا امر عظيم ، وخطب جسيم والاولى ان اؤثر السكوت وافوض الامر الى مالك الملك والملكوت

« والرسل تختلف بيننا وبينهم وهم يلتمسون ان تقاسمهم الارض فيكون لهم ما وراء الفرات (؟) ويكون لنا ما دونه وان نفتح لهم الطريق الى السوق يدخلون اليها ويتسوقون

» ثم انه يجرى كل يوم وقعة يهلك فيها خلق من الايرانيين والذين معي منهم قوم مغترون بشجاعتهم ورجولتهم ووفرة عددهم وعددهم ، ومستصغرون امر العدو القادر ولا يدرون سر الفلك الدائر ، فاذا وقفت على كتابي هذا فاجمع اموالك وخزائنك ، وخيلك ورجلك ، وانمض الى اذربيجان ، واعتصم بتلك البلاد . واشرح لأمي حلى وسلها الدعاء ، فاني واصحابي في عناء وتعب وهم واسف وانا اعلم اني لا اسلم بالآخرة من هذه الوقعة »

والمؤرخون الاسلاميون مجمعون تقريبا على تأييد رواية الفردوسى عن تشاءم رستم وعن رغبته فى الاتفاق مع المسلمين ، ويقولون انه سعى كثيرا لاقتناع قومه بالتساهل معهم فابوا واصروا على الحرب ، وما ذلك الا لانهم كانوا يستهينون بامر العرب ويرون ان فى امكانهم التغلب عليهم وطردهم بدون كبير صعوبة والظاهر ان رستم ما كان يشاطرهم هذا الرأى ولكنه لم يربدا من مجاراتهم ومسائرتهم فأقدم على خوض الحرب مكرها

الوفود والغاية من ارسالها

وعلى كل فان تعدد ارسال وفود المسلمين الى الفرس كان من التدابير الصائبة الحكيمة التى ساعدت المسلمين على التفوق والفوز ، فقد تعرفوا امر عدوهم ودرسوا حالته النفسية وسبروا غوره واطلعوا على كثير من عوراته واسراره ، ولمعرفة هذه الشؤون - فى حالة كتمك الحالة ، فوائد عظيمة لا يدركها الا الذين عانوا الحروب وخاضوها وقادوا الجيوش ونازلوا الاقيال

ولهذه الوفود مهمة اخرى فى نظرنا فقد كانت واسطة لنشر الدعوة الاسلامية بين خاصة الفرس وعامتهم ، فاستقبال الملك لوفد العرب ومدار بينه وبينهم من

حوار ، لا بد ان ينتشر ويعم ، فيؤثر في النفوس ويجعل الفرس يحسبون حساب العرب ويهابونهم ، ويقولون انهم لو لم يكونوا اقوياء وواثقين من فوزهم لما ركبوا هذا المركب ، ولما جاءوا يهددون ملكنا في عقرداره ، وفي وسط قصره ، وبين رجال دولته، وقواد جيشه ، فتخور عزائمهم وتضعف قواهم الاديبية ، وعلى هذه القوى المعول في الحرب فهى من اعظم القوى وافضلها وما فاز العرب الا بها

ويجب ايضا ان ننوه بالموقف الخطير الذى وقفه المغيرة بن شعبه في مجلس رستم والكلمات التى خاطبه بها وقد تضمنت طعنا شديدا في نظام الفرس الاجتماعى فقد اثرت ولا شك في نفوس رجاله الحاضرين في الجلسة وانتشرت بواسطتهم بين العامة يضاف الى هذا ما كان يصف به رجال الوفود حين انقلابهم الى قومهم الفرس ، فقد كانوا يسهبون في احاديثهم عن تحاذلهم وانقسامهم فيضرمون نار الحماسة في الصدور ويهونون شأن العدو فيزيدون القوى الاديبية في صدور اخوانهم قوة وضرا

١٩ المعركة الكبرى

استنفد المسلمون الوسائل السلمية وحاولوا اجتناب الحرب وسفك الدم وحمل
الفرس على التسليم باحد المطلبين المعروفين ، ولما لم تجد هذه الوسائل نفعا ، لم تبق
سوى الحرب فقتلوا لها واستعدوا لخوض غمرتها
فاصدر سعد الاوامر الى قواد جيشه بان يكونوا على قدم الاستعداد للعمل ، وبان
يرتبوا صفوفهم ويهيئوا زحوفهم ويضرموا الحماسة في صدور الناس ، وكان فصحاء
العرب وخطبائهم في الجيش يخطبون الناس ويحثونهم على الصبر والثبات
ويبينون لهم اجر الجهاد في سبيل الله وما اعده الله للمجاهدين من اجر عظيم وجزاء
كبير . ولما انتظمت الصفوف وتمت التعبئة أذن المؤذن فضلى الناس صلاة الظهر وهم
على تعبثهم ، ولما انتهت الصلاة بدأ سعد تكبيراته بعد ما اتفق مع قواد جيشه على
ان تكون الرابعة ايذانا بابتداء القتال (١)

وكبر التكبيرة الثالثة والانظار مشرئبة اليه والقاوب خافقة فبرز اهل النجدات
فأنشبو القتال مع الفرس وحمل المسلمون حملة عامة حينما كبر التكبيرة الرابعة وهي
علامة الهجوم العام

واستمر القتال من الظهر حتى انقضاء المزيغ الاول من الليل فوقفت
رحاه وعاد الفريقان الى مضاربهم ويسمى العرب هذا اليوم يوم « ارمات »
ويعترفون بان كفة الفرس رجحت فيه على كفتهم ، فقد اجفلت في ابتداء القتال

(١) جاء في بعض الروايات انه ارسل ينذر رستم انذارا نهائيا قبل المعركة طالبا
التسليم فاجيب بالرفض

خيلهم من الفيلة التي كانت في جيش هؤلاء ففرت ولم يقو اصحابها على ردها فعاقبتهم وعرقلت حركاتهم بيد ان الرماة من المسلمين سدوا جانبا من النقص اذ انصرفوا الى مطاردة ركاب الفيلة فقتلوا عددا منهم فشردت وعادت الى اماكنها تخفف ذلك عن خيالة المسلمين بعض ما كانوا يلقونه منها

واعمل المسلمون الفكرة حينما وقفت رحي القتال لابتكار طريقة تقيهم من اذى الفيلة وكانت كثيرة عند الفرس وكانوا يعززون بها ويعولون عليها ويرون انها ستزيلهم النصر ، والظاهر انها المرة الاولى التي يلقون بها العرب فلم يسبق ان جاءوا بها ولعل اعتقادهم بانها المعركة الفاصلة حملهم على اقتيادها املا في أن ينصروا بها لان العرب لم يألفوا لقاءها ولا حروبها كما ان الخيل بطبيعتها تنفر منها وتتجنب لقاءها والوقوف امامها

وجاء المسلمون بالابل وجلالها وبرقعوها حتى صار لها شكل غريب وانزلوها الى الميدان في اليوم الثاني تخافتها الفيلة لانها لم تألفها ونفرت منها فلقى اصحابها عناء كبيرا منها واتقى المسلمون خطرها وشرها

وصول مجرات من الشام

وعملا بأوامر الخليفة عمر بن الخطاب غادر هشام بن عتبة بن ابي وقاص ميدان القتال في الشام على رأس جند الحيرة الذي ارسل بأمر ابي بكر للاشتراك في قتال الروم وعدده عشرة آلاف مقاتل ، ليكون عوناً للمسلمين في نضالهم ، فوصل الى القادسية في يومها الثاني فاشتدت بوصوله عزائم المسلمين

ودارت رحي القتال عند الظهر وبعد ما نقلوا الجرحى واساموهم الى النساء للعناية بهم ودفنوا القتلى ، وادار سعد المعركة في هذا اليوم كما ادارها امس من شرفة قصره ، فقد كان مصابا بدمامل في جسمه لا يقوى معها على الركوب فكان يتمدد في الشرفة ويطل منها على ميدان القتال ويصدر اوامره بأوراق صغيرة يلقونها الى خالد بن عرفة

وكان الى جنب القائد العام فيبلغها هذا الى القواد للعمل بها ومعنى ذلك ان خالدا كان يقوم بوظيفة رئيس اركان الحرب لهذا الجيش العظيم

واستبسل المسلمون في القتال هذا اليوم استبسالهم امس وحملوا على الفرس حملة صادقة واشتدت عزائمهم بوصول اخوانهم من الشام وكان هؤلاء مملوئين حماسة وغيره واتقى المسلمون خطر الفيلة بالابل التي اعدوها ، وقد امتد القتال في اليوم الثاني حتى نصف الليل ويسمونه يوم اغواث لان الغوث جاءهم فيه من الشام . وافترق الجيشان وكفة المساميين هي الراجحة فنشطهم ذلك وشدت عزائمهم فأيقنوا بقرب النصر والظفر واخذوا اهبتهم لليوم الثالث وهو يوم عماس

واستؤنف القتال ضحى الغد وحمل العرب وهم يرجون ان ينهوا امر الفرس في يومهم فقابلهم هؤلاء بحملة مثلها واستقتلوا ايضا لانهم ادركوا ان انهزامهم مؤذن بفنائهم . وظهر الرجحان في كفة المساميين من ابتداء النهار حينما تطوع اثنان من ارباب النجدات فصوبوا برمحيهما الى عيني فيل فدخلا فيهما ففر وطرح سائسه فضربه احدهما بالسيف فوق على الارض ثم نهض وما زال يجرى حتى وثب في العتيق فتتابعت وراءه الفيلة ولم يقوا اصحابها على ردها فأوقعت الذعر والاضطراب في صفوف الفرس فأطمع ذلك العرب قان دفعوا في الحملة عليهم واقبل الليل والمركة دائرة بشدة لم يعهد لها مثيل وكلا الخصمين يلح في القتال ويرجو الفوز والنصر واستمرت الليل بطوله واصبح الصباح ولم يعمض لأحد جفن ولم يسترح ساعة . ويسمون هذه الليلة ليلة الهدير

وقام الخطباء في جيش المساميين في الصباح يحضونهم على الثبات ويقولون لهم ان بوارق النصر والفوز قد لاحت وانها ساعة ثم تنصرون فشددوا الحملة على جناحي الفرس وصدقوا في الهجوم فلم يطق رجالها صبرا فتقهقرا عند الظهر وثبت القلب وكان فيه رستم وعلى رأسه راية فارس الكبرى فأصدر سعد امرا بأن تشترك قوى المساميين كلها في الحملة عليه فهجموا هجمة شديدة فاضطرب جيش الفرس وزلزل . وقصد اصحاب النجدات (الفدائيون) سراشق رستم فبلغوه فحاول الفرار

حينما شعر بوصولهم فلحق به هلال بن علفة فقبض عليه وقتله ثم صعد على سريره ونادى قائلاً: « لقد قتل رستم ورب الكعبة » فهلل المسلمون وكبروا واندفعوا في حملتهم فولى الذين بقوا من الفرس في الميدان الادبار وتمهات المقرنون بالسلاسل في العتيق

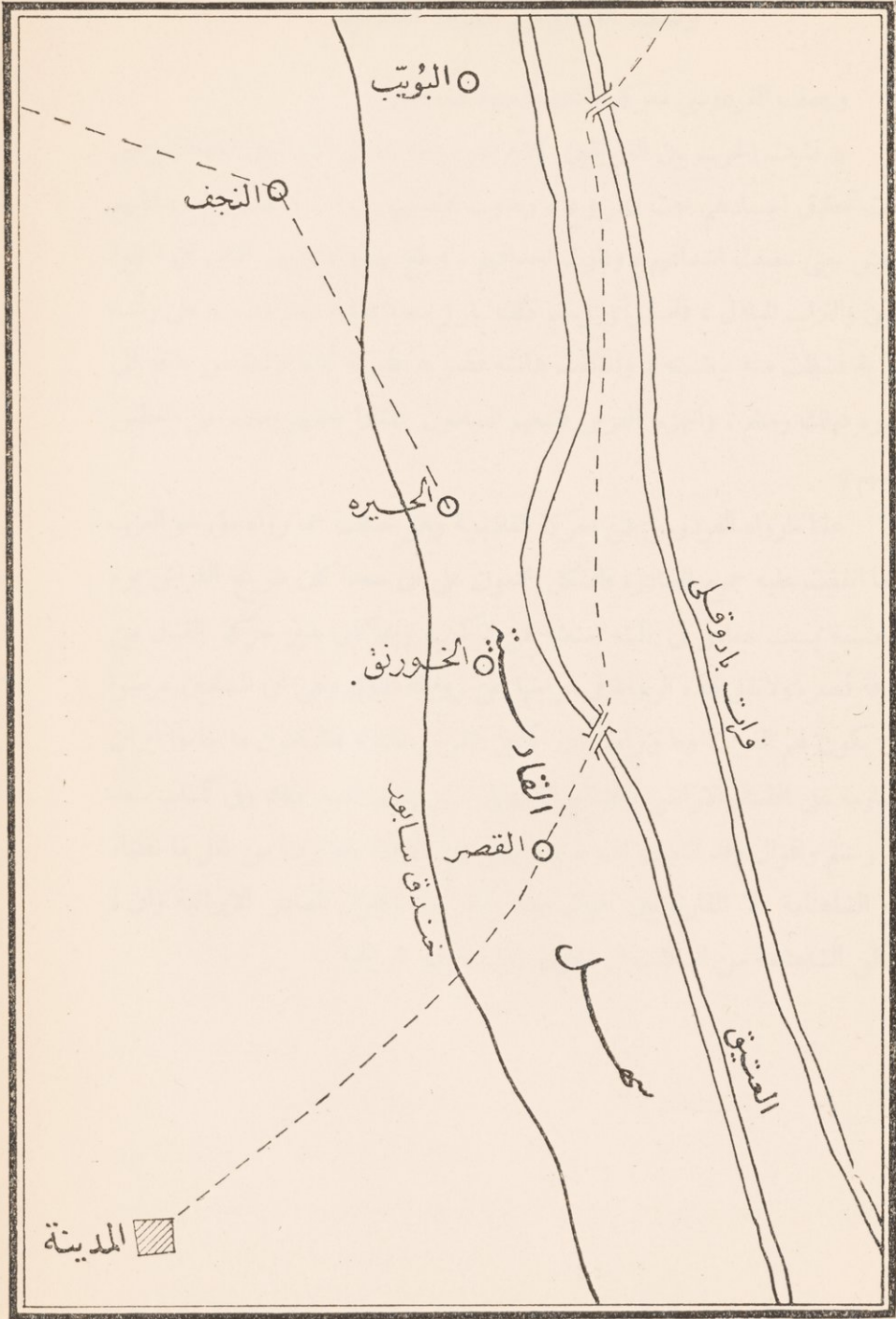
وغنم ضرار بن الخطاب « درفش كايان » راية الفرس فعوض منها ثلاثين الفا ونقل سعد سلب رستم لقاتله

واتدب سعد القعقاع وشرحبيل بن السمط وزهرة بن الحوية التميمي لمطاردة الفارين فأمنوا فيهم قتلا واسرا واستأمن منهم كثير ون قدر قتلى المسلمين في القادسية بسبعة آلاف وخمسمائة اما قتلى الفرس فأكثر وأعظم ، وغنم المسلمون غنائم عظيمة اقتسموها بينهم بعد ما استخرجوا لبيت المال نصيبه

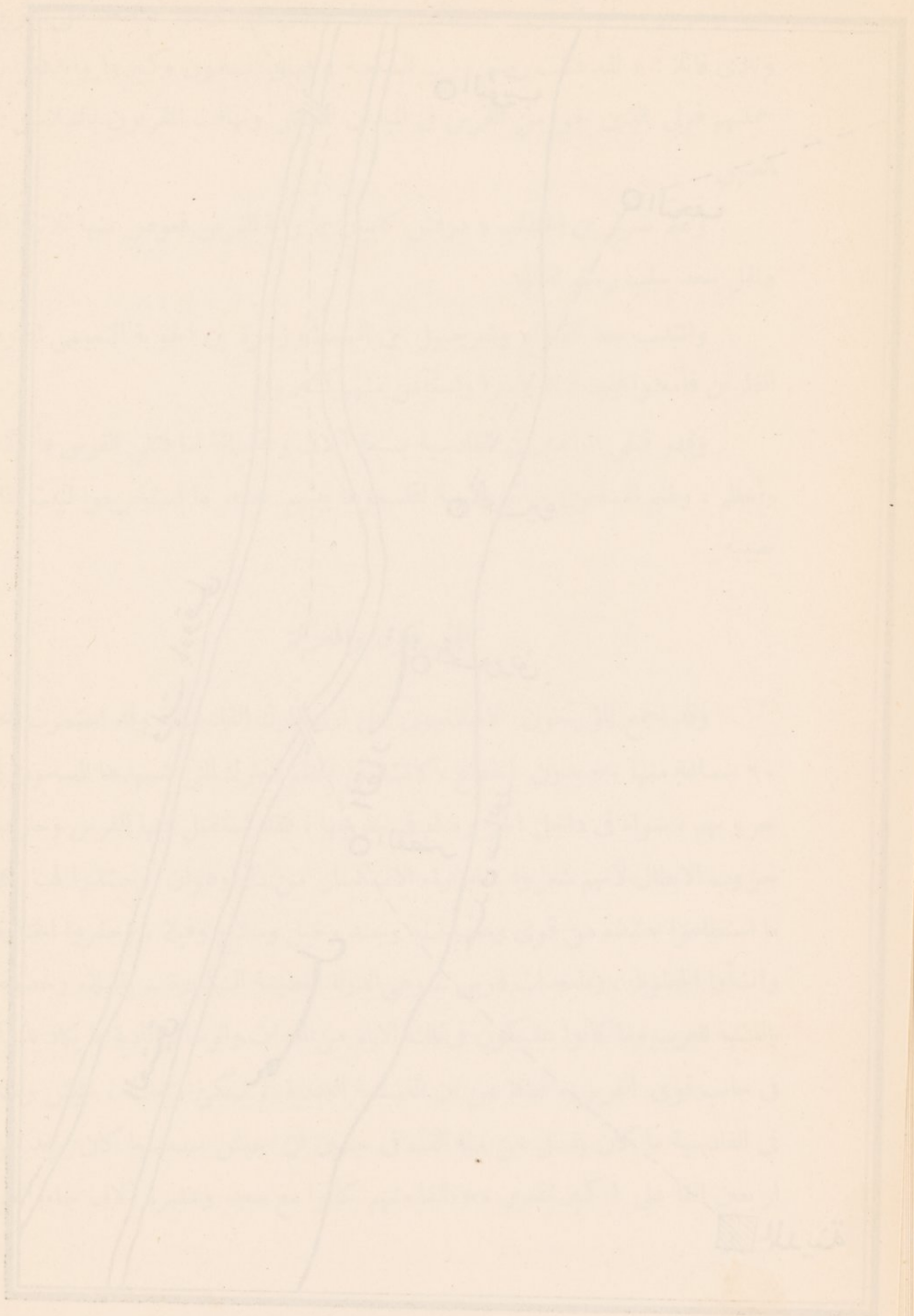
المؤرخون والمعركة

وقد اجمع المؤرخون الاسلاميون على ان معارك القادسية وقد استمرت نحو ٦٠ ساعة منها ٣٠ بدون انقطاع ، كانت من اعظم المعارك التي شهدها المسلمون في حروبهم ، سواء في داخل الجزيرة ام في خارجها ، فقد استقتل فيها الفرس وحاربوا حروب الابطال لانهم شعروا بما وراء الانكسار من ذل وهوان وحشدوا لها كل ما استطاعوا حشده من قوى ومعدات وجند وخيل وسلاح وفيالة ، وحفروا الخنادق وانشأوا الخطوط ، وماعدات فارس - وهي الدولة العظيمة الكبيرة - يقلية ، وخصوصا بالنسبة للعرب وما كانوا يملكون في تلك الايام من المعدات والوسائل المادية ما يكاد يذكر في جانب قوى الفرس ، فضلا عن ان النسبة العددية لم تكن متعادلة ، فحيش رستم في القادسية ما كان يقل عن مئة الف في حين ان جيش سعد ما كان يزيد عن اربعين الفا على ا كبر تقدير ٣٠ الفا منهم كانوا مع سعد وعشرة آلاف جاءوا من الشام

القادسية



تیسرا لقا



وصف الفردوسى معركة القادسية

و يصف الفردوسى معركة القادسية بالوصف الآتى :

« نشبت الحرب بين الفريقين ثلاثة ايام ، وثقلت على الايرانيين اسلحتهم حتى كادت تحترق اجسادهم تحت الدروع ، وتذوب افئدتهم بين احشاء الضلوع ، وغلبهم العطش حتى عصبت اشداقهم ، وغارت احداقهم . وبلغ بهم وبدوا بهم الامر ان اكوا الطين والتراب المبلول ، فلما رأى رستم ذلك بارز سعدا فغلبه سعد وضربه على رأسه ضربة فشظت منه بيضته ، وانفلقت هامته فضر به ضربة ثانية نزلت من عاتقه الى صدره فهلك رستم . وانهزم الفرس فتبعهم المسلمون فقتلوا بعضهم ومات من العطش بعضهم »

هذا مارواه الفردوسى عن معركة القادسية وهو يختلف عما رواه مؤرخو العرب وعما اتفقت عليه جميع المصادر، فالكل مجمعون على ان سعدا كان طريق الفرش يوم القادسية بسبب دمامل في اليته منعه عن الركوب وانه كان يدير حركة القتال من شرفة قصره ولا تقل هذه الرواية في غرابتها عن روايته الاولى وهى ان المسلمين عرضوا بان يكون لهم الفرات وما وراءه وان يكون للفرس مادونه فالمسلمون ما جاءوا ايران للمساومة على اقتسام الاراضى وافتتاح الاسواق ، بل جاءوا لغير ذلك وفي كتاب سعد الى رستم واقوال وفد النعمان ليزدجرد ما يعنى عن الافاضة وما اردنا من نقل ما نقلناه عن الشاهنامه الا المقارنة بين اقوال المصادر العربية واقوال المصادر الايرانية وان لم تكن الشاهنامه من الكتب التى يعول على روايتها تاريخيا

كيف ابلغ خبر الفوز الى المدينة

كان اهل المدينة ينتظرون بفارغ الصبر ورود اخبار القادسية ويتشوقون لمعرفة ما انتهى اليه امر الفرس ، وكان الخليفة يخرج كل يوم الى خارج العاصمة ويسير كيلو مترات على الطريق الشرقى يتنسم الاخبار، ويسال الركبان ويقضى ساعات في الانتظار لا يكاد يقر له قرار لانشغال فكره بما يدور في القادسية من معارك يتوقف على نتائجها ، الى حد كبير استقرار الاسلام وثباته لا في جزيرة العرب وحدها بل في العالم كله

ولقي عمر رسول سعد الى العاصمة ، على الطريق خارج المدينة ، فسأله عن امر القادسية وعمما لديه من اخبار المساميين فقال له وهو مجد في السير على ناقته انهم انتصروا ، ولم يقف لمحدثته لأنه كان يود الوصول الى المدينة مسرعاً ليبلغ البشرى الى الخليفة ويسامه رسالة سعد ، وما كان يدري ان الذى يكلمه هو الخليفة نفسه . وكان قد خرج على جارى عادته في ذلك الصباح يتنسم الاخبار وكان يومها في قلق فكري واضطراب نفسى ، فقد ازعجه انقطاع الاخبار وما كان لدى سعد ما يكتبه اليه في اثناء الموقعة ، فاما اتم الله له النصر ارسل اليه رسولا وامره بان يعجل في السير فالتقى به على المنوال الذى وصفناه ، ولم يك مع هذا احد من الخدم بل كان يسير لوحده كاحد عامة المساميين

وجد الرسول بالسير على ناقته ، وعمر يجرى وراءه على رجليه ، وهو يكرر عليه الاسئلة ويستزيده ايضا عن القادسية وما جرى فيها وقد اطمأن قليلا بما سمعه منه حتى دخلا المدينة ومشيا في الاسواق فسلم الناس على عمر بامارة المؤمنين فاستوقف ذلك نظر الرسول فالتفت اليه وقال له :

— لماذا لم تعرفني عافاك الله بنفسك وتقول لي انك امير المؤمنين فاسامك

الكتاب؟

— لا عليك يا اخي

ثم تناول الكتاب منه ، وكان الناس قد التفوا حولهما واقبلوا من كل جانب لسماح اخبار جيشهم ففضه عمر وتلاه عليهم وهذا نصه :

« اما بعد فان الله نصرنا على اهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من اهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد وقد لقوا المسامين بعدة لم ير الراءون مثل زهائمها فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم الى المسامين واتبعهم المسلمون على الانهار وعلى طعون الآجام وفي الفجاج واصيب من المسامين رجال (وهنا سرد اسماءهم) ثم قال « واصيب غيرهم لا نعلمهم الله بهم عالم كانوا يدوون بالقرآن اذا جن عليهم الليل وهم آساد الناس لا يشبههم الاسود ولم يفضل من مضى منهم من بقى الا يفضل الشهادة اذ لم تكتب لهم »

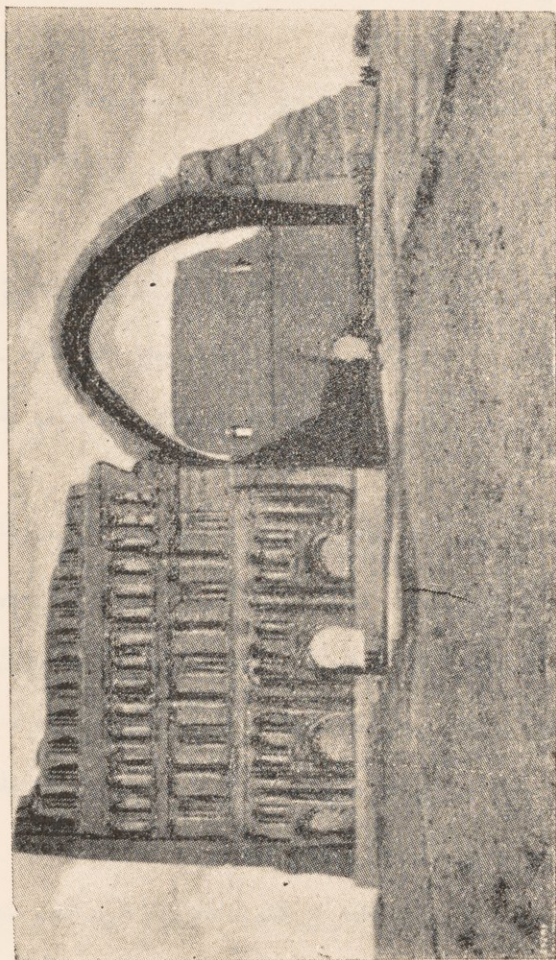
وكان يوم وصول خبر الانتصار يوم سرور في المدينة ففرح الناس وابتهجوا

٢١ فتح المدائن

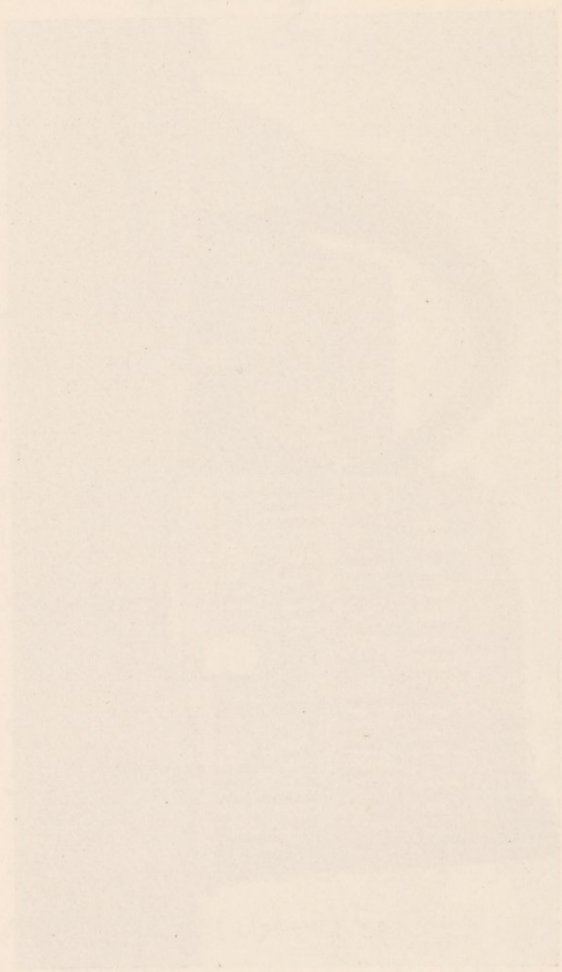
عكف سعد بعد انتصاره العظيم في القادسية على تنظيم امور البلاد التي استسلمت اليه ودخلت في طاعته ، فقد دان له سواد العراق غربه وجنوبه وشرقه ، ولجأ الفرس الى المدائن^(١) عاصمتهم واقاموا فيها يجمعون فلهم ودارت في خلال هذه المدة مكاتبات بين الخليفة والقائد العام لتقرير الخطة التي تتبع في معاملة اهل السواد (فلاحى العراق) ولا سيما الذين نقضوا منهم عهد المسامحة وما لأو الفرس في حربهم الاخيرة وانتهت المكاتبات بصدور امر الخليفة بعد ما استشار رجال شورا بالرجوع الى عهد المسامحة القديمة (عهد خالد بن الوليد) باعتبار ان اهل السواد بانضمامهم الى الفرس كانوا مجبرين وانذار الذين جاؤا منهم فمن عاد الى ارضه واقام فيها فله الذمة وللمسلمين الجزية ومن لم يعد فأرضه غنيمة للمسلمين فعاد أكثرهم

وتلقى سعد - وهو في القادسية امر عمر - بأن يزحف الى المدائن وتبعد عن القادسية نحو ١٣٠ ميلا الى الشمال فزحف بعد شهرين من القادسية اى بعد

(١) ذكر مؤرخو العرب ان المدائن سبع مدن لم يعد ياقوت سوى اسماء خمسة منها وهى : المدينة العتيقة (طيسفون) ومدينة اسبانيير وهى اعظمها وتقع في جنوبي المدينة الاولى وبقرها روميه ، وفي الضفة المقابلة بهر سير وهى محرفة عن كلمة بهير اردشير وفي جنوبها مدينة ساباط كسرى وهى محرفة عن بلاسى اباد ويقول ياقوت ان ايوان كسرى كان في اقسام مدينة اسبانيير وكان القصر الابيض من اقسام المدينة العتيقة



بقايا إيوان كسرى في المدائن (قرب بغداد)



Faint, illegible text visible through the paper, likely bleed-through from the reverse side. The text is arranged in several lines and appears to be in a script, possibly Arabic or Persian.

ما ارتاح الناس من متاعبها واهوالها . وقاد الطلائع زهرة بن الحوية فالتقى في برس
« مكان بين القادسية والحلة » بقوات للفرس بقيادة الهرمزان وهو من كبار قوادهم
ويعادل رستم في الرتبة وكانت لهما الزعامة العسكرية في ايام يزيدجرد ، فهزما فارتدوا
الى بابل (شمالي الحلة) وتبعد عن القادسية نحو ٣٩ ميلا وكانوا قد اعدوا فيها خط دفاع
وحصنوها فقصدهم سعد وهزمهم

وانقسمت فلول الفرس بعد معركة بابل فسار قسم منهم الى الاهواز اى انه
التجه نحو الجنوب وسار قسم آخر الى الشمال فلاحق بالمداين وكان الملك فيها ، وسار
القسم الثالث نحو الشرق فلجأ الى نهاوند

ونزل سعد في بابل وقضى فيها اياما ثم سير المقدمة الى المداين اذ لم يبق للفرس
قوات في هذا الميدان يحسب حسابها فوصل الى بهر سير وهي على ضفة دجلة اليمنى
امام المداين العليا وتقوم غربي دجلة . ومعنى ذلك ان المسلمين ساروا في تقدمهم الى
المداين غربي دجلة

وخندق الفرس في بهر سير (سلوقية) وكانت لديهم قوات كبيرة وتحصنوا في
داخلها فضرب سعد الحصار عليها ونزل حولها . ولما رأى الفرس انه لا قبل لهم بمقاومته
عبروا الى الضفة الاخرى وقطعوا الجسر فاحتلها سعد بعد حصار دام شهرين واتخذها
قاعدة له واخذ يعد المعدات للعبور من مخاضة دله عليها اهل البلاد . ولما تمت المعدات
عبر الجند تحت حماية الرماة بدون عناء ولم يشعر سكان طيسفون الا وقد طلعت عليهم
خيل المسلمين فدعروا واستسلم اكثرهم وانهزم الباقون

وكان الملك يزيدجرد في مقدمة الفارين فقصده حلوان (قرب قصر شيرين على
الحدود بين العراق وايران في الوقت الحاضر) وكانت مدينة كبيرة عامرة خربت في
بعض القرن الثامن ، مع رجال دولته واهله ، فدخل سعد المداين وقصد القصر الابيض
(ايوان كسرى) ونزله وكان يتلو قوله تعالى ﴿ كَمْ تَرَ كُؤًا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا
آخِرِينَ ﴿١﴾ وصلى فيه صلاة الفتح واتخذه مسجدا

رواية الفردوسى عمه اهنول المدايم

وتختلف رواية الفردوسى عن رواية المصادر العربية ، فهو يقول ان المسلمين
واصلوا الزحف بعد القادسية ليل نهار حتى وصلوا الى بغداد وكان فيها يزيدجرد
فغادرها الى خراسان وهذا ماقاله : وركب المسلمون صهوات النصر راكضين ليلا
ونهارا فى عسكر كالسيل (الليل) حتى نزلوا بغداد (ولم تك بغداد قد بنيت فى تلك
الايام) فعبر فرخ زاد اخورستم المقتول دجلة وتبعته عساكر المدينة فلقبهم المسلمون فى
الكرخ (دجلة الغربية) وجرت بينهم موقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الفرس ،
وجرح منهم خلق آخرون . فانصرف فرخ زاد ودخل على يزيدجرد . وقال : « لا تقم
بهذه المدينة فقد اصبحت هاهنا وحيدا وحواليك من العدو مائة الف فاخرج الى
خراسان حتى تجتمع عليك العساكر هناك نغلا يزيدجرد بأصحابه وفواضهم فيما اشار به
فرخ زاد فاستصوبوا رايه فتردد فى ذلك ثم صمم العزم على المسير وقال الاصبوب ان
نسير الى خراسان فان لنا فيها جماعة من المماليك واذا وصلت هناك لالحالة يأتينا رسل
الخاقان ، واكابر الصين فتجربى بيننا وبينه المصاهرة ونعتضد به ثم نشغل بنسكايه
العدو وايضا فان صاحب مرو المسمى ماهوية يمدنا ويؤثر معاضدتنا ومظاهرتنا فانه كان
من رعاة خيلنا

« ولما اصبح من الغد خرج من بغداد وأخذ فى طريق خراسان فتبعه اهل
المدينة يبكون ويضجون ، فوقف ساعة وودعهم ، وكان ذلك آخر عهده بهم ،
وسار يواصل السير بالسرى الى ان وصل الى الرى فأقام بها اياما حتى استراح وأراح
فارتحل منها وسار الى بست وكتب كتابا الى ماهوية يذكر له ماجرى عليه وعلى

عساكره في قتال المسامين ويقول له انى اذا وصلت الى نيسابور ولا اقيم فيها اكثر
 من اسبوع وساقدم مرو فأعد واستعد وطير بهذا الكتاب راكبا الى مرو وكتب
 ايضا الى والى طوس والى سائر ولاة البلاد المتاخمة لها يعامهم بحاله ويأمرهم بالاجتماع
 والاحتشاد

ولى عمر بن الخطاب سعدا المداين وما غلب عليه من ملك الا كاسرة وامره بأن يمضى فى قتالهم . وكان قوادهم وجندهم قد اتوها الى جلولاء (قزلباط فى الوقت الحاضر) وهى من اعمال لواء ديالى - شرقى بغداد - تبعد عن بغداد ٩٦ ميلا بسكة الحديد الى الشرق وتبعد عن جنوبى خانقين ١٤ ميلا على الطريق السلطانى (الجادة الكبرى) بين العراق وكرمنشاه وفارس وهى طريق القوافل فى القديم والحديث

وقزلباط او جلولاء على نهر يسمى باسمها ويتفرع عن ديالى وهى تقريبا فى منتهى السهل الممتد من شرقى المداين حتى غربى سلسلة جبال حميرين آخر حدود العراق الشرقية فى الوقت الحاضر، واول حدود ايران . ومعنى ذلك ان قواد الفرس اختاروا للقتال فى المرحلة الجديدة اما كن تصلح للدفاع من الوجهة العسكرية فحشدوا قواهم فى سفح جبال حميرين

ولا يخفى ان العرب كانوا من ابتداء هجومهم على الابله حتى واقعة المذار فالخيرة فالقادية فالمداين يقاتلون فى ارض سهلية لاجبال فيها ولا عوارض طبيعية مما سهل مهمتهم العسكرية كثيرا ، فانتقال ميدان القتال من السهل الى الجبل لا يخلو من صعوبة بالاجمال ، وكان الفرس يعلقون آمالا كبيرة على هذه الناحية لان العرب لم يألفوا الحرب فى الجبال

وكتب سعد الى عمر يخبره باحتشاد الفرس فى جلولاء وانشأهم الخنادق فأبلغه بان يجهز عليهم حملة بقيادة هشام بن عتبة وهو قائد النجدة التى جاءت من الشام يوم القادسية فعادر هذا المداين فى شهر صفر سنة ١٥ يقود اثنى عشر الف مقاتل حتى

بلغ جلولاء (قزلباط) فحاصرها ، فصمدت حاميتها للمسامين وقاتلتهم قتال المستميت وقضى المسامون شهرين حولها وهم في نضال عنيف فلم ينالوا منها منالا ولما طال عليهم المطال عقد امراؤهم جلسة عسكرية قرروا فيها القيام بهجوم عام واحتلالها بأية طريقة كانت . وعملا بما تقرر صدر الامر للجيش بان يكون على قدم الاستعداد للهجوم وعين القعقاع بن عمر وقائدا له ، فباشر القتال وحمل المسامون حملة صاقة على الفرس فاقتحموا الخندق وغلبوا عليه ففر الفرس الى الجبال ، فتعقبهم القعقاع حتى حدود قصر شيرين الحالية لان اوامر عمر العسكرية الى سعد كانت تقضى بالوقوف عند حدود السهول الشرقية للعراق و بعدم الزحف في الجبال ، وتعد هذه الجبال الفاصل الطبيعي بين العراق ذى السهول الفسيحة وبين غرب ايران ويؤثر عن عمر قوله في هذا الصدد « وددت لو ان بين السواد (العراق) وبين الجبل (جبال حمرين) سدا لا يخلصون (اي الفرس) اليينا ولا نخلص اليهم ، حسبنا من الرف السواد ، انى آثرت سلامة المسامين على الانفال والغنائم »

الاعمال العسكرية في الشمال

علم سعد وهو في مقامه بالمداين ان الفرس جمعوا قوات جديدة في تكريت (بلدة معروفة في العراق) وهي على ضفة دجلة اليمنى تبعد عن بغداد الحالية ١٠٩ اميال وعن شمالي المداين ١٢٩ ميلا وعن جنوبي الموصل ١٦٠ وكانت قلعة حصينة بناها الروم مدة تغلبهم على العراق على ما ذكره جغرافيو العرب ، فسير عليهم حملة بقيادة عبد الله بن المعتم فتحصنوا في القلعة ومعهم عدد كبير من عرب الديرة (اباد وتغلب والنمر) وتنزل في ديار الجزيرة قرب تكريت ، فحاصروهم ودارت بين الفريقين ٢٤ معركة من دون جدوى ، واتصل عبد الله بن المعتم بزعماء العرب المحاربين في جيش فارس واقنعهم بالانضمام اليه ووعدهم بالعفو والامان فمالوا اليه واتفق معهم على ان يحملوا على الفرس من ورائهم حينما يسمعون تكبير الجيش . ونفذ هؤلاء الخطة فكبروا حين كبر المسلمون فظن الفرس انهم هوجموا من الورا فأقبلوا على ابواب الحصن للخروج فأخذتهم سيوف المسلمين وفتكت بهم واستولى هؤلاء على الحصن واقاموا فيه حامية منهم

وارسل سعد حملة ثالثة من المداين قادهها ضرار بن الخطاب لفتح كورة ماسبذان (ترجح انها منطقة لواء كركوك في الوقت الحاضر) وهي ايضا في سفح جبل حميرين الى الشرق الشمالي من المداين فاحتلها . فكان ذلك خاتمة حروب الفرس في العراق ، فقد ارتدوا بعد هذه المعارك الى الغرب وتحصنوا في الجبال الفاصلة بين ايران والعراق (جبال حميرين) فانهى بارتدادهم الدور الثاني من ادوار حروب الاسلام

والامبراطورية الفارسية . وقد تم في خلاله انتصار سعد على جيش فارس الاكبر في القادسية واحتلال المداين والمناطق المجاورة لها في الشرق والشمال والجنوب ، وبذلك اصبح المسلمون يسيطرون على العراق العربي كله ، ولا يستثنى منه سوى الموصل وقد فتحت بعد ذلك

الاهواز

يظهر من سياق الحوادث ، ومما رواه المؤرخون ان ثغر الابلّة - ويسمونه الآن جبلة بتشديد اللام ، وكان ثغرا عظيما للفرس في زاوية الخليج الفارسي - عاد الى ايدي الفرس حينما جلا المسلمون عن الاماكن التي احتلوها في جنوبي العراق ، استعدادا لمعركة القادسية الكبرى

ولما تم للمسلمين النصر في هذا الميدان ، وهزم الفرس ، وتقلص نفوذهم عن جنوبي العراق امر عمر سعدا ، وكان في القادسية ، بان يسير قوة الى الابلّة لاحتلالها ليجول دون وصول مدد للفرس من ناحيتها ، حفظا لخط رجعة الجيش من جهة الجنوب ، وكان الفرس في الاهواز

وسار عتبة بن غزوان بجيشه حتى بلغ الابلّة فاخذت مدينة البصرة الحاضرة وانشأها وانزل فيها الجند والقوى ، وكان ذلك سنة ١٤ واتخذها المسلمون عاصمة لجندهم في منطقة الاهواز والخليج الفارسي . ثم عادوا في سنة ١٧ فأنشأوا الكوفة بأمر الخليفة عمر واتخذوها قاعدة لجيشهم في منطقة الفرات ودجلة وهي على مسافة ٦٠ ميلا من الخيرة وقضت عليها تدريجيا

وكتب عتبة الى عمر بن المهرمزان وهو من كبار قادة الفرس وصنو رستم وكان ينزل الاهواز (مقاطعة خوزستان او عربستان الايرانية كما تسمى في الوقت الحاضر وعاصمتها قسبة الحمرة الواقعة شرقي شط العرب) يغير من وقت الى آخر على البصرة ويزعج المسلمين ويستأذنه في قتاله فأذن له وكتب الى سعد بأن يمده بجند من عنده فأمدّه واشترك مع جند البصرة ، وكان مستقلا عن جند الكوفة وما عرف العرب مبدأ (الوحدة الادارية) في تاريخ حكمهم فكان لكل بلد من بلدانهم عامل

مستقل في الغالب لا يتصل بعمال البلدان المجاورة بل يكتب الخليفة مباشرة ويتلقى
اوامره وتعليماته وكان الامير او العامل هو قائد الجند والحاكم السياسي وكان
لهم في العراق والجزيرة وخليج فارس بعد ما تموا فتحها اربع وحدات ادارية
١ - الكوفة وكانت تشمل منطقة بغداد الحاضرة او منطقة دجلة و بعض

مناطق الفرات

٢ - البصرة وكانت تشمل منطقة البصرة الحاضرة والاهواز

٣ - البحرين ومقرها في البحرين وتشمل منطقة الخليج

٤ - الجزيرة وكانت تتبع عمل الكوفة في اول الامر ثم انفصلت عنها

الهرمزانية في الميراث

وحمل عتبة بجنده وجند الكوفة على الفرس فلقوه بين مناذر ونهر تيرى
فهزمهم حتى جاز شاطئ نهر دجيل الجنوبي فصار حدا بين المسلمين والفرس في
الجنوب وكان العرب يطلقون اسم نهر الدجيل على نهر الكارون

ثم صالح الهرمزان المسلمين على مقاطعة الاهواز كلها ما عدا ما أخذوه عنوة
وكانت مناذر ونهر تيرى من بنادر البصرة . وتجدد الخلاف بين المسلمين والهرمزان
فكتب عتبة الى الخليفة يستأذنه في حربه فأذن له وارسل اليه النجيدات فنازله عند
جسر سوق الاهواز وهزمه فسار الى (رامهرمز) شرقي الاهواز واستولى المسلمون
على معظم اجزاء هذه المقاطعة

وعاد الهرمزان بعد قليل الى حرب المسلمين فكتب عمر الى عتبة امير البصرة
بأن يرسل اليه وفدا يتألف من عشرة ليحقق معهم في البواعث التي تبعث الهرمزان
على الثورة والاتفاض - لما تبادر الى ذهنه وهو انه لو لم يكن مظلوما لما ثار ولما لقي
من الناس تأييدا وتعضيدا - فأرسل اليه الوفد فلما دخل عليه ، وجه الكلام الى
الاحنف بن قيس « سيد بنى تميم » وكان في الوفد وقال له اصدقني القول هل ثار
اهل الذمة لظلم نزل بهم ام لغير ذلك ؟

- لقد ثاروا لغير مظلمة والناس على ماتحب

- انصرفوا اذن الى رحالكم « اى عودوا على الفور ولا تتوقفوا »

فعاد الوفد وكتب عمر الى عتبة يقول له :

« اعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا ان يدال عليكم لغدر يكون منكم
او بغى فانكم انما ادركتم بالله ما ادركتم على عهد عاهدكم عليه ، وقد تقدم اليكم
فيما اخذ عليكم فافوقوا بعهد الله وقوموا على امره يكن لكم عوناً وناصراً »

واستأنف الهرمزان غاراته على المساميين وعاد الى نقض عهدهم وأمدّه بزجرد
بقوات كبيرة جندها من داخلية ايران ، فاجتمع الفرس في عدد كبير في الاهواز
لقتال المساميين ، وبلغ امير البصرة وهو يومئذ ابو موسى الاشعري ما يعده هؤلاء
فكتب الى عمر فأمر هذا سعدا بأن يرسل حملة قوية بقيادة النعمان بن مقرن
كما كتب الى ابي موسى بأن يرسل جندا يقوده سهل بن عدى وولى القيادة العليا لهذه
الحملة - حملة جنوبي فارس - ابو سبرة بن ابي رهم

واتجه الجيشان - جيش البصرة وجيش الكوفة - الى الاهواز فالتقيا
بالهرمزان في رامهرمز وقد خرج بجموعه لقتالهم فنزلوه وهزموه فانسحب الى تستر
فلحقه الكوفيون بقيادة النعمان وحاصروا تستر ثم وافاهم جند البصرة فاتحدا
واستتبلا في القتال ودارت بينهما ٨٠ معركة في خلال شهر واحد فاز المسامون
في ختامها واستولوا على تستر واستسلم الهرمزان اليهم مشترطاً عليهم ان يفصل عمر
في امره

وارسل ابو سبرة قائد الحملة العام الى جنوبي فارس الهرمزان مع وفد من
وجوه المساميين الى المدينة فلما وصلوا اليها ودخلوا المسجد وجدوا عمر نائماً على الارض
ودرتة « كرابجه » معلقة في يده

وجلس رجال الوفد في انتظار يقظته ، فسألهم الهرمزان وكان لا يعرفه

- اين عمر ؟

- هذا هو النائم على الارض

- اين حرسه وحجابه وخدمه وحشمه ؟
 - لاحرس ولا حجاب ولا خدم له ، بل هو الذى يخدم ارامل المسلمين وايتامهم
 - يجب ان يكون نبيا
 - ليس بنبي ولكنه يعمل عمل الانبياء
 واستيقظ عمر بعد ذلك فقدموا له الهرمزان قائلين انه ملك الالهواز فقال له :
 - كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة امر الله
 - كنا واياكم فى الجاهلية وكان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم ، فلما
 كان معكم غلبتمونا
 - انما غلبتمونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا
 ثم قال له
 ما عدرك وما حججتك فى انتفاضك مرة بعد اخرى ؟
 - اخاف ان تقتلنى قبل ان اخبرك
 - لا تخف
 - اريد ماء
 فأمر عمر ان يؤتى له بماء فجاءوه به فى قدح غليظ فلما رآه قال لو مت عطشنا لم
 اشرب منه
 فأمر عمر ان يؤتى له بالماء فى غيره فجاءوا باناء يرضاه فادركته الرعشة وارتجفت
 يده وقال اخف ان اقتل وانا اشرب
 - لا بأس عليك حتى تشرب
 وأكفأ الهرمزان الماء على الارض حينما سمع كلمة عمر ، فامر هذا بأن يؤتى له
 بالماء ثانية وقال لهم لا تجمعوا عليه بين الموت والعطش ، فأبى ان يشرب وقال لا حاجة
 لى به وانما اردت ان استأمن
 - انى قاتلك
 - لقد امنتنى

- كلا

وتدخل الحاضر ون واشتركوا في المناقشة ، وقال انس بن مالك وكان حاضرا

- لقد صدق يا امير المؤمنين فقد امنته

وايد هذا الرأي الباكون وقالوا للخليفة لقد امنته حتى يشرب فضحك عمر

حيثئذ وقال للهرمزان :

- لقد اردت ان تخدعني وانا والله لا انخدع الا لمسلم فاسلم فذلك خير لك ،

فاسلم ففرض له مالا في بيت المال وانزله في جواره بالمدينة

عمر يحمي عمر اسباب الانتفاض

واغتم عمر وصول الاحنف بن قيس في جملة الوفد الذي سحج الهرمزان الى

المدينة وسأله عن اسباب انتفاض اهل الاهواز وكثرة الفتن بينهم فقال له :

« نهيتنا عن التوسع في البلاد وامرتنا بالاعتصار على ما في ايدينا ، وملكهم ،

لا يزال حيا بين اظهريهم ، ولا يزالون يساجلوننا مادام حيا بينهم ، ولم يجتمع ملكان

قط ولا بد لاحدهما ان يخرج صاحبه . وقد رأيت انا لم نأخذ شيئا بعد شيء الا بانبعاثهم ،

وملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فنهاجهم في بلادهم حتى

نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وعز امته »

كانت البحرين في مقدمة الاقطار التي خضعت للمسلمين في خليج فارس ودخلت في طاعتهم ، ومع ان بعض قبائلها ارتد ، في ابان حركة الردة ، (انظر ص ٢٣٦) الا ان العلاء بن الحضرمي مالبت ان قضى على هذه الحركة بمساعدة بعض قبائلها الاخرى وقبض على زمامها

ولما غزا المسلمون العراق ونالوا ما نالوه من نصر عظيم ، وافتتحوا المدن والعواصم ، اراد العلاء بن الحضرمي ، عامل البحرين ان يساهم في الغزو ، وان يهاجم الفرس بحرا ، وذلك بان يسير من ضفة الخليج الغربية الى ضفته الشرقية ، وهي مأهولة بالفرس وكانت هنالك مقاطعة اصطخر ، فيحتملها وينال نخر فتحها ، ويؤدى خدمة لوطنه وقومه

وحيث ان عمر ما كان يأذن لاحد بركوب البحر عملا بالقاعدة التي وضعها وهي انه لا يريد ان يفصل بينه وبين المسلمين فاصل ، وحيث ان استأذانه في غزو اصطخر بحرا معناه عدم الرغبة في الغزو لانه سيجيب بالرفض فقد اعد العلاء قوة قالوا ان عددها بلغ ١٢ الف مقاتل وهيا السفن اللازمة لنقلها ثم خرج بها للقتال من دون ان يحصل على تصريح من الخليفة بذلك

وصمد الفرس لاهل البحرين حينما جاءوهم وحالوا بينهم وبين الرجوع الى سفنهم فاستبسل العرب في القتال وشقوا لهم طريقا في اتجاه البصرة برا بعد ما استحال عليهم الرجوع الى مدينتهم بحرا فقطع الفرس خط رجعتهم وشددوا في مضايقتهم

ووصلت الاخبار الى المدينة وعرف عمر بما فعله العلاء وبما اصاب المسلمين على

يده ففصله عن عمله فورا وامره بان يلحق بجيش سعد وينضم اليه ، كما اصدر امرا
الى عتبة بن غزوان عامل البصرة بان يسير بالناس الى انقاذ اخوانهم فانتدب منهم
١٣ الف مقاتل ساروا بقيادة ابي سبرة بن ابي رهم فسلك طريق الساحل حتى
ادرك اهل البحرين فانقذهم وجاء بهم الى البصرة ومنها رجعوا الى مدينتهم

الجزيرة

يطلق العرب اسم الجزيرة على الجزء الشمالي من الاراضى الواقعة بين الفرات ودجلة، وتسمى ايضا جزيرة اقور او اشور وكانت ربيعة فى العهد الفارسى، تنزل جنوبيها وعاصمتها نصيبين، وتنزلها اليوم قبيلة شمر، كما كانت مضر تنزل فى غربها، وكانت ديارها تمتد على ضفة الفرات الغربية وكانت الرقة عاصمة لها

وكانت مقاطعة ديار بكر (تتبع تركيا فى الوقت الحاضر) تعد من مقاطعات الجزيرة وتقع فى القسم الاعلى بين دجلة والفرات، وكانت الجزيرة كلها خاضعة للساسانيين فى العراق وكانت تتصل بحدود الروم الشرقية (حدود سورية)

وكان لكل من الدولتين قوى عسكرية كبيرة فى هذه المنطقة، منطقة الحدود فلما انتهى المسلمون من فتح جنوبي العراق - وكانوا لا يزالون فى حرب مع الروم فى الشام - امر عمر سعدا بان يجهز حملة لفتح الجزيرة وكان يرمى من ذلك الى غرضين: اولهما: التخفيف عن جيش المسلمين فى الشام وحمل الروم على ارسال قوى الى حدودهم الشرقية للدفاع عنها، ثانيا ضم هذه البلاد العظيمة وهى مأهولة بعدد غير قليل من العرب الى المملكة الاسلامية والقضاء على البقية الباقية من النفوذ الفارسى فى شمالي العراق والاتصال بالشام فتتوحد اجزاء المملكة الاسلامية ويتصل العراق بالشام وبالحجاز اتصلا مباشرا

وعملا باوامر الخليفة وتعليماته جهز جيش الكوفة ثلاث حملات لافتتاح الجزيرة: قائد الحملة الاولى سهيل بن عدى ووجهت لفتح الرقة (عاصمة مضر) وقاد الحملة الثانية عبد الله بن عتبان ووجهت لفتح نصيبين (عاصمة ربيعة) وقاد الحملة الثالثة عقبة بن الوليد ووجهت لاختراع الاجزاء الاخرى

وعين عياض بن غنم وهو الذي انتدبه ابو بكر لغزو شمالي العراق يوم انتدب
خالدا لغزو جنوبيه فجاء حتى الجوف وفيها التقى بالروم فاستنجد بخالد ثم انضم اليه
(انظر ص ٢٧٠) قائدا عاما لهذه القوى لخبرته في شؤون هذه البلاد ، فقد سبق له ان
جاسها

فوز عياض

وقصد عياض الرها (اورفة اليوم وهي من ممتلكات تركيا) فحاصرها
فصالحه اهلها على الجزية وكان أكثرهم من النصارى ثم قصد حران وهي واقعة في
شمالي الرقة وفي جوارها ينبع نهر البلخ من عدة عيون ووديان صغيرة فصالحه اهلها
على الجزية ايضا ثم قصد نصيبين (وهي اليوم من ممتلكات تركيا) وتقع على حافة جبل
طور عابدين الجنوبية وفيها منتهى سكة حديد بغداد وتبعد عن الموصل نحو ١٦٠
ميلا ففتحها ثم فتح ديار بكر

وابى عرب الجزيرة الاشتباك في حروب مع المسلمين لانهم ادركوا ان لاطاقة لهم
بهم فاوغلوا في ارض الروم . واخيرا وبعد مراسلات تم الاتفاق بينهم وبين السلطة
الاسلامية على ان يعفوا من الخراج مقابل دفعهم الصدقات المفروضة مضاعفة لانهم
بنفرون من ذكر كلمة الخراج وعاد العرب الى بلدانهم وقاموا على زراعتها

وكان سعد قد وجه بعد افتتاحه المداين حملة بقيادة عمر بن مالك لافتح
قرقيساء وكانت واقعة على ضفة الفرات الغربية في شمالي ملتقى نهر الخابور بالفرات
فافتتحها واقرا اهلها على الجزية كما افتتح في مسيره « هيت » وهي مدينة قديمة
واقعة على ضفة الفرات اليمنى ولا تزال على حالها ، وهي في شمالي الفلوجة وتبعد عنها ٥٦
ميلا

اكتساح ايران

ظل النضال بين العرب والفرس حتى اواخر سنة ١٧ للهجرة مقتصرًا على المنطقة الواقعة غربى جبل حمرين وجنوبيه وتشمل الاراضى العراقية العربية ومقاطعتى الاهواز واصطخر فى الجنوب وكان هنالك ثلاثة ميادين يتقاتل فيها الفريقان :

١ - ميدان الاهواز - البصرة (الميدان الجنوبى)

٢ - ميدان المداين - جبال حمرين (الميدان الشرقى)

٣ - ميدان الجزيرة - ارمىنية (الميدان الشمالى)

ولقد بسطنا فى ماتقدم رأى الخليفة عمر بن الخطاب فى قضية « التوسع » وقلنا انه كان يقول بوجود الاكتفاء بالمنطقة الممتدة من سفح جبل حمرين الشرقية حتى الفرات وهى المنطقة السهلية العظيمة التى تقوم فيها دولة العراق الحاضرة ، وترك اليرانيين وشأنهم وراء الجبل اى فى شرقيه ، لانه الحد الطبيعى الفاصل بين هذين الافليمين ، ومما يؤثر عنه قوله « وددت لو ان بين السواد والجبل سدا فلا يخلصون الينا (اى الفرس) ولا نخلص اليهم ، حسبنا من الريف السواد »

وكان الخليفة لاينى يصدر الاوامر الى قواد جيشه بالاقتصار على ما بأيديهم وبعدم التوسع فى الفتح ويحظر عليهم الا يغال فى الجبال ، فلا يستهدفون للاخطار فى بلاد جبلية وعرة ، لا يكادون يعرفون عنها شيئًا ، بعكس العراق فقد كانوا يعرفونه لانه كان مشوى لكثير من القبائل العربية النازلة على الفرات وعلى دجاة وفى المنطقة الواسعة الممتدة بينهما

وعلم قادة الجيش الاسلامى فى « جاولاء » آخر الحدود العراقية الشرقية من

ناحية ايران ، بان يزجر حشد قوات عظيمة لقتالهم ، وانه يستنفر الناس ويجمعهم من هنا وهناك ، وانه يرجو ان ينتصر على العرب ويهزمهم ، فقالوا في كتابهم الى سعد (القائد العام للمنطقة) بان يعود العرب عن مهاجمة هؤلاء قد لا يخلو من اخطار وطلبوا منه ان يستصدر امرا من القيادة العليا بمنازلة الفرس وتمزيقهم قبل ان يستفحل شرهم ، وقبل ان ينتقض الناس على الحكم الجديد ، فقد ارسل هؤلاء رسلاهم في البلاد يغرون الناس بالانتفاض على الفاتحين ومقاومتهم ويعدونهم النصر والتأييد ، ويقولون لهم ان امر العرب صائر الى الزوال وانه يجب عليهم ان يعملوا لانقاذ وطنهم واحياء قوميتهم

ولم يشأ سعد ان يبت في الامر بل كتب الى عمر يبسط الحالة ويستأذنه في لقاء الفرس وقتالهم - ويقول المؤرخون ان القوة التي حشدها يزجر ما كانت تقل عن ١٥٠ الف مقاتل - لانه ما كان يجهل ما قد يجره الايغال في بلاد ايران ، وفتح ميدان جديد في مناطق نائية ، واما كن قاصية ، من مخاطر يستهدف لها المسلمون ولم تك قواعد دولتهم الجديدة قد توطدت واستقرت

ودعا عمر مجلس شورى الصحابة الى الاجتماع فاجتمع فتكلم عن الموقف العسكري في شرقي العراق وذكر ان الجيش بلغ في تقدمه سفح جبال حمرين ووقف عنده وقال ان يزجر جمع جموعا غفيرة في الجبل وانه يوشك ان ينقض على المسلمين بجيشه العظيم وسألهم ان يشيروا عليه بما يرونه : هل يأذن للجيش المرابط على الحدود الجديدة بان يهاجمهم ويطاردهم وراء الجبل ام يانزم خطة الدفاع ؟

وبعد ماتكلم بعضهم وابدى واعاد خطب عثمان بن عفان فاقترح على الخليفة ان يكتب الى اهل الشام فيسيروا من شامهم والى اهل اليمن فيسيروا من يمنهم قال : ثم تسير انت باهل هذين الحرمين (الحجاز) الى المصريين (الكوفة والبصرة) فتلقى جموع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت بمن معك ومن عندك ، قل في نفسك ماقد

تكاثر من عدد القوم وكنت اعز جندا واكثر نفرا . ثم قال :

يا امير المؤمنين :

انك لاتستبقى من نفسك بعد العرب باقية ! ولا تتمتع من الدنيا بعزيز ، ولا تكون منها بحريز ، ان هذا اليوم له مابعده من الايام ، فاشهد برأيك واعوانك ولا تغب عنه - اه

وتكلم على بن ابي طالب فاقترح اقتراحات عسكرية خطيرة الشأن نقض بها اقتراحات عثمان ومماقاله :

يا امير المؤمنين :

انك ان اشخصت اهل الشام (اي جيش الشام) من شامهم ، سارت الروم الى ذراريهم ، وان اشخصت اهل اليمن من يمنهم ، سارت الحبشة الى ذراريهم ، انك وان اشخصت من اهل هذه الارض (الحجاز) انتقضت عليك الارض من اطرافها واقطارها ، حتى يكون ما تدع وراءك اهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات اقرر هؤلاء في امصارهم واكتب الى اهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق :

١- فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذراريهم

٢- ولتقم فرقة في اهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم

٣- ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم

ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا قالوا هذا امير العرب واصل العرب ، فكان هذا اشد لكاهم ، والبتهم على انفسهم

واما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكنا كنا نقاتل بالنصر

ورد عمر على اقوال الخطباء والمتكلمين فقال :

اجل والله : لئن شخصت من البلد (الحجاز) لتنتقض على الارض من اطرافها واكنافها ، ولئن نظرت الى الاعاجم لايفارقن العرصة ، ولبيدنه من لم يمددهم ، وليقولن

هذا اصل العرب ، فاذا اقتطعتموه اقتطعتم اصل العرب فاشيروا على برجل اوله ذلك الثغر
غدا واجعلوه عراقيا (اى من جيش العراق)

- انت افضل رأيا واحسن مقدرة وانت اعلم باهل العراق

- اما والله لاولين امرهم رجلا ليكونن لاول الاسنة اذا لقيها غدا

- من هو يا امير المؤمنين ؟

- النعمان بن مقرن المزني

- هو لها

جبال حميريه

طاردت جيوش سعد الفرس المنهزمين من المداين فالتخت فيهم قتلا وجرحا ثم عادت الى قاعدتها الجديدة من دون ان تفكر في الاستيلاء على المراكز المنيعه في الشرق وتركتهم وشأنهم فجمعوا جموعهم في جاولاء قزلباط (انظر وصفها في ص ٣٢٠) واستعدوا للغارة على العرب فوصلت اخبارهم الى سعد فارسلى القوى لقتالهم فكانت معركة جاولاء الكبرى وقد انتهت بفشلهم وهزيمتهم فتسلقوا جبال حميرين وهى الجبال الفاصلة بين ايران والعراق فى الوقت الحاضر ، وان شئت فقل هى الحد الطبيعى بين بلاد العرب و بلاد ايران ، و رابطوا فيها واخذوا يجمعون جموعهم فى اواسط هذ الجبال ، ويهدد المرباط فيها السهول المؤدية الى بغداد لانها بحكم وضعها الطبيعى مشرفة عليها ، فلم ير قادة الجيش العربى بدا من السير اليهم واجلائهم عن الجبال ودفع الخطر المحقق بالمداين ، فاستأذنوا الخليفة فلم يأذن لهم الا بعد ما جمع مجلس شورى الصحابة ونال اجازته

و عملا بالاوامر الصادرة من المدينة ، تحرك جيش الكوفة من مقره ، فجاء الى المداين سالكا الطريق السلطانية القديمة المعروفة بينهما ومنها اتجه الى جاولاء (قزلباط) ثم سار الى خاتقين وتبعد عن بغداد ١١٢ ميلا الى الشرق وتقوم على نهر الوند وبينها وبين قصر شيرين « وهى اول حدود الدولة الفارسية البهلوية فى الوقت الحاضر » بضعة عشر كيلو مترا فصعد فى الجبال من دون مقاومة مواصلا السير على الطريق السلطانى « الجادة الكبرى بين بغداد وخراسان » حتى بلغ نهاوند فى قلب هذه الجبال ، وكان الفرس قد احتشدوا فيها وحصنوها ، فنزل امامها وضرب مخيمه حولها ، فكانت اول جبالى يخترقها العرب فى زحفهم الى ايران

وجبال حميرن تتكون من رواب رملية ترابية وهي قاحلة في الوقت الحاضر لا نبت فيها ولا ماء وهي سلسلة تحد منطقة جبال لورستان من الغرب وبتدئ فرعا الشمالية من شمالي مندلي الغربي ويقطع نهر دياله - احد روافد دجلة في شمالي بغداد - بين قزلباط « جالواء » ودلي عباس - مركز ناحية من لواء ديالى في العراق وتقع على نهر الخالص الغربي - في خط مواز من وادي نفظ درة ويجتاز شط العظيم في جوار دمير قبو فيستمر في اتجاهه نحو الشمال الغربي وهناك يجتاز دجلة ويتصل بجبل مكحول وينتهي بنهر الثرار . ويؤلف فرع حميرن الشمالي . اما فرع جبل حميرن الجنوبي فيمتد من جنوبي مندلي ويقطع « آب شونكولا » في شرقي بدرة وراء خط الحدود بين العراق وايران عبارة عن سلسلة جبال متوازية تمتد على اتجاه واحد من الغرب الى الشرق وتؤلف جبال لورستان المنيعه ولاغابات فيها الآن

اما قصر شيرين وهي اول مدينة على الحدود الايرانية في الوقت الحاضر ، فهي من المدن القديمة التاريخية وهي على نهر حلوان وقد سميت باسم القصر الذي بناه كسرى ابرويز لامراته شيرين ، ولا تزال اطلاله قائمة في شمال شرقي المدينة وكانت مدينة حلوان بقرها وقد خربت وبادت الآن

ويطلق الفرس على الجبل الواقع غربي قصر شيرين اسم « كوه باطاق » اي الجبل ذو الطاق وتقع نهاوند في داخل هذا الجبل في المنطقة الممتدة بين قصر شيرين وكرمشاه والمسافة بينهما نحو ١٠٠ كيلومتر وفي هذه المنطقة ايضا خرائب الدينور . وتبعد همدان عن كرمشاه وهي الى شرقيها نحو ١٥٠ كيلومترا ومن همدان الى طهران الري نغراسان

هذا وصف جغرافي موجز لحالة المنطقة الجبلية التي كان على الجيش العربي ان يعمل في داخلها خلال المرحلة الجديدة . فقد كان عليه ان يصعد في جبال حميرن ويجتاز مسافة واسعة لا يقل طولها من الغرب الى الشرق - وكان جيش العرب يسير في

هذا الاتجاه اى من الغرب الى الشرق - نحو ١٠٠ كيلو متر ليبلغ نهاوند وهى
 معروفة الآن وقد ضعف شأنها فى هذه الايام وحلت محلها كرمشاه فهى عاصمة هذا
 الاقليم - اقليم غربى ايران - وهو من اعظم اقاليم هذه المملكة الزراعية واعظمها
 شأنًا

٢٩ نهاوند

كان قرار مجلس شوري الصحابة باكتساح ايران والاغال-في اراضيها ومقاطعاتها من القرارات التاريخية الخطيرة في تحول الاسلام كما كان نتيجة طبيعية للموقف الجديد ، فلا مناص للعرب ، بعد اكتساح ما اكتسحوه من اراضي الفرس الغربية و بعد ما احتلوا عاصمتهم ، ونقضوا بنيان دولتهم ، من مطاردتهم في جبالهم وصياصيمهم واخراجهم منها اذا ارادوا الاحتفاظ بما احتلوه واستولوا عليه ، والا فلا يأمنون غارات يستهدفون لها وانتقاضات تنتقض ، نخضمهم قوى يمتلك مصادر شتى من القوى المادية يرميهم بها اليوم بعد اليوم

وكانت الخطة العسكرية التي اقرها مجلس شوري الصحابة في اجتماعه واتفق على ان يتولى النعمان بن مقرن المزني^(١) تنفيذها تقوم على القواعد الآتية :

١ - يسير جيش الكوفة « كانت قاعدة العرب العسكرية في العراق الاوسط والشمالى كما كانت البصرة قاعدتهم في السواد وفي خليج فارس وجنوبى ايران » الى نهاوند ويباشر الاعمال العسكرية في المرحلة الجديدة بقيادة القائد الجديد

٢ - تسيير قوة من جيش البصرة الى جنوبى ايران لشغل الفرس في

(١) هو النعمان بن مقرن بن عائد بن سيحان ويتصل نسبه باد بن طابخة المزني « نسبة الى مزينة » من ولد عثمان بن عمرو ، « وتنزل قبيلة مزينة جنوبى المدينة في المنطقة الواقعة بينها وبين مكة » قدم المدينة في ٤٠٠ من قومه . وقيل هاجر ومعه سبعة اخوة له ، وكان يحمل لواء مزينة يوم فتح مكة ، واشترك في حملة فارس وشهد القادسية واشترك في جميع المعارك تقريبا ، وقتل يوم نهاوند

هذه المنطقة ومنعهم عن مساعدة جيش نهاوند وأنجاده ، واجراء ما يسمونه
« مظاهرات عسكرية »

٣ - يبدأ جيش الكوفة العمل حينما يتم احتشاده

تعليمات الخليفة الى القائد الجدير

وارسل الخليفة كتابا الى النعمان « القائد الجديد للحملة » - وكان يتولى خراج
كسکر « لواء الكويت العراقي في الوقت الحاضر » ويقال ان هذا كتب في تلك الايام
الى الخليفة يرجوه ان يقيه من عمله هذا وينتدبه لعمل عسكري لانه يكره الكسل
- أى ينقله من السلك المدني الى العسكري - يقول فيه :

« انت الناس بنهاوند فقد وليتك حربهم وسر من وجهك ذلك حتى تأتى ماه
فانى قد كتبت الى اهل الكوفة « جيش الكوفة » ان يوافوك بها فاذا اجتمع لك
جنودك فسر الى الفيرزان « قائد الفرس العام في نهاوند » ومن تجمع اليه من
الاعاجم من اهل فارس وغيرهم ، وانتصروا بالله واكثروا من قول لا حول ولا قوة
الا بالله »

تعليمات عسكرية اخرى

وارسل اليه تعليمات اخرى جاء فيها :

« ان معك حد العرب ورجالهم في الجاهلية فادخلهم دون من هو دونهم في العلم
بالحرب واستعن بهم ، واشرب برأيهم وسل طليحة « هو طليحة الاسدي بطل معركة
بزاخة انظر ص ٢١٢ » وعمرا وعمرا « عمرو بن معدى كرب الزبيدي وعمرو بن ابى
سالمى الغنوى » ولا تولهم شيئا »

الحملة الزحف

تقلد النعمان القيادة العامة للحملة الجديدة وانصرف الى اعداد معدات المعركة الفاصلة التي تقرر ان يخوضها لتقرير مستقبل العراق وايران على السواء ، فقد كان انتصار العرب فيها مؤذنا بسقوط بلاد ايران في ايديهم كما ان انتصار الفرس - لو تم - ينعش آمالهم ، ويجدد نشاطهم ، فيواصلون الزحف غربا لاسترداد ما فقدوه واضاعوه وكان العرب يقدرون خطورة شأنها تقدير الفرس له ، وقد حشروا لها كل قواهم وجمعوهم وقرروا بذل كل ما يستطيعونه للانتصار فيها وارسل عمر بن الخطاب قوة جديدة من اهل الحجاز الى النعمان قادها المغيرة بن شعبة وتواردت عليه النجذات من كل جانب ، وحرص الذين لم يشهدوا القادسية ولم ينالوا نخر الاشتراك فيها على شهود نهاوند ولم تكن دونها شأنًا ، وكما مكنت تلك العرب من احتلال المداين والاستيلاء على العراق فقد مكنتهم هذه من الاستيلاء على ايران ، ولم تكن المعارك التي دارت بعدها سوى معارك موضعية لاتذكر في جانبها

طليحة الاسدي يقود المقدمة

ولما ازمع النعمان الزحف ، قدم على مقدمته طليحة الاسدي وامره ان يتقدم حتى نهاوند ليستطلع اخبار القوم ويرود الاماكن ، فقام هذا بمهمته على الوجه الاكمل وعاد يقول للنعمان انه ليس بينه وبين نهاوند شيء يخشاه ، فليسر على بركة الله وعبأ النعمان جنده ، ويقول بعض المؤرخين انه كان يتألف من ٣٠ الف مقاتل ، فجعل على الجناح الايمن حذيفة بن اليمان وعلى الجناح الايسر سويد بن مقرن ، وولى المقدمة نعيم بن مقرن ، وولى المشاة القعقاع ، وقاد المؤخرة مجاشع بن مسعود ، وتولى هو قيادة القلب

المعركة الاولى

وواصل الجيش العربي مسيره فبلغ نهاوند من دون مقاومة ، وكان الفرس قد تحصنوا فيها ، فنزل حولها ، فخرجوا للقائه فدارت بينهم المعركة الاولى ، ولم تقترن بنتيجة

واستؤنف القتال في الغداة ، وظهر العرب في اليوم الثاني على الفرس فلبجأوا الى خنادقهم وحصونهم ، فأحاط العرب بها ، وضربوا نفاقا حولها

مجلس العمارة العسكري

وطال الحصار وامتدت ايامه ، فعقد النعمان مجلسا عسكريا حضره كبار قواد الجيش نذكر منهم حذيفة بن اليمان والمغيرة بن شعبة وعتبة بن عمرو وطلحة الاسدي وبشير بن الحصاصية وحنظلة الكاتب بن الربيع وربيع بن عامر ونعيم بن مقرن وجرير بن عبد الله الحميري والاقرع بن عبد الله الحميري وجرير بن عبد الله البجلي والاشعث بن قيس الكندي ووائل بن حجر وغيرهم من اعيان العرب وكبار قوادهم وسألهم رأيهم في الخطة التي يجرى عليها بعد ما طال امد الحصار ، وبعد ما امتنع القوم وراء حصونهم ؛ فعرضت اقتراحات شتى وأشار كل واحد بما اعتقد انه الافضل ، وكان الرأي الذي اتفق الحاضرون على الاخذ به وتنفيذه رأى طلحة الاسدي ، ومؤداه ان يشب المسلمون معركة في الغداة مع الفرس ثم يتظاهرون بالانكسار ويرتدون فيلحق الفرس بهم ، فيخرج عليهم فريق من العرب يكمن في الليل ويأتيهم من ورائهم فيضعهم العرب بين نارين ، وينصرف فريق منهم الى نهاوند فيحتلها ويرفع راية العرب عليها

ونفذ الجيش الخطة في الغداة فباشر القعقاع بن عمرو والقتال ، وقاد النعمان بنفسه القوة التي كنت للفرس ، وتراجع القعقاع امامهم متظاهرا بالهزيمة فبرزوا اليه كأنهم جبال وقد تعاهدوا ان لا ينفروا والقوا وراءهم حسك الحديد لتسلا ينهزموا

وما زال ينسحب حتى عرف انهم اصبحوا في داخل الكمين ، فوقف امامهم وصمد لهم ، وانقض عليهم النعمان من الورا بقواه بعد ما كبر ودعا لنفسه بالشهادة ، فكانت من اشد المعارك هولاً ، وساح الدم حتى زلقت به الدواب وزلق فرس النعمان في الدم خلال المعركة فسقط ومات ، وقيل انه قتل برمية سهم فتناول الراية نعيم بن مقرن ودفعها الى حذيفة بن اليمان ، وكتبوا خبر موت القائد لئلا تضعف القوة الادبية في الصدور واستمرت المعركة حتى الليل وانتهت بفوز العرب وتمزيق جيش الفرس ، وطاردهم العرب حتى همدان فاستولوا عليها ، واسر نعيم بن مقرن الفيرزان قائد جيش الفرس العام

فتح الفتوح

ويسمى العرب نصر نهاوند ، فتح الفتوح ، فقد ضمن لهم الاستيلاء على ايران وانالهم كنوز كسرى وتحفه

بشمري الفتح في المدينة

ولما تم الفتح خرج طريف بن سهم اخو بني ربيعة الى المدينة يحمل بشمري الانتصار ، وكان عمر على عادته يتنسم الاخبار ويسال الركبان ، فلما جاءه وبشره بالفتح سر؛ وبكى ، حينما نعى اليه النعمان حتى اخضلت لحيته وترحم عليه . ثم قام الى المنبر فبشر المسلمين بما آتاهم الله من نصر

مضوع اهل الجبال

ولما تم فتح نهاوند خضعت همدان والمناطق المجاورة لها وقدمت الطاعة وقبلت ان تدفع الجزية فكتب حذيفة - وقد حل محل النعمان في القيادة العامة - العهد الآتي الى اهل ماه دينار (الدينور) وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى حذيفة بن اليمان اهل ماه دينار ، اعطاهم الامان على انفسهم
واموالهم وارضيتهم ، لا يغيرون عن ملة ، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنعة
ما ادوا الجزية في كل سنة الى من وليهم من الساميين على كل حالم في ماله ونفسه على
قدر طاقته ، وما ارشدوا ابن السبيل واصلحوا الطرق ، وازافوا جنود الساميين من
مر بهم فأوى اليهم يوما وليلة ونصحوا ، فما غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة
شهد القعقاع بن عمرو ونعيم بن مقرن وكتب في المحرم سنة ١٩ »

فتح ايرانه

كانت معركة نهاوند - وكان العرب يسمونها فتح الفتوح - خاتمة الاعمال العسكرية العربية الكبرى في ايران وكما فتحت معركة القادسية لهم الطريق الى المداين وجعلتهم يسيطرون على شطر الامبراطورية الفارسية الغربية ، فقد فتحت لهم معركة نهاوند الطريق الى نصفها الشرقى وسهلت لهم سبل الاستيلاء عليها واستصفائها واستقر الجيش العربي في نهاوند بعد افتتاحها واتخذها قاعدة له في الدور الجديد ، وارسل قواه فحاصرت همدان وفتحتها كما فتحت ماه دينار (الدينور) وقد فتحها ابو موسى الاشعري

واصدر عمر بن الخطاب التعليمات من المدينة الى قواده في البصرة والكوفة بمتابعة الاعمال العسكرية في ايران والقضاء على سلطة الحكومة الامبراطورية لانه تحقق ان لا استقرار في ايران مادام يزدجرد فيها ، يثير الناس على العرب ويعريهم بهم ويؤلبهم على قتالهم . ولا بد لنا من الاعتراف بان هذا الملك بذل الجهد وما فوقه لانقاذ بلاده ، والدفاع عن قومه ؛ ولئن خانه الحظ وسقط صريعا في نهاية المعركة وخسر حياته كما خسر تاجه فالذنب ليس ذنبه ، وانما هي النواميس الطبيعية والاجتماعية قضت بما تم . والبقاء للافضل والاصح في هذا الوجود . وبذل الشعب الفارسي نفسه كما بذل الامبراطور ولم يحجم عن النضال وقاتل على كل شبر ارضا تقريبا من بلاده ، واستسلم اخيرا للاقدار وخضع للفاتحين

خطط العرب العسكرية في هذه المرحلة

ويلاحظ للباحث في خطط العرب العسكرية في المرحلة الجديدة انهم زحفوا على ايران من ثلاث جهات :

١ - من الجنوب وقد باشر الاعمال العسكرية في هذه المنطقة جيش البصرة ، فتقدم من الاهواز واصطخر لفتح جنوبي ايران

٢ - من الوسط وقد باشر الاعمال العسكرية في هذه المنطقة جيش الكوفة اي جيش نهاوند ووجهته خراسان

٣ - من الشمال وقد تولى العمل فيها جيش الكوفة ايضا وكانت وجهته اذربيجان والايغال في الزحف حتى ارمينية والقوقاس

وتقلد قيادة جيش الجنوب عبد الله بن عبد الله بن عتبان فسار من البصرة حتى اصبهان فاحتلها وصالح اهلها على الجزية وشهد ابو موسى الاشعري (قائد جيش البصرة) هذا الفتح وتقلد نعيم بن مقرن قيادة جيش الوسط (نهاوند) فسار حتى خراسان وفتح في طريقه قزوين

وتقلد قيادة جيش الشمال عتبة بن فرقد وبكر بن عبد الله وقد مشى اليها كل منهما من ناحية فسار الاول من الموصل وسلك طريق اربيل - راوندوز - رايات الخالي ، وهو ايضا من طرق المواصل الكبرى ويبلغ طوله نحو ٢٦٨ ميلا ويتألف من المنطقتين الآتيتين :

١ - الموصل - اربيل والمسافة بينهما ٦٦ ميلا

٢ - اربيل - راوندوز - صاوجيولاق - تبريز (عاصمة اذربيجان) ومسافته

١٩٢ ميلا

ومشى الثاني من حلوان (منطقة قصر شيرين) الحاضرة قاصدا اذربيجان فسار الى الجنوب الشرقي حتى منطقة السليمانية فحلبجة فكرممشاه ومنها اتجه الى اذربيجان موعلا في قلب ايران ولقي هذان الجيشان مقاومة شديدة فأمر عمر نعيم بن

مقرن ان ينجدهما بسماك بن خرشة الانصارى فلاحق بهما وتم لهم فتح اذريجان
وكتب لهم عمر كتاب الصلح

وانشرت جيوش العرب فى كل ناحية من ايران تفتح وتخضع حتى بلغت بحر
الخرزر شمالا وحدود افغانستان شرقا وظلت تطارد يزدجرد وقواه حتى وصل الى بلخ
ومات شريدا بعد ذلك سنة ٣٠ فى خلافة عثمان قتله رجال ماهوية حاكم خراسان كما
يقول مؤلف الشاهنامه فى مرو ورموا بجثته فى النهر (نهر جيحون) وكان ذلك
خاتمة امره كما كان فيه انقراض الدولة الساسانية وافول نجمها

وقوف هركه الفتح الاسلامى

ووقفت جيوش العرب الزاحفة فى خراسان وكان يقودها الاحنف بن قيس
عند نهر جيحون وهو الحد الفاصل بين ايران وافغانستان كما وقفت فى الشمال عند
جبال قفقاسيا ، وكان ذلك فى سنة ٢٢ للهجرة ، وابتى عمر ان يأذن لقواده بعبور
نهر جيحون والزحف على بلاد الترك والافغان ومنازلة الارمن وكانت لهؤلاء دولة فى
الشمال وكان العرب بلغوا تفليس واحتلوها وامرهم بان يلزموا البلاد التى فتحوها
ويعنوا بتنظيم امورها ، وغزيت غزوات وفتحت فتوحات فى عهد عثمان بن عفان
سنعود الى تفصيلها فى مكانها

تَاخِيصٌ وَتَعْلِيْقٌ



[Faint, illegible handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.]



ارخنا في هذا الجزء خمس حوادث من تاريخ الاسلام السياسى وهى :

١ - نشأة الدولة الاسلامية

٢ - فتح الحجاز وجزيرة العرب

٣ - مشكاة اليهود

٤ - حرب الردة

٥ - فتح العراق وايران

وعملا بالطريقة التى سرنا عليها فى تدوين كتاب الثورة العربية الكبرى نريد ان نلخص هنا بايجاز تاريخ هذه الحوادث ونعلق على كل واحدة منها ونبدى ملاحظات قد يساعد ايرادها على فهم كثير من حقائق تاريخنا ويميط اللثام عن بعض خفاياها فنقول :

١ - نشأة الدولة الاسلامية

لم تنشأ الدولة الاسلامية العربية ، طبقا للاساليب التى تنشأ بها الدول فى عصرنا ، ويعنى علم الحقوق الاساسية بدرس تحولها وتطورها ، ونظمها واوضاعها ، ولم تتكون كما تكونت ، وربما كان هذا التباين فى النشأة بين الدولة العربية الاسلامية الأولى - وقد ولدت من ١٣٥٤ سنة - وبين دول العصر الحاضر ، هه مصدر ما بين الباحثين من خلاف على حقيقة وجودها السياسى ، فمنهم من ينكرها وهم اقلون . اما الاكثرية فتؤمن بقيامها وتقول بوجودها

والطرق المتبعة فى انشاء الدول وتكوينها مختلفة متباينة فى عصرنا الحاضر فاما أن تجتمع هيئة قانونية سياسية ، تمثل امة من الامم ، فتعلن استقلال الامة التى تمثلها وتأسيسها دولة تذكر اسمها واسم عاصمتها ، ثم تبلغ ذلك الى الدول فتعترف بها رسميا وتنشئ علاقات سياسية معها . واما ان تغير حكومة من الحكومات على قطر من الاقطار فتقتطعه من جسم الدولة التى كان خاضعا لها ثم تمنحه الحرية والاستقلال

فينشئ دولة خاصة به ويبلغ الدول خبر ظهورها فتعترف بها ، وقد حدث هذا في خلال الحرب العظمى وفي ختامها ، فقد اعترفت دول الحلفاء بدول جديدة ظهرت في اثناء تلك الحرب وهى دولة بولندا وتشكوسلوفاكيا والمجر وغيرها ، ويمكن القول بان معظم الدول الحديثة التى نشأت بعد الحرب العظمى سنة ١٩١٨ تكونت على هذا المنوال . واما ان يثور شعب على حكومة تحكمه ويحاربها وينفصل عنها فتعترف باستقلاله مرغمة كما فعل الحجاز في ابان الحرب العظمى

وهناك ايضا طرق واساليب اخرى في نشأة الدول وتكوينها يعرفها من درس القانون الدولى وعلم الحقوق الاساسية وليس هنا موضع التبسط فيها

وبديهى ان الدولة الاسلامية العربية الجديدة في بلاد العرب ، لم تنشأ هذه النشأة ولم تتكون هذا التكون ، لان انشاءها لم يكن الغاية من الدعوة الاسلامية التى دعا اليها نبينا العظيم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب العربى الهاشمى صلوات الله وسلامه عليه ، فهو لم يأت لتأسيس الدول ولا لفتح الممالك ولا للبطشة فى الملك ، كما اثبتنا ذلك فى متن الكتاب ، وانما جاء مبشرا ونذيرا ومرشدا وهاديا الى الناس كافة ، لا الى عنصر من العناصر او شعب من الشعوب ، والقرآن وكتب السنة مشحونة بالآيات والاحاديث التى تؤيد هذه النظرية تأييدا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

فنشر الدين الاسلامى وتعميمه اذن هو الغرض الاصلى للحركة التى تحركها المسلمون فى ابتداء امرهم ، اما انشاء دولة خاصة بهم ، فقد جاء عرضا ولضرورة من الضرورات الاجتماعية ، ومعظم حوادث الكون هى فى الغالب وليدة هذه الضرورة مع العلم ان الدين لم ينفصل عن السياسة الا بعد النهضة الحديثة

لقد كان المسلمون فى مكة اقلية ضئيلة مجردة من كل حول وطول ، وعرضة لكل ظلم واضطهاد ، وكانت قريش تحول بينهم وبين ممارسة شعائرهم الدينية وتسعى لملهم على الارتداد عن دينهم . وغنى عن البيان ان طائفة هذا شأنها ، لاتفكر فى تأسيس الدول والحكومات ، لانها ليست ذات كيان اجتماعى مستقل ، واقصى همها

ان ترد الهجمات الموجهة اليها ، وتحفظ بكيانها فلا تذوب وتبلاشى
وتبدل الحال حينما نزل المسلمون المدينة ، فتمتعوا بقسط وافر من الحريات
واخذوا يجيرون بأرائهم ومعتقداتهم الشخصية لا يخافون عقابا ولا اضطهادا كما اخذوا
يؤدون فروضهم الدينية في مسجدهم الجديد ، ولم يتسن لهم مدة ثلاث عشرة سنة ان
ينشئوا مسجدا مثله في مكة ، وتلك هي الحرية الدينية ، وكانوا يجتمعون ويتناقشون
في الخطط التي يسيرون عليها لنشر دينهم ويعقدون العهود والمعاهدات مع القبائل
المجاورة لهم وتلك هي الحرية السياسية . ولقد اتاح اجتماع هذه الحريات وتفاعلها نشوء
حياة اجتماعية جديدة توفرت فيها الشروط والمزايا التي يشترطها علماء الاجتماع
المعاصرون في تكون الهيئات الاجتماعية وهي :

١ - وحدة المثل الاعلى

٢ - التجانس

٣ - التاريخ المشترك

٤ - اتحاد الذكريات

٥ - الاتحاد العنصرى

ولما كان لا بد لكل هيئة اجتماعية مهما كان نوعها وشكلها وغرضها من حكومة
تدير شؤونها وتنظم امورها ، وتدبر مصالحها ، وتضامن مرافقها ، بدأت الدولة الاسلامية
تظهر تدريجيا وتكونت بالفعل قبل ان تتكون بالقوة او قبل انها نشأت عمليا قبل
ان تنشأ نظريا ، وهو ما كان يحدث غالبا في تكون معظم الدول في القرون الاولى
والوسطى

لقد صار المسلمون يؤلفون الاكثرية المطلقة في المدينة وكانوا يتألفون من ثلاثة

عناصر رئيسية :

١ - المهاجرون السكيون وكان عددهم في ازدياد

٢ - الاوس

٣ - الخزرج

وكانوا جميعا يدينون بالطاعة لصاحب الرسالة الاسلامية ، وينقادون لأوامره ، ويرجعون اليه في شؤنهم الخاصة والعامة ، ويتبعون اوامره ونواهيه ، فينظر في امورهم ، ويفصل في قضاياهم وينصفهم فيطيعونه ، ويتبعون كل ما يصدره اليهم من الاوامر والتعليمات ، وتلك هي وظائف الحكومات في كل عصر ودهر : تسوس الناس وتدبرهم ، وتضرب على يد الباغي وتؤدبه ، وتقيم الاحكام وتنفذها ، وتوزع العدل وتنظمه ، وتسهر على المصالح العامة وتسيرها ، وهو ما كان النبي يباشره بالذات في عهده ، وهو ما سار عليه خلفاؤه من بعده

فالدولة الاسلامية نشأت وتكونت عمليا من اليوم الذي وصل فيه النبي الى المدينة ، وتسلم زمامها واصبح صاحب السلطان الاعلى في ربوعها ، نعم ان المسلمين لقوا في ابتداء امرهم معارضة من ابن ابى ، ومقاومة من اليهود ، ما لبثوا ان ذلوهما (المعارضة والمقاومة) وتغلبوا عليهما فتفردوا بالسيادة وبسطوا نفوذهم على شمالي الحجاز ثم اتبعوه بجنوبيه ، وكان النبي يعين عاملا (حاكما اداريا) من قبله على كل بلد يفتتحه او يدخل في الاسلام سلما كما فعل في مكة وتيما وعمان والبحرين واليمن ، وكان هؤلاء العمال يتلقون منه التعليمات مباشرة وينفذون اوامره ، وقيّمون احكام الاسلام ، وای دليل مادی یصح الاستشهاد به على ان النبي انشأ حكومة ثابتة اقوى من هذا الدليل ، ولا سيما متى ذكرنا ان القبائل في الحجاز ما كانت في حروبها وغزواتها تعنى بالاستيلاء على الاراضي ولا بافتتاح المدن ولا ببسط النفوذ ، بل كان اقصى همها السلب والنهب والحصول على المال ، ثم تعود بعد ذلك الى ديرتها الاصلية تاركة البلاد لاهلها . وقد تنزه الاسلام عن هذا وما كان المسلمون يمدون أيديهم بسوء الى القبائل التي تدخل في دينهم ، بل كانوا يرحبون بها ويدمجونها في جامعهم وهيئتهم الجديدة ، اما القبائل اليهودية التي صالحتهم بعد ما حملوا عليها فقد اکتفوا منها بالجزية طبقا لما جاء في دستورهم (القرآن)

٢ - فتح الحجاز وجزيرة العرب

ولقد اعتبرنا انتصار المسلمين في بدر - وان لم يخرجوا في الاصل ، للقاء قریش ولم يسعوا لقتالها - فاتحة الحروب التي انتهت باخضاع الحجاز ، ففي بدر ظهر المسلمون عسكريا ، وفي بدر اثبتوا انهم ذوو قوة ، وفي بدر تغلبوا على قریش وهزموها ، وكان عددها ضعف عددهم على اقل تقدير . كما كانت قواها المادية الاخرى تزيد على قواهم اضعافا مضاعفة . وبديهي ان الغنائم التي غنموها منها ، والسلاح الذي استولوا عليه ، واموال الفداء التي قبضوها ، ساعدتهم على توسيع نطاق جيشهم ، فازداد ونما فاخضعوا به الحجاز ثم جزيرة العرب ، ولكن بالسلام لا بالحرب ، فقد خافت القبائل بأس جيشهم الجديد الموحد القيادة والغاية ، وحسبت حساب نشاطه وسرعته ، فاقبلت وفودها الى المدينة تعلن دخولها في الاسلام وانتظامها في الهيئة الاجتماعية الجديدة ، فاستقبلها المسلمون بالترحاب واستعانوا بها في عملهم العظيم ، وهكذا كان عددهم ينمو بدون انقطاع ، وما دخل الاسلام قلبا وخرج منه

فطريقة «السلام المسلح» - وتسير عليها دول اوروبا في عصرنا الحاضر ، متنافسة في الاكثار من المعدات الحربية ، وبناء الاساطيل ، لاعتقادها انها انفي للحرب - هي الطريقة التي اتبعها المسلمون في فتح جزيرة العرب فقد عملوا في السنوات الاولى ، على استمالة القبائل وضمت اليهم ، وادخلها في دائرتهم ، ولما كثر عددهم وازداد سوادهم اصبحوا بطبيعة الحال يؤلفون اكبر قوة في داخل الجزيرة ، فهابتهم القبائل الاخرى والقت اليهم الزمام وجاءتهم طائفة مختارة لثلايسير واليهما او يحملوا عليها ، لانها شعرت بعجزها عن لقاءهم ومقاومتهم ، وهكذا فشا الاسلام في الجزيرة ودانت به القبائل فافادها في حاضرها ومستقبلها ، وانقذها من حالي الفوضى والجهالة ، وضمن لها الاستقرار والهدوء ، فلا تفاخر في الانساب ، ولا تعاضم بالآباء ، ولا غزوات ولا غارات ، ولا نهب ولا سلب ، فقد ابطل ذلك الاسلام والغاه ، واقام مقامه نظام حكم جديد مطابق لحالة البلاد الاجتماعية كما انشأ حكومة قوية بسطت نفوذها على بلاد العرب كلها

وارسلت عملها وموظفيها فانتشروا وسيطروا يؤيدهم جيش قوى ، جنده المسلمون كافة ، وقائده الاعلى الرسول وامراؤه الصحابة . ومعنى ذلك ان النبي لم يقتصر على نشر الدين واذاعة تعاليمه بل انشأ بالفعل دولة هذه اركانها وعناصرها :

١ - دستور مسنون كامل حاو لجميع الاحكام « القرآن »

٢ - حكومة منظمة لها ديوان « سكرتارية » وجند وشرطة نشرت نفوذها في الداخل وانشأت صلات خارجية مع بعض الدول في خارج الجزيرة واتصلت بعضها ببعض

٣ - جيش ينفذ دستورها واوامرها ، وقد كان المسلمون كافة جند هذا

الجيش

٤ - موارد مالية ثابتة (اموال الصدقات والحراج والجزية) وقد جبا المسلمون الصدقات في عصر الرسول من القبائل كما جبو الجزية من اليهود والنصارى الذين خضعوا في شمالي الحجاز وفي اليمن

٥ - شعب يطيعها وينفذ اوامرها ويلتف حولها

٦ - وطن ثابت ذو وحدة جغرافية ؛ فقد خضعت جزيرة العرب لهذه الدولة ، ولم يكن لها حتى ختام العهد النبوى ، رعايا اجانب ، بل كان رعاياها من ابناء العرب انفسهم

وخلاصة القول انه توفرت لهذه الدولة جميع العناصر التي يشترط توفرها في هذا العهد لقيام الدول وفي مقدمتها الوطن « الارض » والوحدة الجغرافية ؛ فقد قامت في بلاد عربية ؛ والوحدة العنصرية ، فقد كان جميع رعاياها من العرب اى انها منهم واليهيم ؛ والموارد المالية ، وقد ضمنها لها نظام الزكاة والصدقة والجزية ؛ ووحدة الغاية وسنستوفى البحث عن اوضاع هذه الدولة ونظمها في الكتاب الثالث واسمه « نظام الحكم في الدولة الاسلامية »

٣ - مشككة اليهود

ومشككة اليهود كانت من المشككات الخطيرة التي واجهت المسلمين في ابتداء ظهورهم ، وابتان نشأتهم ، فقد ساء النازلين منهم في المدينة وحوولها - وكانوا يؤلفون قوة كبيرة قوية في شمالي الحجاز - أن يعظم أمر المسلمين ، وان ينتشر نفوذهم ، وان ينتزعوا منهم السيادة الاقتصادية والسياسية على بلاد الشمال ، فعكفوا على مقاومتهم سرا وعلنا ، املا بان يتغلبوا عليهم ، ويقضوا على نفوذهم

ولقد دل النضال الذي دار بين المسلمين واليهود على تفكك عرى الروابط الاجتماعية بين ابناء هذا العنصر ، وعلى ان شأنهم ما كان يختلف عن شأن القبائل الاخرى القاطنة في بوادي الحجاز ، فقد انقسموا الى شيع واحزاب ضعفت بينها الروابط (الصلات) ولم يخف أمرهم على المسلمين فهاجموا قبائلهم الواحدة بعد الاخرى بادئين بالاصغر والاضعف ، فقضوا عليهم وسلبوهم ما كان لهم من نفوذ وسلطان ولذلك لم ير يهود خيبر وتيما ووادى القرى بدا من الخضوع للمسلمين حينما هاجوهم بعد ما كانوا يتمتعون بنفوذ عظيم ، وبعد ما كانوا يقولون انهم الناس ، وراى عمر بن الخطاب في عهده ان مصلحة المسلمين السياسية والاجتماعية تقضى باجلاء البقية الباقية من هؤلاء فاجلوا مع النصارى ايضا ، فلم يبق في الحجاز ، سوى الدين الجديد ، وبقيت في اليمن والعراق والشام ولا سيما في حوران وفلسطين طوائف كثيرة من النصارى واليهود اقرها الاسلام على دينها ، ولم يتعرض لها ، واكتفى منها بالجزية وكانت تسقط عن كل من يدخل في الاسلام من افرادها

وطبيعى ان الغنائم التي غنمها المسلمون من يهود الحجاز ، والاسلحة التي صادرها منهم ، والاراضى التي وضعوا يدهم عليها - وكانت لليهود زراعة نامية حول يثرب وفي خيبر وبقية المناطق التي ينزلونها ، واطم منيعة كما كانت لهم تجارة واسعة - ساعدتهم في عملهم العسكري وفي توطيد بنيان دولتهم الجديدة ، وفي نشر نفوذهم ، فهايتهم القبائل الاخرى ، وكانت تحسب حساب اليهود ، وتظن ان المسلمين

لن يقدروا على اخضاعهم والاستيلاء على ارضهم وحصونهم ، فلما صار امرهم الى مآصار اليه ، وتلاشت قواهم العسكرية والمادية كانت قريش في مقدمة من خضع للمسلمين وانقاد اليهم . وقد كان فتح مكة بعد خير ؛ وتلا ذلك خضوع قبائل نجد واليمن وحضرموت ، ومعنى ذلك أن انتصار المسلمين في خير وانجازهم امر اليهود اوقع الرعب في قلب قريش ، وكانت تنوهم ان سفينة الاسلام لن تلبث ان تتحطم حين ارتطامها بحصون اليهود فلما هاجموا خيبر وفتحوها وعادوا سالمين ، اسقط في يد قريش ولم يجد المسلمون كبير مقاومة حينما حملوا حملتهم الكبرى عليها فاستسلمت اليهم ودخلت في طاعتهم ومن تحصيل الحاصل القول بان فتح مكة زاد في نفوذ الاسلام زيادة عظيمة فهو فضلا عن فائده الادبية ، ضمن للمسلمين تأييد قوة قريش عسكريا وماليا واقتصاديا فأنحازت اليهم ، ووضعت في مواردها تحت تصرفهم ، وشدت ازر الدولة الجديدة ، وقد كان مديرها وولادة امورها من ابنائها ورجالها وشجعانها ، لانها ادركت ان عزها في عز هذه الدولة ، سيما ولم يبق ما يستوجب الخلاف والنزاع ، بعد ما ارتضت دين الاسلام ، ونبتت عبادة الاوثان ، واستقبلت حياة جديدة وعهدا جديدا كان ايمن من العهد القديم وابرک واجزل ، فقد انالها التفوق والسيادة لاعلى جنوبى الحجاز وحده - وما كان نفوذها المادى فى الجاهلية يتجاوزه - بل على الشرق كله فانقاد اليها ، وخضع لابنائها ، فحكموه وتولوا قياده مئات السنين

٤ - هرب الردة

ولئن تسنى للمسلمين حل مشكلة الخلافة بسهولة وبدون عناء وقد نشأت بسبب وفاة النبي فذلك لم يتيسر لهم فى مشكلة الردة ، والباحثون من المؤرخين متفقون على أنه كان لغزيمة ابى بكر ، وقوة ايمانه و يقينه اعظم تأثير فى احمادها والقضاء عليها ، لقد كانت فتنة الردة طعنة نجلاء وجهت الى قلب الدولة العربية الاسلامية ، وكان فوز دعائها معناه الرجوع الى نظام الجاهلية واستعادة كل قبيلة من القبائل ما تفقده من استقلال داخلى بخضوعها للدولة الجديدة ، ورجوعها الى ما كانت

عليه قبل الاسلام حيث لم يكن سلطان فوق سلطانها ولا نفوذ يعلو نفوذها
فالردة حركة سياسية وان اصطبغت بالصبغة الدينية في الظاهر وقد وصفناها في
متن الكتاب بانها ثورة رجعية يراد بها القضاء على نظام الحكم الجديد والتخلص من
الواجبات التي يقضى بها دستور الدولة الجديدة (القرآن) والعودة الى عهد الفوضى
القديم

وقد تجلت الردة في صور واشكال شتى ، ومعنى ذلك ان القبائل المرتدة لم
تكن على وفاق بينها وان كلا منها كان يعمل منفردا مما سهل للمسلمين التغلب عليها
واخضاعها ، ولولا ذلك لكانت المهمة اصعب واشق . ومما يستحق الذكر انه كان بين
ابناء القبائل التي ارتدت اناس اقاموا على التمسك بدينهم واخلصوا له وانفصلوا عن
المرتدين ولم يسبحوا في تيارهم وبينهم ابناء عمومتهم ، وهذا نادر في تاريخ القبائل ،
وقد اعتادت ان تجعل العصبية فوق كل اعتبار فيشذ ابن العم ازر ابن عمه ويخوض
المنيا تأييدا له ، وهذه احدى نتائج رسوخ عقيدة الاسلام في صدور هؤلاء الذين
شاؤا بعودهم عن الفتنة حركة دعائها بين قومهم ، وكانوا عونوا للمسلمين كما كانوا
عيونا لهم يطلعونهم على الجليل والحقير من أحوال قبائلهم

وكذلك يجب ان لا ننسى ما كان لادعاء النبوة من اثر في اذكاء نار هذه
الفتنة السياسية ، ومما يستوقف النظر بوجه خاص ، ان ثلاثة من ادعيائها هم من
اهل نجد ، وكان الرابع يمانيا وقد ظهر وقتل والنبي في قيد الحياة ، اى انه لاعلاقة
لحركته بحركة الردة ، وخاض بعض انصاره فتنها مع الخاضعين يوم قام سوقها ، ولم
يلق المسلمون كبير عناء في القضاء على حركتهم واستئصال شأفتهم

وثمة اعتبار محلي خاص ، لا نشك في انه اثر اثره في بعض قبائل نجد ، وحملها
على ان تقف من حكومة المدينة الموقف الذي وقفته ، فقد كبر عليها ان تظل خاضعة
لحكومة ابي بكر القرشية - الانصارية - المضرية - وان تؤدي اليها الزكاة ، وهي
لا ترى نفسها دونها في القوة والعصبية ولذلك لم تتردد في تأييد طليحة الاسدى ومسيامة
الخنفي ، حينما قاما يدعيان النبوة ، توهمها منها ان النبوة هي الوسيلة الوحيدة لادراك

السيطرة والنفوذ ، املا بان تنال على يد هذين الدعيين ما نالته قريش على يد محمد ابن عبد الله ، وقد جهر بذلك احد اقطاب بني حنيفة حينما صرح بانه وان كان لا يشك في كذب مسيامة وصدق محمد الا ان كذب هذا احب اليه من صدق ذلك لانه من ابناء قبيلته ؛ واستمات بنو اسد وبنو غطفان في الدفاع عن قضية طليحة ، استماتة بنى حنيفة في الدفاع عن قضية مسيامة ، ولو اتفقت قوى هؤلاء وهؤلاء وانضم اليهم بنو تميم ووجدوا القيادة ، لما تسنى لجيوش ابى بكر اخضاعهم بسهولة سيما وهي لم تتغلب عليهم وهم متفرقون الا بعد عناء عظيم ، وقد وصفنا ما لقيه خالد يوم عقرباء وكيف ان الدائرة كادت ان تدور عليه ، وقد اعترف المؤرخون الاسلاميون بانه كان بين بنى حنيفة انفسهم من ثبت على الاسلام ، وكان عوننا للمسلمين في نضالهم مع مسيامة وانصاره وما كان هؤلاء يقاتلون مع مسيامة حبا فيه ، وانما كانوا يسعون للتخلص من سلطة المدينة ، وقد ظنوا ان موت النبي مؤذن بزوالها ، فلما استخلف ابو بكر ، وظهر ان المسلمين يعززون السير على سنته ، وتنفيذ ما جاء به من احكام قاموا وثاروا يريدون نقض هذا النظام والتخلص منه ، والرجوع الى ما كانوا عليه من نظم الجاهلية والتمتع بالاستقلال الداخلى المطلق ، وتلك هي « الرجعى » السياسية ، وهذا هو معناها في الاصطلاح العصرى

فاذا قيل لنا ان هنالك قبائل ، لم تحاول الخروج على النظام كله ، وانها طلبت وضع الزكاة عنها ، اى اعفائها من دفع الضرائب ، المفروضة عليها لخزينة الدولة وان غيرها طلب وضع الصلاة ، نجيب ان اختلاف المظاهر لا يؤثر وانه لو تساهلت حكومة المدينة ، مع قبيلة من القبائل او اظهرت شيئا من الضعف والاستكانة لأطمعت الآخرين فيها ، وحملتهم على طلب المزيد ، وما كانت غايتهم الحقيقية سوى التخلص من النظام نفسه ، لأنه لا يتفق مع ما اعتادوه من استقلال ولا مع الانفة التى شبوا عليها فى احضان قبيلتهم

وجملة القول ان المسلمين لقوا عناء عظيما فى اطفاء فتنة الردة فكفهم القضاء عليها دماء غالية ، وافقدهم عددا كبيرا من رجالهم ، فعدد من قتل منهم فى معركة

عقرباء وحدها يزيد كثيرا على عدد الذين قتلوا في سبيل فتح الحجاز وبلاد العرب
الآخري ، وما ذلك الا لان بنى حنيفة استقامت في الدفاع عن قضيتها ، وكانت تقا
دون ظعنها ونساءها ومالها ، ولو كتب للحنيفيين الفوز في يوم عقرباء لو اصابوا الزحف
حتى المدينة ، ولارتفع شأن مسيلمة ، ولعظم نفوذه وتبديل تاريخ جزيرة العرب ولسار
في اتجاه غير الاتجاه الذي سار فيه

وكانت معركة عقرباء هذه خاتمة المعارك التي دارت في بلاد العرب بين انصار
النظام الجديد وبين خصومه ، فلما انجلت عن اندحار هؤلاء وفشلهم واستقرت قواعد
الدولة الجديدة وخضعت القبائل ، وقد تردد بعضها فعلا لمعرفة نتيجة النضال الدائر ،
فينضم الى الفريق الغالب وهو ما جرى فعلا في اثناء النضال بين المسامين وقريش ،
وهو ما يتكرر في جزيرة العرب حتى الآن بدون انقطاع تقريبا ، فمن دأب قبائلها
ان لا تشترك في نضال يدور بين قوتين من قواتها تتنازعان السيادة والنفوذ الا اذا
اضطرت ، لانها تأبى المعامرة وتنفر منها ، في حين انها لا تتردد في الانضمام الى الغالب
وتقديم الطاعة له ، وسيان عندها فاز هذا ام ذاك مادام كلاهما عربي وما دامت
لا تطمع بان تحوز السيادة والنفوذ لنفسها

وحدث بعد عقرباء ما حدث بعد فتح مكة ، فقدمت القبائل كلها الطاعة
والخضوع لحكومة ابي بكر ودفعت الزكاة ، واقامت احكام الدين ، ولولا ثبات ابي بكر
ومن معه من الصحابة واستبسالهم في القتال والنضال ، لما انتشر الاسلام بمثل
ما انتشر به من السرعة الزائدة ، ولما انشأ المسلمون تلك الامبراطورية العظيمة ،
ولحرمت الحضارة من الخدمات الكبرى التي اسداها لها العرب بنقلهم الحضارتين
اليونانية واللاتينية

وكانت بلاد فارس وقد وقف جيش خالد بعد انتهائه من حروب الردة وفراغه
من امر نجد على حدودها ، في مقدمة الاقطار التي اقدم المسلمون على مهاجمتها في
المرحلة الجديدة لاعتبارات عديدة ايجابية وسلبية بسطناها في متن الكتاب وسنلم
ببعضها هنا

٥ - مهاجمة الامبراطورية الفارسية

كانت هنالك عوامل عدة تغرى المسلمين بمهاجمة فارس وتدفعهم الى قتالها واقتحام حدودها بعضها سلبى وبعضها ايجابى وهى :

١ - ما بشرهم به رسولهم من انهم سيفتحون بلاد كسرى ويستولون على خزائنه وابوانه

٢ - كتابه الى كسرى بالدعوة الى الاسلام ورفض هذا قبول الدعوة ، وتمزيقه الكتاب ، وقول النبي حينما نقل اليه ذلك « مزق الله ملكه »

٣ - رغبة ولاة امور المدينة فى فتح ميدان جديد للعرب يقاتلون فيه ويكافحون بعد ما انتهى امر الجزيرة كلها وخضعت للدولة الجديدة ، فالحرب والغزو من « العادات المحلية » عند العرب

٤ - وفود بعض ابناء العراق من رعايا الامبراطورية الفارسية الى المدينة ومقابلتهم ولاة امورها وطلبهم تجهيز حملة على العراق لانقاذ العرب من سكرانه وتحريرهم ، وضمهم الى الدولة الجديدة باعتبارهم ذوى عصيتها ، فالعربى ابن عم العربى حيثما كان وانى وجد ، وذلك شعار العرب فى كل زمان ومكان

٥ - الرغبة فى امتلاك العراق ونشر الاسلام فى ربوعه ويعد من اخصب بلاد العرب ، واكثرها ثروة وغنى

ولا بد لنا بهذه المناسبة من الاعتراف بان نظام توزيع الغنائم الذى جاء به الاسلام - ويقضى بتوزيع اربعة اقسام الغنيمة او ٨٠ فى المئة على الجيش المحارب ، واستبقاء العشرين الاخرى لبيت المال (خزينة الدولة) لانفاقه على المصالح العامة - كان له كبير الاثر فى تنشيط حركة النضال وفى حمل العرب على مواصلته ، فهو فضلا عن الثواب الاخرى الذى يضمنه للمجاهدين الاحياء منهم والاموات ولا سيما الذين يسقطون صرعى فى الميدان فانه يضمن فائدة مادية لمن يظل حيا فى حالة النصر والفوز وهو سهم من الغنيمة ويناله بنسبة عادلة بعد اخراج سهم بيت المال وهو مخصص للمصالح العامة كما قلنا

ولقد نسخت الشرائع الحديثة هذا النظام فحل محله نظام التجنيد الاجباري ،
ويجعل الجندي المحارب تحت كفالة الدولة وتقدم اليه كل ما يحتاج اليه مدة وجوده
في الجيش وتساعد عائلته اذا كان له من يعوله اذا سقط صريعا في ابان الخدمة ، اما
في صدر الاسلام فما كانت الدولة مسؤولة عن حاجيات الجندي وشؤونه ، ما عدا
السلاح وكانت تقدمه لمن لا يملكه فكان هو الذي يتناع فرسه ويقدم له علفه ، وكانوا
يسهمون لاصحاب الخيل باكثر من سهم المشاة عند توزيع الغنائم ، وكان الجندي نفسه
يتدارك طعامه وشرا به وكسوته ايضا ، واشترط المسلمون حينما افتتحوا البلدان في الشام
وفلسطين ومصر على سكانها في عقود الصلح ان يقدموا لمن يمر بهم من جند المسلمين
الطعام لمدة ثلاثة ايام ، وهي مدة الضيافة المقررة عند العرب لا يسأل فيها الطارق عن
المكان الذي يقصده ، والقصد من ذلك ان تترك له فرصة يستريح فيها من عناء
السفر ويطلع على ما هو في حاجة الى الاطلاع عليه من شؤون القطر الذي يزوره ،
ويقف على المعلومات التي يحتاج اليها ، فيسير على هدى بعد انقضاء مدة الضيافة ويدبر
نفسه بنفسه من دون تعب ولا نصب . على ان نظام التجنيد عند المسلمين طرأ عليه
تحول كبير في عهد عمر بن الخطاب واصبح من المصالح الكبرى التي يعنون بها
ويسهرون على تنظيمها ، وسنفضل أخباره في الكتاب الثالث حين الكلام على نظام
الحكم في عهد الخلفاء الراشدين

ولقد اصاب ابو بكر في غزو العراق اغراضا شتى فحقق للمسلمين
ما بشرهم به نبينهم من امتلاك ايوان كسرى كما نشر الدين الاسلامي في تلك
البلدان الغنية العظيمة واوجد مورد رزق لسكان الجزيرة ، وقد اثرت فيهم
حروب الردة والغزوات المتتالية التي غزاها المسلمون في خلال عشر سنوات
ودر عليهم ارباحا طائلة فتدفقت انهار الثروة في المدينة وعاش الناس مترفين
منعمين ، يؤيد ذلك ما نشرناه في سيرة سعد بن ابى وقاص فقد ترك يوم توفي ثروة
قدرت بربع مليون درهم ، وهو مبلغ عظيم ، لا نظن ان عربيا امتلك مثله في
الحجاز قبل الاسلام وما كانت ثروة الموسر الواحد من بني مخزوم وكان يضرب بهم

المثل في الأثراء في مكة تزيد عن ٦٠ الف درهم واذا قيل لنا ان سعدا جمع هذه الثروة لانه كان قائدا من كبار القواد نقول ان هنالك آخرين اثروا ايضا كالزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف والنسبة محفوظة بين القواد والجنود في كل حال . وهي تدل على نمو الثروة بعد غزو العراق والشام

تلك هي الاسباب الايجابية التي دفعت المسلمين الى غزو العراق وبعثهم على مهاجمة امبراطورية كانت تعد من اعظم الامبراطوريات في عصرها وكانت تنافس الامبراطورية الرومية وكانت باتفاق الآراء اعظم امبراطورية عرفها التاريخ القديم وتجاذبها حبل المجد والفخر ، ولطالما اكتسح جندها بلاد الروم ولطالما دوحوهم وهددوا عاصمتهم ، ومعنى ذلك ان قوى الفرس العسكرية كانت عظيمة ، وكل نسبة مفقودة بين قوتهم وبين قوى العرب التي هاجتهم في الشرق وانشبت اظفرها في جسم دولتهم وما زالت بها حتى قوضت بنيانها ودكت اركانها وورثت ارضها وديارها والمملك لله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم

وبين الباحثين من العلماء خلاف في تعليل الاسباب المادية التي ضمنت النصر والتفوق للمسلمين ومكنتهم من اخضاع فارس وانزاع ملك الاكسرة ، ويورد كل واحد منهم اسبابا وعللا يعتقد انها لا سواها هي التي عجلت في فوز خالد والمثنى وسعد والنعمان والاحنف . ويتحجى كل واحد من هؤلاء (الباحثين) ناحية خاصة يعكف على دراستها ، فيتمسك بعضهم بالعامل الاقتصادي ، ويجعله السبب المباشر في غزو العرب للعراق وفي انهزام الفرس ، ويتمسك آخرون بالعامل الاجتماعي ، ويرون ان ماغشى فارس في الفترة التي تقدمت ظهور الاسلام من غواش وما تسرب اليها من فساد واضطراب ، تتج عن انتشار الاحاد والاباحية ساعد على سقوط هذه الامبراطورية تحت سنابك خيل العرب

ويقول آخرون انه كان للإضطرابات السياسية الداخلية وقد نمت وكثرت في تلك الفترة فتعدد سقوط الملوك وقيامهم وازدادت المؤامرات والدسائس اثر كبير في اضعاف الدولة وتسرب الحلل اليها وانفضاض القلوب من حولها ، وملاشاة

تفوذها ، سيما وقد سبق الغزو العربي غزورومي فقد بلغ هرقليوس المداين بجيوشه واحتلها بعد ماهزم الجيش الفارسي وشتت قواه وأملى على الفرس شروط الصلح الذي ارادها فانصاعوا مضطرين وبديهي ان هذا الانكسار المريع انهك قوى الفرس ، فلم تستطع ثباتا امام المساميين الذين تدفقوا من غربي جزيرتهم يحملون ديننا جديدا ، وتعاليم جديدة ويسرون تحت قيادة جمعت شملهم ووحدت صفوفهم وانشأت منهم امة جديدة تطمح الى المجد وتطمع في امتلاك العالم واخضاعه

ولقد مرت المعارك التي دارت بين المساميين والفرس في خمسة ادوار :

١ - الدور الاول وهو دور الحروب غير النظامية وقد امتد سنة واحدة تقريبا وكان بطل هذا الدور خالد بن الوليد فقد اكتسح جنوبي العراق وفاز على الفرس فوزا ميينا وهزمهم في المعارك التي دارت بينه وبينهم وظل يتقدم حتى الانبار (الفلوجة) وانتهى هذا الدور بالاستيلاء على الحيرة قاعدة المناذرة

واشتدت الحروب في ميدان الشام ، وحشد الروم قوة كبيرة للمساميين ، فأرسلت القيادة العامة من المدينة امرا الى خالد بن يقصد الشام بنصف جيشه ويترك النصف الآخر بقيادة المثني بن حارثة الشيباني ، لنجدة الجيش المحارب هنالك ، فسار على الفور وقاد العرب في المعركة الفاصلة وكان قدومه من العوامل التي ضمننت الفوز لهم فانتصروا على الروم وانتزعوا منهم الشام وفلسطين ومصر وما زالوا يطاردونهم حتى جبال طوروس

وجلا العرب بعد سفر خالد عن الاماكن التي فتحوها ورابطوا على حدود الصحراء لان القوى التي بقيت في هذا الميدان لم تعد تكفي لصد الفرس والتغلب عليهم . واخذوا يحاربون حرب عصابات اى حربا غير نظامية ، مكتفين بشن الغارات على مراكز اعدائهم وازعاجهم من دون ان يشتبكوا معهم في معركة فاصلة ، لعدم تكافؤ القوى . على ان الحال تحول قليلا بعد وصول ابي عبيد وقد غلبه الفرس وهزموه . فلم ير الخليفة بدا من مواصلة الحرب في هذا الميدان ، على منوال جديد ، وكانت معركة اليرموك قد انتهت بانتصار المساميين وفوزهم ، فأعد جيشا جديدا في

المدينة اختار لقيادته سعد بن ابي وقاص من اقطاب المهاجرين وكان عاملا على هوازن
(عتيبة) فاستقدمه وسيره الى فارس فكان ذلك مستهل الدور الثاني وقد ابتداء بنصر
القادسية وانتهى بفتح المدائن

ولا بد لنا من التنويه بالاعمال الجليلة التي عملها المثني بن حارثة الشيباني في
الدور الاول فقد ابلى احسن بلاء وكان من كبار العاملين على تحرير العراق وبسط
نفوذ العرب عليه

ويرى بعض المؤرخين ، ان المثني هذا وهو من بكر بن وائل اى من عرب
العراق هو اول من اهاب بالمسلمين الى مناجزة فارس ، فقد دأب هو وقومه على
مهاجمة اطراف العراق فسمع به ابو بكر فاستقدمه اليه فلما قابله اقترح عليه ان يوليه
غزو فارس ، وسهل امرهم عنده ورغبه في حربهم ، فكتب له عهدا بذلك فعاد
الى مناطق الحدود وباشر العمل : ولما انتهت حروب الردة وتم النصر لخالد ، امره
ابو بكر ان يسير الى العراق بجيشه وان يكون على صلة بالمثني ، كما سير عياض بن غنم
بطريق الجوف لمهاجمة شمالى العراق فيكون الزحف من الجانبين « الشمال والجنوب » ،
وحالت حوائل عسكرية دون تقدم عياض ، فادركه خالد وانقذه واتحد الجيشان
فى العمل وانضمت اليهما قوة المثني ففعلوا الاعاجيب ، وحل المثني محل خالد حينما رحل
الى الشام ومات متأثرا بجراحه قبل افتتاح الدور الثانى تاركا وصية لسعد عمل بها .
وكان من القواد المبرزين فى الفنون الحربية كما كان من اشجع الشجعان ويجعله
بعضهم وخالد بن الوليد فى درجة واحدة

وكان الدور الثانى اقصر من الاول ، فقد حارب المسلمون الفرس حربا نظامية
وجاءوهم بقوى كبيرة ونازلوهم فى القادسية فى معركة ميدان كبيرة ختمت بانتصارهم
وقتل قائد الفرس الاكبر ، ولم يطل سعد الاقامة هنا بل واصل تقدمه الى المدائن
فدخلها واجلى الفرس عنها

ولقد بحثنا فى كل ماوقع بأيدينا من كتب العرب والفرنجة لمعرفة اليوم
والشهر الذى وقعت فيه معركة القادسية فلم نجد من عنى بتحديدتها او ذكر اسم الشهر

الذى دارت فيه كما ان كل واحد منهم ذكر السنة خلاف ما ذكرها غيره ، فبعضهم يرى انها كانت فى سنة ١٣ وآخرون فى ١٤ وغيرهم فى ١٥ و ١٦ و ١٧ ويرى طه الهاشمى وهو آخر من كتب فى هذا الباب انها كانت فى شهر اكتوبر « تشرين الاول » سنة ٦٣٥ وهو يوافق شهر شعبان سنة ١٥

والذى ترجحه ان القادسية كانت فى شهر شعبان سنة ١٤ . وهذه هى الاعتبارات التى نستند اليها فى هذا الترجيح :

١ - مات ابو بكر فى شهر جمادى الاولى سنة ١٣ والمعارك دائرة فى ميدان الشام فأوصى خليفته بان يعنى بفتح فارس وان يرسل اليها القوى فورا وان يعيد من بالشام من جند العراق اليه لانهم ادرى به فنفذ هذا وصيته وارسل النجدات كما اصدر امرا بارجاع هذا الجيش فعاد بعد ما اشترك فى فتح دمشق وقد فتحت بعد اليرموك بستة اشهر كما سيأتى معنا فى الكتاب الثانى

٢ - ما أجمع عليه المؤرخون الثقات وهو ان معركة اليرموك دارت فى شهر رجب سنة ١٣ الموافق لشهر سبتمبر « ايلول » سنة ٦٣٤ اى قبل القادسية بثلاثة عشر شهرا

٣ - ما اجمع عليه المؤرخون الثقات وهو ان جيش العراق العائد من الشام وصل والمعركة دائرة فاشترك فيها وكان اشتركا من العوامل التى ضمنى الفوز للمسلمين

ولا ريب ان المدة المنقضية بين اليرموك والقادسية وهى ١٣ شهرا (رجب سنة ١٣ - شعبان سنة ١٤) كافية لوصول اوامر عمر الى ابى عبيدة بارسال هذا الجيش وسفره و وصوله . اما لو اعتبرنا ان المعركة دارت فى شهر شعبان سنة ١٥ فلا يبقى هنالك وجه للقول بوصول هذا الجند حين المعركة اذ لا يعقل ان يتأخر سنتين فى الطريق . كما انه لا يبقى هنالك وجه لتسمية يوم القادسية الثالث باغواث والمجمع عليه انهم وضعوا له هذا الاسم لوصول « الغوث » اى المدد من الشام والمقصود بذلك الجيش الذى اشترك فى اليرموك

٤ - لان الروايات التى سردناها فى متن الكتاب عن شدة اهتمام عمر بقتال

الفرس وعقده الاجتماعات واختياره سعدا لمنصب القيادة لا تجعل مجالا للشك في ان المعركة دارت في المدة التي ذكرناها وبينها وبين ارتقائه منصب الخلافة ١٦ شهرا وهي مدة كافية لحشد الجيوش ووصول القوى ، مع تسليمنا بما يروونه وهو ان سعدا قضى ٤ اشهر بعد وصوله الى القادسية يعد معدات القتال لمدة ١٢ شهرا وقد انقضت بين بدء خلافة عمر وبين وصول سعدا الى القادسية مدة كافية لاستقدام سعدا وكان على صدقات هوازن (اى في منطقة الطائف وهوازن هذه هي نفس قبيلة عتيبة وتنزل في منازلها القديمة بين الحجاز ونجد)

٥ - لان المسافة بين المدينة والقادسية غير بعيدة كما هو الحال في الميادين الاخرى كميدان الشام وفلسطين ومصر فلا يزيد عن ٨٠٠ كيلو متر تقطع عادة في ٢٠ يوما . ولا ريب ان قرب المسافة من جهة وسهولة الاتصال من جهة تساعد على الاسراع في حشد القوى وتؤيد مذهبنا اليه

٦ - ما اجمع عليه المؤرخون وهو ان عتبه بن غزوان انشأ البصرة في سنة ١٥ ولم تنشأ الا بعد القادسية وفوق كل ذي علم عليم

ولقد كانت معركة القادسية خاتمة دور عسكري حافل امتد سنتين وخمسة أشهر . فقد ابتداء بزحف خالد على جنوبي العراق في شهر جمادى الاول سنة ١٢ اى بعد معركة عقرباء بشهرين وانتهى بوصول سعدا الى المداين (عاصمة الامبراطورية) في شهر شوال سنة ١٤ وافتتاحها وانتزاع شطر الامبراطورية الغربي من ايدي اصحابها وابتداء الدور الثالث بزحف العرب شرقا الى جالولاء (قزلباط) . ويلوح لنا ان هذا الزحف كان في السنة الخامسة عشرة اى بعد القادسية بسنة فقد كانت المعركة التي دارت في هذه المنطقة من المعارك الخطيرة وساعد العرب انتصارهم فيها على توطيد اقدامهم في المداين وفي جنوبي العراق ، كما ساعدتهم على فتح شماله ، وعلى توطيد نفوذهم في شرقي جبال حميرين ، واتخذها الفرس قاعدة لعملياتهم العسكرية في هذه المرحلة ، وختم هذا الدور بمعركة نهاوند الكبرى (فتح الفتوح) فقد مزق العرب هنا كل ما بقى للفرس من قوى عسكرية ، واستولوا على منطقة جبلية حصينة ، كان قادة

الفرس يعتقدون ان العرب سيقفون امامها عاجزين لانهم ما كانوا تمزقوا حتى ذلك الوقت على حروب الجبال والمرابطة حول الاسوار والخنناق ، وسهل انتصار نهاوند للعرب الاستيلاء على نصف الامبراطورية الشرقية وجعلهم يسيطرون عليه ، كما اضعف القوى الادبية في صدور الفرس فنجح اكثرهم الى التسليم والدور الرابع هو دور الاعمال العسكرية الختامية وقد اوغل فيه العرب وانبشوا في انحاء فارس كلها واستولوا عليها قطرا بعد قطر ومقاطعة بعد مقاطعة، وظلوا يتقدمون حتى بلغوا نهر جيحون شرقا وبحر الخزر شمالا وقضوا على الامبراطورية وابدوها

انكسار امبراطورية الفرس وما استغرقه

لقد استغرق فتح الامبراطورية الفارسية ١٣ سنة تقريبا اكتسحها المسلمون من اقصاها الى اقصاها وتغلبوا على الفرس وقد قاتلوا على كل شبر من اراضيهم تقريبا وظلوا يطاردونهم من نهر الفرات حتى نهر جيحون - وهو الحد الفاصل بين بلاد ايران الحاضرة و بين افغانستان وكان كذلك في العهد القديم - فوقفوا عنده ، حتى استؤنفت الأعمال العسكرية في العهد الاموي فاجتازوا النهر واحتلوا ما وراءه ونشروا الاسلام في آسيا الوسطى

ونرى من الواجب ان نذكر ان نضال العرب لم يكن قاصرا على هذا الميدان وحده فقد كانوا ينازلون الروم في الشام وفلسطين ومصر وطرابلس الغرب وتونس وكيليكية في نفس الوقت الذي كانوا يحاربون فيه الفرس ، اى انهم كانوا يخوضون الحرب مع الروم والفرس في وقت واحد وينازلونهم هنا وهناك ، ولعل هذا هو السر في طول زمن النضال في الميدانين ، ولو تفرغ المسلمون لاحدى الدولتين صبوا قواهم عليها لما قاومتهم كل هذه المدة الطويلة ، ولقصر امد الحرب

كفاءة القيادة العامة

ولا يسع الباحث الا ان يذكر بالثناء ما اظهرته القيادة العامة للعرب في المدينة

من كفاءة زائدة في ادارة الاعمال العسكرية الباهرة التي عملت في هذين الميدانين ، فقد كانت تديرها بمهارة وكانت ترسم الخطط للقواد وتمدهم بالنجيدات عند الحاجة وترقب اخبارهم ، ولعل ذلك كان من جملة العوامل التي ضمنت لهم التفوق والانتصار على جيشين عظيمين كانا من اعظم الجيوش في عصرهما . ومن تحصيل الحاصل القول بان التاريخ العسكرى لم يسجل منذ بدأ الناس بتدوينه ، اخبار نصر يضاوى بعظمته النصر الذى ادركه العرب على الروم والفرس ، وسيظل معنا لا ينضب للمستغلين بالعلوم التاريخية والعسكرية يجدون فيه مادة غزيرة للبحث والدرس

اعمال العرب فى ربيع قرنه

لقد تم للعرب فى مدة لا تزيد عن ربيع قرن ما لم يتم لغيرهم من الامم التي عرفها التاريخ سواء من تأخر عنهم ومن تقدم فقد عملوا فى هذه الفترة الصغيرة الاعمال الآتية :

- ١ - جاءوا بشريعة من اعظم الشرائع التي عرفها التاريخ واكملها واتقنها
- ٢ - انشأوا دولة لا عهد للعرب بمثلها فى تاريخهم : فتحت الجزيرة وحاربت الروم فى الشمال وانتزعت منهم نحو نصف ممتلكاتهم فى آسيا وافريقية ، وحاربت الفرس ودكت دولتهم وورثتها
- ٣ - انشأوا حكومة تدرجت تدرجا طبيعيا ، فبعد ما كانت فى اول الامر تتألف من رئيس وسكرتيرين وعمال اصبحت بعد انقضاء سنوات على تأسيسها تملك دواوين ومصالح وصارت ذات نظام ثابت راسخ
- ٤ - انشأوا جيشا قويا منظما قهروا به الفرس والروم ، واستولوا على معظم الاجزاء المعروفة من العالم المتمدن فى ذلك الوقت ، ووضعوا لهذا الجيش انظما جديدة يسير عليها فى تعبته وسوقه وقيادته
- ٥ - انشأوا هيئة اجتماعية جديدة متضامنة متماسكة بعدما كانوا قبائل يقاتل بعضها بعضا ، وبعدها كان الجار يفتك بجاره والاخ يفتك باخيه

٦ - قضوا على تقاليد الجاهلية وعاداتها فلا تفاخر بالآباء ولا تنابز باللقاب ، بل السكل سواء امام الشرع والقانون

٧ - نشروا الامن في انحاء جزيرة العرب وفي البلاد التي خضعت لهم ، ووزعوا العدل ، وضمنوا المساواة ، ومنعوا الاعتداءات فانقاد الناس اليهم واقبلوا عليهم ، ورأوا فيهم محررين ينقذونهم من ظلم الحكومات التي كانت تسيطر عليهم وتديقهم الوان النكال والعذاب

الفننة الراهلية ومركبة الفتح

هذا بعض مايرد على ذهن الباحث وهو يحاول تلخيص الاعمال التي عملها العرب في خلال ربع قرن لانتشار الاسلام بينهم وظهور دولتهم الجديدة في المدينة اى منذ وصول النبي مهاسجرا اليها حتى ابتداء عهد عثمان بن عفان الخليفة الثالث ، فقد اوقفت الاضطرابات الداخلية التي ظهرت في اواخر عهده حركة الفتح وعطلتها تعطيلاً مؤقتاً لاشتغال قواد الجيش بها ، واشترك بعضهم فيها ، على انها ما لبثت ان عادت في العهد الاموى الى ما كانت عليه ، حينما استقرت قواعد الدولة الاموية الجديدة فافتتح المسلمون المغرب الاقصى ودخلوا الاندلس واستولوا على اسبانيا وواصلوا تقدمهم في اواسط آسيا فاستولوا على افغانستان وتركستان واوغلاوا في الشرق حتى اخضعوا معظم ممالكه ، كما بلغوا اسوار القسطنطينية في زحفهم من سورية وأنشأوا اسطولا كبيرا ساد البحر الابيض وسيطر عليه

هروب الاسلام والامبراطورية الرومية

وقد خصصنا الكتاب الثانى للكلام عن حروب الاسلام والامبراطورية الرومية (الرومانية) فاستوفينا البحث عن فتح الشام ومصر وطرابلس الغرب وتونس واوردنا معلومات قيمة طريفة عن حالة تلك البلاد الاجتماعية والسياسية حين مهاجمة العرب لها وعن قوة الدولة الرومية ونظامها السياسى والعسكرى وعن حصونها ومعداتها على منوال جديد

نظام الحكم في دولة الخلفاء الراشدين

وخصصنا الكتاب الثالث للبحث عن نظام الحكم في دولة الخلفاء الراشدين وعن تحوله وأوضاعه وعن الفتنة الداخلية وأسبابها وعواملها ، وتبسطنا في الكلام عن التنافس بين الأمويين والهاشميين في الجاهلية والإسلام معتمدين في ذلك على أوثق المصادر من عربية وأوربية متجردين عن كل اعتبار حزبي ، وغير راغبين إلا في خدمة التاريخ العربي الإسلامي خدمة خالصة ، لاعتقادنا أن عهد التشيع والتحزب قد انقضى وأنه يجدر بالعرب والمسلمين أن يتدبروا تاريخهم ويستوعبوه فقد يث فيهم روحا ثقيل عثارهم وتعيد عصر مفاخرهم

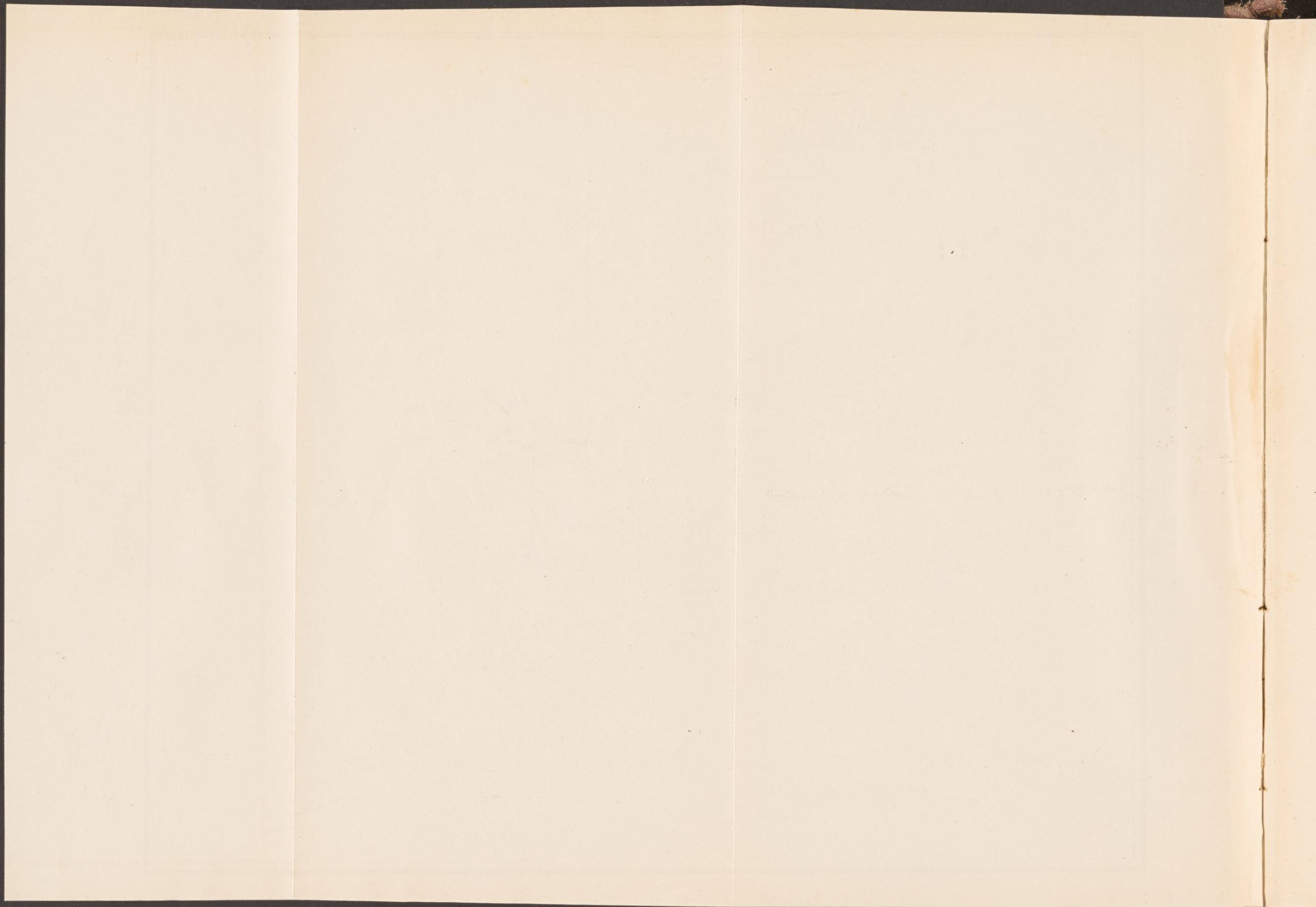
الدولة الأموية

والكتاب الرابع خاص بالدولة الأموية وأعمالها العسكرية ، وفتوحاتها في الشرق والغرب واستيلائها على الأندلس وغرب أوروبا والكتاب الخامس خاص بالكلام على نظام الحكم وتحوله في العهد الأموي وعن الاضطرابات الداخلية وعن العوامل التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية . وسنواصل إصدار الكتب حتى نصل إلى عهدنا الحاضر إن شاء الله فتم ما شرعنا فيه من تدوين هذا التاريخ ، ومنه سبحانه وتعالى نستمد العون والتوفيق

القاهرة في ١٥ رمضان المبارك سنة ١٣٥٣ و ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٣٤

إيضاح

ذكرنا في الصفحة الثانية أن الوهابيين هدموا القبة التي أقيمت فوق المكان الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم ولم نذكر السبب الذي بعثهم على هدمها ، وهو رغبتهم في القضاء على بدعة زيارتها وقد فشت كثيرا



تَقْوِيمُ الْكُتَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

	ص
نظام الحكم في الحجاز قبل الاسلام	١
معنى الدعوة الاسلامية	٥
المقاطع الاقتصادية والاجتماعية	٧
التجاء النبي الى الطائف	٨
دعوته في المواسم واتصاله بالاوس والخزرج	٩
الاوس والخزرج	١١
اصل الاوس والخزرج ، عدد نفوسهما	١٢
قريش تأتمر بالنبي وتقرر اغتياله	١٥
الهجرة	١٨
في طريق المدينة	٢٠
رواية البخارى لحديث الهجرة	٢١
الطريق الذى سلكاه	٢١
اول مسجد في الاسلام	٢٢
اول جمعة في الاسلام	٢٢
بيان الدولة الجديدة	٢٥
اتحاد الاوس والخزرج	٣٠
الاخاء بين المهاجرين والانصار	٣٠
اليهود في شمالي الحجاز	٣١
بين المسلمين واليهود	٣٥
تأثير العوامل الاقتصادية في هذا النزاع	٢٦
قريش	٣٨

	ص
النضال بين المساميين وقريش	٤١
سرايا المساميين وبعوثهم العسكرية : سرية حمزة - سرية عبيدة بن الحارث وسرية سعد بن ابي وقاص ، وغزوة الابواء ، واول مخالفة مع قبيلة في الشمال والمخالفة الثالثة ، وغزوة بواط ، وغزوة سفوان أو بدر الاولى وغزوة العشيرة وسرية عبد الله بن جحش الاسدي	
غزوة بدر الكبرى	٤٨
فتح الحجاز	٥٥
معلومات جغرافية عامة عن الحجاز	٥٧
صدي انتصار بدر	٥٨
الأعمال العسكرية في شرقي المدينة	٦٣
اول اصطدام بين المساميين واليهود - جلاء بني قينقاع	٦٥
قريش تطالب بشأرها - ابو سفيان يستطلع حالة المدينة ويعمل لاستمالة اليهود ومحالفتهم	٧٢
غزوة غطفان	٧٥
غزوة احد	٧٧
جبل احد - وصفه ، الشقاق في جيش المساميين ، اليهود والدفاع عن المدينة ، تعبئة الجيش ، المعركة ، عوامل فشل المساميين	٧٩
اجلاء بني النضير ، بعث عاصم بن ثابت ، بعث بئر معونة ، انذار بني النضير ، اليهود يرفضون الانذار . المسلمون يحاصرونهم	٨٨
العودة الى نجد	٩٤
الحنديق وقریظة - عناصر الاتحاد الجديد - قوات جيش الاحلاف - تداير المساميين وقواتهم - مقابلة بين القوتين - اشتراك بني قريظة في القتال - التذرع بالاساليب السياسية - ثورة الطبيعة - استئصال بني قريظة - خسارة المساميين	٩٦

ص

- ١٠٩ بعد الخندق
- ١١٣ الأعمال العسكرية في شمالي المدينة
- ١١٥ صلح الحديبية - قريش تعترف بالدولة الاسلامية
- ١٢١ التبشير بالاسلام في خارج الجزيرة - كتب النبي الى قيصر الروم والى كسرى والى المقوقس والى النجاشي والى ملك غسان والى صاحب اليمامة والى صاحب البحرين
- ١٢٨ لماذا لم تفتح الحبشة
- ١٣٠ فتح خيبر - فدك تطلب الامان - مهاجمة وادي القرى وتيما
- ١٣٤ فتح مكة : الزحف على مكة - النزول بمر الظهران - تداير قريش - كيف دخل المسلمون مكة - مقاومة بسيطة - نتائج فتح مكة
- ١٤٢ غزوة حنين وحصار الطائف - ثقيف وهوازن تجتمعان - قوة المسلمين وتعبثهم - قوة القبائل وتدايرها - القبائل تبأغت المسلمين
- ١٤٨ انتهاء الاعمال العسكرية في الحجاز وبيان عنها
- ١٥٤ بيان عن الغزوات وقتلاها
- ١٥٥ بيان عن السرايا وقتلاها
- ١٥٧ عدد قتلى المسلمين في جميع المعارك - عدد قتلى غير المسلمين
- ١٥٩ فتح نجد
- ١٦١ نجد - معلومات جغرافية موجزة عنها
- ١٦٢ وفود نجد في المدينة
- ١٦٥ فتح اليمن وحضرموت
- ١٦٧ اليمن - معلومات جغرافية عامة عنها
- ١٦٨ دولة التبابعة في اليمن
- ١٧٢ اول بعث اسلامي الى اليمن

- ١٧٥ وفود اليمانيين في المدينة
 ١٧٧ وفود المسلمين الى اليمن
 ١٧٩ بيان نبوى الى اهل اليمن
 ١٨٢ حضر موت تدخل في الاسلام
 ١٨٣ فتح البحرين وعمان
 ١٨٥ البحرين وعمان - معلومات جغرافية موجزة
 ١٨٦ كيف اسلمت البحرين
 ١٨٧ كيف اسلمت عمان
 ١٨٩ حروب الردة
 ١٩١ تأثير وفاة النبي في جزيرة العرب
 ١٩٣ اول اجتماع سياسى في الاسلام - الدعوة الى اميرين - عمر يعارض في هذا
 الاقتراح - ابو عبيدة يخطب - الانصار يعدلون خطتهم - الاوس تنضم الى
 المهاجرين
 ١٩٦ ابو بكر الصديق - سيرته
 ١٩٩ خلافة ابى بكر
 ٢٠٠ اول بيان سياسى في الاسلام
 ٢٠٢ الردة - وصية ابى بكر لاول جيش يسيره
 ٢١٠ مدعو النبوة وحركة الردة - طليحة الاسدى - مسيامة بن حبيب - الاسود
 العنسى - سجاح بنت الحارث
 ٢١٢ بزاخته - من هو طليحة الاسدى - الهجوم على المدينة - منشور ابى بكر الى
 المرتدين - عهده الى قواده - عدد الجيش الاسلامى
 ٢٢٠ خالد فى حروب الردة - تدابير العسكرية
 ٢٢٤ سجاح : خالد عند بنى تميم

- ٢٢٦ مسيامة بن حبيب - مسيامة يزور النبي
 ٢٣٠ حرب اليمامة
 ٢٣٤ الاسود العنسي
 ٢٣٦ حضرموت والبحرين وعمان
 ٢٣٩ فتح العراق وايران
 ٢٤١ معلومات جغرافية عامة
 ٢٤٢ الاسلام وفارس
 ٢٤٥ الاكاسرة
 ٢٤٨ العلاقات بين العرب والفرس - دولة المناذرة في جنوبي العراق - الفرس وعرب
 الشمال - الديوان العربي في المداين
 ٢٥٣ مجلس شورى الصحابة يقرر مهاجمة فارس
 ٢٥٥ خالد بن الوليد - سيرته
 ٢٥٩ اعمال الساميين العسكرية في جنوبي العراق - المعركة الاولى بين العرب والفرس
 والثانية والثالثة ، الفرس يعبثون جيشا جديدا - دجلة والفرات والسواد -
 الفرس ينقلون ميدان القتال - فتح الحيرة - اول جزية يقبضها المسلمون -
 خالد يستقر بالحيرة - خالد ينذر كسرى وقواده - خطة عسكرية جديدة
 ٢٧٠ مصير حملة الشمال - افتتاح الجوف - الحرب في شمالي العراق
 ٢٧٣ خالد في ميدان الشام - اعمال خليفة خالد في العراق
 ٢٧٥ ابو بكر يوصى بفتح فارس
 ٢٧٦ عمر ينفذ وصية ابي بكر - المثني يخطب - قائد جديد لجيش العراق
 ٢٧٨ عمر بن الخطاب - سيرته
 ٢٨١ استئناف القتال في ميدان العراق - اعمال ابي عبيد العسكرية - ابو عبيد
 يهاجم الفرس - اول انتصار للفرس على الساميين
 ٢٨٦ عمر يعلن التعبئة العامة

ص

- ٢٩٠ سعد بن ابى وقاص
- ٢٩٢ فى طريق القادسية - تعليمات عسكرية - نعى المثنى ووصيته - الى شراف -
تعليمات جديدة - استعداد الفرس
- ٢٩٧ المسلمون يعملون لحقن الدم - مفاوضات المداين - وفد سعد الى كسرى -
كسرى يطرد الوفد
- ٣٠١ مفاوضات جديدة بين سعد ورستم - اقوال ربعى - حذيفة عند رستم - المغيرة
ابن شعبة عند رستم - اقوال الفردوسى فى الشاهنامه
- ٣٠٦ قبل المعركة - رواية الفردوسى - الوفود والغاية من ارسالها
- ٣٠٩ المعركة الكبرى - وصول نجيدات من الشام - المؤرخون والمعركة - وصف
الفردوسى لمعركة القادسية
- ٣١٤ كيف ابلغ خبر الفوز الى المدينة
- ٣١٦ فتح المداين - رواية الفردوسى لاحتلال المداين
- ٣٢٠ جلولاء
- ٣٢٢ الاعمال العسكرية فى الشمال
- ٣٢٤ الاهواز - الهرمزان فى الميدان - عمر يبحث اسباب الانتقاض
- ٣٢٩ اصطخر
- ٣٣١ الجزيرة - فوز عياض
- ٣٣٣ اكتساح ايران
- ٣٣٧ جبال حمرين
- ٣٤٠ نهاوند : تعليمات الخليفة للقائد الجديد - تعليمات عسكرية اخرى - الحملة
تزعف - طليحة الاسدى يقود المقدمة - المعركة الاولى - مجلس النعمان
العسكرى - فتح الفتوح - بشرى الفتح فى المدينة - خضوع اهل الجبال
- ٣٤٦ فتح ايران - خطط العرب العسكرية فى هذه المرحلة - وقوف حركة الفتح
الاسلامى
- ٣٥٠ تلخيص وتعليق

رة

ة

ن

ح



NYU - BOBST



31142 02824 4591

DS232 .S3

Nash'at al-dawlah al-Islamiyah